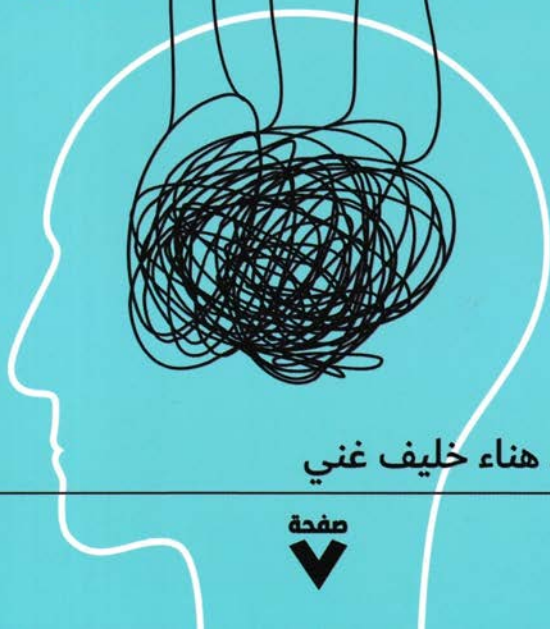


مكتبة

جاد سعد

العقل الطفيلي



ترجمة: د. هناء خليف غني

صفحة





العقلُ الطّفيّليّ

THE PARASITIC MIND

How Infectious Ideas Are Killing Common Sense

Gad Saad

مكتبة
t.me/soramnqraa

العقلُ الطفيليّ

كيف تقتل الأفكار المُعدية الفطرة السليمة

بقلم: جاد سعد

ترجمة: د. هناء خليف غني

صفحة

صفحة



الطبعة الأولى: 2023
التَّرقِيم الدَّولِيّ
978-603-8387-29-0
رقم الإيداع
1444/5673

كتاب
العقلُ الطفيليّ
المؤلف
جاء سعد

Copyright © 2020 by Gad Saad

حقوق التَّرجمة العربيّة محفوظة
© صفحة سبعة للنَّشر والتَّوزيع
E-mail: admin@page-7.com
Website: www.page-7.com
Tel.: (00966)583210696
العنوان: الجبيل ، شارع مشهور
المملكة العربيّة السعوديّة

مكتبة
t.me/soramnqraa

تستطيع شراء هذا الكتاب من متجر صفحة سبعة
www.page-7.com

المحتويات

7	تمهيد
17	الفصل الأوّل: من الحرب الأهليّة إلى معركة الأفكار
	الفصل الثّاني: التّفكير مقابل الشّعور، الحقيقة مقابل المشاعر
53	الجراحة
	الفصل الثّالث: عناصر غير قابلة للتّفاوض في مجتمع حرّ وحديث
85	
	الفصل الرّابع: معاداة العلم، معاداة العقل، والحركات غير
135	الليبراليّة
185	الفصل الخامس: خبل الحرم الجامعيّ
241	الفصل السّادس: التّخلي عن العقل
277	الفصل السّابع: كيف نسعى إلى الحقيقة
331	الفصل الثّامن: دعوةٌ للفعل
366	كلمات وداع
369	عرفانٌ بالجميل
371	مسرد بالمصطلحات
375	نبذة تعريفيةٌ بالمؤلف
376	كلمات عن الكتاب

عندما نُفكّر في الجائحة، تترأى أمامنا في الغالب، صور الأمراض المعدية الفتّاقة التي تنتشر سريعاً في البلدان، وتُسبّبُ معاناة بشرية يتعذّر تصوّرها، مثل: (الطّاعون الأسود، والإنفلونزا الإسبانية، ونقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، وأزمة كوفيد 19 المتواصلة). ويُعاني الغربُ حالياً جائحةً الكوفيد 19، المُدمّرة، المُهلكة؛ إذ يفتكُ المرضُ بقدرة الناس على التّفكير بعقلانيّة، وعلى النقيض من الجوائح الأخرى- إذ يقع اللّوم على مُسبّبات المرض البيولوجيّة- يتألّفُ المُسبّبُ المُذنب الآن من مجموعةٍ من الأفكار السيئة، التي انتشرت في حرم الجامعات، وما زالت تقضمُ، تدريجيّاً، وبلا هوادة، صروحَ العقلِ والحريّة والكرامة الفرديّة الخاصّة بنا. ويُحدّدُ هذا الكتاب مسمّات الأفكار، ويتناول مسألة انتقالها من الجامعات إلى جميع مسالك الحياة، ومن ضمنها السّياسة، والأعمال والثقافة السّعيّة، ويُقدّمُ سُبلاً لتلقيحنا من تأثيراتها الماحقة.

في أوّل فصول هذا الكتاب، قدّمتُ خلاصَةً موجزةً للعوامل التي دفعتني إلى أن أصبح مُحارباً مُتحمّساً ضدّ هذه الأفكار المُدمّرة؛ وهذه العوامل تشتمل على تجربة الحربين العالميتين، الأولى والثانية، والحرب الأهلية اللّبنانيّة (خبرتها عندما كُنْتُ طفلاً) والحرب ضدّ

الرّشد (بوصفي أستاذًا خمسة وعشرين عامًا) وأيضًا مُثلي الحيائيّة المُتمثّلة في السّعي إلى الحرّيّة والحقيقة. واستقصيتُ في ثانيهما، التّوتر بين التّفكير والشّعور، والتّوتر بين السّعي إلى الحقيقة والتّخفيف من المشاعر المؤذية، وجادلت في هذا الفصل، أنّ من الخطأ والحمق خلق هذا التّوتر بين ملكة الإدراك، والعواطف التي تخصّنا. فنحنُ حيوانات لها القدرة على التّفكير والشّعور معًا.

تنشأ المشكلة عندما نطبّق نظامًا خاطئًا على موقفٍ ما، مثل (أن ندع انفعالاتنا تقودنا في موقفٍ يتطلّب تفكيرًا، وإدراكًا، والعكس صحيح).

قدّمت بضعة أمثلة معاصرة للتعريف بهذه النقطة المتضمّنة للإستجابات الانفعاليّة الهستيريّة لانتخاب رونالد ترامب، رئيسًا للولايات المتّحدة، وتعيين بريت كافانو، قاضيًا في المحكمة العليا للولايات المتّحدة الأمريكيّة؛ واقترحتُ في الفصل الثالث، رأيًا يُقرّر أنّ الإلتزام بحرّيّة التعبير، والمنهج العلميّ، والتنوّع الفكريّ وأخلاقيّات الحكم، أو مجتمع الجدارة المتجذّرة في الكرامة الفرديّة تُمثل جميعًا عناصر غير قابلة للتّفاوض عليها في المجتمع المتنوّر حقًا وليس الإلتزام بأيديولوجيا التنوّع والشّمول والإنصاف. إنّ المجتمع العادل يضمن أن يتمتّع أفرادُه بتكافؤ الفرص، لا بالمساواة في النتائج، مثلما تنصّ عليها أحكام التنوّع، والشّمول والإنصاف. ويتناولُ الفصل الرابع عددًا من مسمّات الأفكار المناهضة للعلم والإدراك، وأيضًا الأفكار غير الليبراليّة المتضمّنة لما بعد الحداثة

والتسوية الراديكالية، والحراك العابر للنوع الاجتماعي (الجندر) والفكرتان الأخيرتان متأصلتان في شكل هستيري للغاية من رهاب الطبيعة. إنَّ مسمّات الأفكار هذه تُدمر فهمنا للواقع والفِطرة السليمة من خلال تبني بعض المواقف وتأييدها، مثل: إنَّ الفنّ اللامرئيّ هو أحد أشكال الفنّ، وإنَّ جميع الاختلافات بين الجنسين تعود إلى البناء الاجتماعيّ، وإنَّ بعض النساء يملكن أعضاءً ذكريةً طولها تسع بوصات.

يُعاينُ الفصل الخامس الوظيفة التي أدتها عقلية المناضلين المطالبين بالعدالة الاجتماعيّة في ظهور الجامعات التي تضع ضمن أولوياتها التخفيف من المشاعر المؤذية على حساب السعي للحقيقة (وهذه تتمّة للفكرة التي تناولتها أوّل مرّة في الفصل الثّاني) وأولبياد القمع (تقاطع أشكال التّمييز) ومتلازمة مونشهاوزن (أو اضطراب المرض المُفتعل) واستتباب علم الضّحايا (أنا ضحية، إذن، أنا موجود)، والجلد الذاتيّ الوقور على مذبح الحركة التّقدّميّة. وفي ضوء وجهة النظر هذه، التي تفاقمت وانحرفت بفعل مشاعر الغضب والاستياء، يتوزّع العالم إلى قسمين: فأنت إمّا شخصٌ نبيل وقع ضحيّةً (حتّى لو تعيّن عليك إختلاق ذلك) وإمّا متعصّب مُقرف (حتّى لو لم تكن متعصّبًا أبدًا). فاختر جانبًا تقف فيه!

ويستكشف الفصل السّادس متلازمة النّعامة الطّفيليّ (OPS) وهو أحد أنواع اضطراب التّفكير المرضيّ الذي يُجرّد النّاس من قدرتهم على تمييز الحقائق الواضحة وضوح الشّمس في رابعة النّهار.

وإنكار العلم هو أحد أعراض هذا الإضطراب مع وجود عدّة أنواع أخرى.

ويستعمل المصابون بهذه المتلازمة مجموعةً كبيرةً من الإستراتيجيّات للإحتماء من الواقع، بما فيها ستّ درجات من السّبيّة الخاطئة، إذ يُنسب عددٌ لا يُحصى من العلل، ظلّمًا، إلى الجانب المُفضّل لدى المُصاب، مثلًا (إنّ التّغّيّر في المناخ يؤدّي إلى الإرهاب). واستعلّمتُ أيضًا الطّريقة الّتي يتبنّى بها المصابون هذه المتلازمة مواقف سخيفةً وحمقاء، وأحيانًا إنتحاريّة في ما يتّصل بمسائل الإستعارة الحضاريّة المتضمّنة للمُسبّبات الأساسيّة للإرهاب العالميّ، وفضائل إنفتاح الحدود، والتّمائل الظّاهريّ بين الشريعة ودستور الولايات المتّحدة، والتّنميط العرقيّ المزعوم. إنّ توثيق جائحة التّفكير المُضطرب من دون إقتراح وسيلة لتلقيح النّاس ضدّ مسمّات الأفكار؛ سيكون إجراءً قاصرًا؛ لذا، وفي أثناء تحذيري القراء، في الفصل السّابع، من الأشكال المختلفة من التّفكير العميق الزائف الّذي يتنكّر في صورة الحقيقة، فإنّني أستوضح كيفيّة البحث عن الحقيقة عن طريق البناء المتواصل، والحذر للشبكات التّقنيّة (Nomological) للأدلة التّراكميّة، وختامًا، أوردت في الفصل الأخير أسبابًا تؤدّي بالنّاس إلى أن يبقوا متفرّجين خاملين مستسلمين في معركة الأفكار واقترحُ مسارًا للفعل لتغيير الوضع. لا تستهين أبدًا بقوة صوتك فالتّغّيّرات الزلزاليّة تبدأ بقرقعات صغيرة. فشارك في المعركة من أجل العقل وحرّيّة التّفكير والتّعبير. صوتك مهمّ جدًّا؛

في مساعيي الدّائبة لمحاربة مسمّات الأفكار التي ينشرها المحاربون من أجل العدالة الاجتماعيّة، أواجه تحدّيات متكرّرة بانتظام، وتتخذ الانتقادات الموجهة لي في العادة أحد شكلين مترابطين: (1) الأستاذ جاد، ألسّت تُضخّم حجم المشكلة؟ فبعد كلّ ذلك، لا يُمثّل المحاربون من أجل العدالة الاجتماعيّة سوى أقلّيّة في أكثرية الجامعات. (2) دكتور سعد، لمّ لا تتناول مشكلات أكثر أهميّة؟ هلّا كفتت عن الهوس بهذه القيم المتطرّفة الزّائفة!! الأفضل لك أن تستثمر وقتك في شيء آخر، ناقش العلم، أخبرنا عن مجالات خبرتك العلميّة... والآن اسمحوا لي أن أتعامل مع كلّ موقف على حدة، لعلّ ردودي تُجبر بعض الأشخاص، الذين يراقبون بهدوء من بعيد، على الانضمام إلى معركة الأفكار. في الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول عام 2001، قتلّ تسعة عشر رجلاً عدّتهم الحماس الدّينيّ والتّعصّب الأيديولوجيّ فقط قرابة ثلاثة آلاف شخص، فغيّروا تغييراً لا رجعة عنه مبنى ناطحة السّحاب في نيويورك، فضلاً عن إحساسنا الجمعيّ بالأمان. إنّ الدّمار الذي سببه الإرهابيون المدفوعون يتجاوز إلى حدّ بعيد عددهم. وبنحو مائل، فإنّ المحاربين من أجل العدالة الاجتماعيّة، ومن لفّ لفهم، هم إرهابيون فكريّون بوسعهم أن يأتوا على الأخضر واليابس في التفكير العقليّ، والحياة العامّة، فيقيّدون رغبة الناس في التحدّث والتفكير بحريّة، هذا من دون أن يشكّلوا أغلبيّة على الإطلاق.

في السادس من نيسان عام 2019، نشرت الرسالة الآتية في منصات التواصل الاجتماعي الخاصة بي:

بعض الناس جاهلون على نحوٍ يتعذر إصلاحه، إنهم ينشرون تعليقات تهاجمني لانتقادي عقلية المحاربين [من أجل] العدالة الاجتماعية بدلاً من تناول - وهذا ما يفترض بي فعله - قضايا «مهمّة». نعم؛ لأنّ وجود مجموعة من مسّمات الأفكار التي تُسيطر على عقول الملايين وأرواحهم من الناس في البيئة الأكاديمية، والحكومة والشركات، ووسائل الإعلام، والمجتمع عامّة بطريقةٍ مُشابهة لسيطرة العقيدة الخرافية الدينية هو موضوع «غير مهمّ». وجود الهراء المناهض للعلم والعقل الذي يُدرّس للأطفال في المدارس الابتدائية «ليس مهمّاً». ووجود حكومات وجامعات تدفع بسياسات مُضادة للكرامة الفرديّة، وأخلاقيّات الجدارة، والقدرة على العطاء «ليس مُهمّاً». لا شيء أكثر أهميّة من النضال من أجل حرّية التعبير، وحرّية الضمير، والالتزام بالعلم والعقل والمنطق، لا بالعقيدة الدينيّة الزائفة. إنّ العاجزين عن رؤية الصّورة الأكبر متورّطون، ومتواطئون في إدامة فورة الخبل الحاليّة، وإنّ استخدامي للسخرية، والتّهكّم، والفكاهة بين حينٍ وآخر في حربي على أعداء العقل لا ينبغي أن يُلهيك عن إدراك جدّيّة هذه المعركة.⁽¹⁾

وهذا الكتاب بأجمعه يتحدّث عن هذه المعركة، والانتقاد الآخر

(1) تابع سلسلة التفريعات المتبقية في:

Twitter, April 6, 2019, 12:15 p.m., <https://twitter.com/GadSaad/status/1114562406649421824?s=20>.

المقترن بالانتقادات في الأعلى. والذي أتلقاه في الغالب هو أحد أشكال «الماداعنية»⁽²⁾ الخاصة بالسموم المنشطة. يتوقع الناس أنه يجب عليّ أن أصبّ جام غضبي على اليمين، وأن أنظر إليه بعين النقد مثلما أفعل مع اليسار. إنّ العالم الأكاديمي هو المكان الذي أسكن فيه، إنّ النظام البيئي الذي تحكّم فيه التفكير اليساري عدّة عقود، وبالتأكيد، طوال مسيرتي المهنية. ومسمّات الأفكار التي أناقشها في هذا الكتاب تعود أساسًا، إن لم تكن بصورة كاملة، إلى الأكاديميين اليساريين. فما بعد الحداثة، والنسوية الراديكالية، والنسبية الثقافية، وسياسات الهوية، وبقية الثروة الأكاديمية لم تتطور، ولم تنتشر على يد المتحمسين من جناح اليمين. والانتقاء الهروبي هو آلية تطورية تشرح كيف تطوّر الحيوانات خصائص مُبالغ بها كثيرًا (مثل ذيل الطاووس).⁽³⁾ وأفترض أنّ العديد من مسمّات الأفكار التي تناوّلها هذا الكتاب هي مظاهر لأحد أشكال الانتقاء الهروبي من الجنون الذي بذر بذوره الأساتذة اليساريون. هناك ضغط أيديولوجي ما برح يتفاقم للدفاع نحو المزيد من الانحراف، والتخلّي الشائن عن العقل بوصفه مؤشرًا على النقاء التّقديمي. وحرصني، بوصفي عالمًا في السلوك التطوري، على انتقاد السياسيين الجمهوريين الذين اختاروا «رفض» التطور هو بقدر حرصني على انتقاد الديمقراطيين الذين

(2) يُعرف أيضًا بأسلوب 'ماذا عن؟' أو 'ماذا لو؟'، وهي أحد أنواع المغالطة الصورية والتوسّل بالنفاق التي ترمي إلى التشكيك في موقف الخصم عن طريق اتهامه بالنفاق بدلًا من دحض حجّته مباشرة (المترجمة).

(3) R. A. Fisher, *The Genetical Theory of Natural Selection* النظرية الوراثية للانتقاء الطبيعي (Oxford: Clarendon Press, 1930).

رفضوا بعضاً من مضامينه ونتائجه. إن تركيزي على اليسار هو مجرد انعكاس لحقيقة أن الطبقة المثقفة اليسارية، أو الأنتلجنسيا تُشكّل الثقافة الأكاديمية، والآثار المترتبة اللاحقة التي تتسرّب إلى بقية مفاصل المجتمع. ولستُ أحتاجُ إلى انتقاد جانبي الطيف السياسي كليهما بالقدر نفسه من الحماس، إِمثالاً للّرغبة المُضلّلة في أن أبدو مُحايداً. سيكون هذا أشبه بسؤال طبيب أورام نسائية مختصّ في سرطان عنق الرّحم عن سبب مئابرتة في التّركيز على النّساء. هيّا، يادكتور، لا تكن متحيّزاً جنسيّاً. أرجوك، كن مُحايداً، وعالج الرّجال المُصابين بسرطان الرّحم. (وهذا الأمر عمليّاً، مُحمّلٌ حالياً؛ لأنّ الرّجال المتحوّلين لديهم أرحام). إنّ هدي في هو الدّفاع عن الحقيقة، وإنّ أفكار اليسار المرضيّة اليوم هي التي تقودنا إلى لجة الظّلام السّرمدّيّ المجنون.

ويبرز مظهر آخر من مظاهر (الماداعنيّة) حينما يتّهمني النّاس بتجاهل قضاياهم المُفضّلة. إنهم يسألون: «لكن ماذا عن إسرائيل، بروفيسور سعد؟ لم لا تنتقدُ سياساتها؟ ماذا عن موقف ترامب من التّغيّر المناخيّ، بروفيسور سعد؟ هل أنت من المنكرين للتّغيّر المناخيّ؟ وإذا كنت تعنى كثيراً بوضع نظامنا التّعليميّ، لم لا تهاجم وزيرة التّربية والتّعليم في حكومة ترامب، (بتسي ديفوس)؟» وهذا شيء منطقيّ بقدر منطقيّة التّساؤل عن السّبب الذي يجعل طبيبة أمراض جلديّة تقضي وقتها في معالجة الورم الميلانيني الخبيث، أو سرطان الخلايا الصّبغيّة. ماذا عن اللوكيميا (سرطان الدّم) عند الأطفال، دكتور؟ لم أنت منافق في ممارستك السّريريّة؟ أنت لا تُجري

أبدًا عمليات جراحية لأوتار آخيل الممزقة، دكتور، لم هذا التركيز
الوسواسي على الحالات الطبية المتعلقة بالجلد؟

وأود أن أؤكد ثانية أنني أحارب نوعًا محددًا من فيروسات العقل،
إلا أن ذلك لا يعني ضمناً أنه ينبغي لي أن أتصدى لجميع القضايا
الحالية بالقدر نفسه من الحماس والاندفاع. وهذا يُذكرني بالخلقين⁽⁴⁾
الذين يصرحون أن طلبة المرحلة الثانوية، باسم روح العدالة
والإنصاف، في حاجة إلى تعلم التطور، والتصميم الذكي، بوصفها
نظريات متعارضة. إن الاتساق الفكري لا يتطلب مني أن أنتقد جميع
أنواع الأفكار المعتوهة. أنا مختص بعمليات العقل البشري، وأسعى
إلى تلقیح الناس ضدّ فئة من الأفكار المدمرة التي تقوّض قابليّتهم
للإدراك والتبصر.

وآمل، بعد قراءة هذا الكتاب، أن القراء سيخرجون بإحساس
متجدد بالتفاؤل، ربّما نكون قد سقطنا في لجّة عميقة من الحبل
والجنون، لكنّ، لم يفت الأوان بعد للإمساك بطرف حبل العقل،
والعودة إلى رحاب الضوء الدافئ للمنطق والعلم والفطرة السليمة.
شكرًا لانضمامك إلى هذه الرحلة. الحقيقة لا بدّ من أن تسود.

(4) خلق السموات والأرض. وهو المعتقد الذي تشترك فيه جميع الأديان الإبراهيمية،
ومؤداه أن الإنسان والحياة والأرض والكون نشأت جميعًا نتيجة تدخل الخالق وإبداعه
الإلهي (المترجمة).

الفصل الأوّل

من الحرب الأهلية إلى معركة الأفكار

ثمة سؤال كثيرًا ما يوجّه لي، هو: ما الذي يجعلني أكاديميًا صريحًا، راغبًا في تناول مسائل شائكة، وصعبة، بعيدة كل البعد عن مجالات إهتمامي العلمي؟ في ظلّ الصّوابية السياسيّة الخائفة التي تتحكّم في البيئة الأكاديميّة، سيكون من المستحسن، من المنظور المهنيّ، العناية بالحكمة الماثورة «التزم بحدودك»، بروفيسور. إذن، لم أحشر أنفي مرارًا وتكرارًا في مسائل خارج نطاق تخصّصي؟ ومثلما هو الحال في أكثرية الطّواهر البشريّة، يكمن الجواب عن هذا السّؤال في التّوليفة الفريدة بين شخصيّتي (جيناتي) وتاريخي الشّخصي (البيئة التي أعيش فيها). في المستوى الشّخصي، أنا مفكّر حرّ، وحساس حيال مسaire التفكير الجمعيّ، ومجاراته، والمثل التي توجّه حياتي هي الحرّيّة والحقيقة، وأيّ هجوم عليهما يُمثل تهديدًا وجوديًا لكلّ ما هو عزيز وغالٍ على نفسي. وأنا أيضًا نتاجٌ لمسار حياتي الفريد الذي شكّلت ملامحه حربان، في حين أنّ قلةً من الناس سوف تُجرب، ربّما، أهوال الحرب، إلّا أنني قد جابهت حربين هائلتين في حياتي، هما: الحرب الأهلية اللّبنانيّة، والحرب ضدّ العقل والعلم والمنطق التي

أُطْلِقَ العنانُ لها في الغرب لا سيّما داخل الجامعات في أمريكا الشماليّة. بصّرتني الحربُ اللبنيّة، في وقت مبكّرٍ من حياتي، بقبح العقيدة القبليّة والدينيّة وبشاعتها. ويُرجّح أنّها أثّرت في إزدرائي اللاّحق لسياسات الهويّة، نظرًا لنشأتي في بيئةٍ ترفع من شأن الجماعة التي تنتمي لها على حساب فرديّتك، ومن هذا المنطلق، دعونا نعود إلى موطني في الشرق الأوسط.

النشأة في لبنان

وُلِدْتُ في بيروت، في لبنان في العام 1964، وقضيت أعوامي الأحد عشر الأولى في «باريس الشرق الأوسط». كانت أسرتي جزءًا من المجتمع المحليّ اليهوديّ المتضائل الذي بقي ثابت الجنان في لبنان على الرّغم من العلامات المتواترة عن المستقبل المُظلم الذي كان اليهود اللبنانيون يواجهونه. لأبي تسع أخوات، وأخ واحد، ولأُمّي ستّ أخوات، هاجروا جميعهم، باستثناء عمّة واحدة من جهة الأب، قبل وقتٍ طويلٍ من انطلاق شرارة الحرب الأهليّة سنة 1975. توفّي جدّاي من جهة الأمّ قبل ولادتي؛ وغادر جدّاي من جهة الأب إلى إسرائيل في العام 1970. وبرز نمط هجرة مماثل في أسرتي المباشرة. لديّ أخوان وأخت واحدة، جميعهم أكبر منّي (الأقرب لي عمريًا يكبرني بعشر سنوات). تزوّج أخي الأكبر امرأةً مسيحيّة ذات أصول فلسطينيّة، وهاجرا إلى مونتريال في كندا في العام 1974. وانتقلت أختي أيضًا إلى مونتريال قبل اندلاع الحرب الأهليّة لإكمال دراستها

وكذلك للفرار من المخاطر المحدقة، وأخيراً، اضطرّ أخي الذي تُوجّج بطلاً في لعبة الجودو عدّة مرّات، إلى الفرار من الوطن بعد تلقيه تهديدات مُقلقة تأمره بالتوقّف عن اللّعب (لأنّ الفوز المتكرّر في رياضة قتاليّة لم يكن خياراً مناسباً بالنسبة ليهوديّ). راعى أخي تلك «النصيحة»، وانتقل إلى باريس، فرنسا في العام 1973 لإكمال دراسته وأيضاً للاستمرار في ممارسة اللّعبة، والمفارقة المدهشة أنّه مثل، في النّهاية، لبنان في الألعاب الأولمبيّة التي جرت في مونتريال في 1976. فعليه، أضحي لاعب الجودو اليهوديّ، الذي لم يعد مرحّباً به في لبنان قبل سنوات قليلة، محطّ «حفاوة وترحيب» حينما بات وجوده مناسباً للسلطات المعنيّة.

أن تترعرع وتنشأ بوصفك صبيّاً يهوديّاً في لبنان له تحدّياته الوجوديّة. أتذكّر، بوضوح تامّ، عندما توفّي الرّئيس المصريّ جمال عبد الناصر في العام 1970، قبل أسابيع قليلة من عيد ميلاديّ السّادس. كانت حركة الوحدة العربيّة (وحدة العالم العربيّ) قد جعلت من ناصر بطلاً في المنطقة، ومثلما يحدث في العادة في الشرق الأوسط، اندفع الآلاف من النّاس إلى الشّوارع لثناء وفاته علناً. ما السّبب الذي يجعل هذا الحدث يُشكّل ذكرى مفصليّة لطفل في الخامسة من عمره؟ بينما كان الموكب الغاضب يشقّ طريقه في الشّارع الذي نُقيم فيه (سُمّي، على نحوٍ ملائم، بشارع الجيش) ترك الهتاف المرعب: 'الموت لليهود' الذي كان الحشد يصدح به، أثرًا لا يُمحى في داخلي، وأنا أجلس مُنكمشًا في مخبئي قرب الشّرفة. مثلما ترى، حتّى في لبنان «التّقديمي والحديث والمتعدّد» كانت كراهية اليهود

المستوطنة مستعدة دائماً لتطلّ بوجهها البشع. اليهودي الشيطان، هو في النهاية السبب وراء كلّ المصائب في الشرق الأوسط. إنها تُمطر اليوم، اللّوم يقع على اليهود، الإقتصاد ضعيف، اللّوم يقع على اليهود، السّياحة متدهورة، اللّوم يقع على اليهود. تُصاب بمغص في المعدة، اللّوم يقع على اليهود. المسيحيّون والمسلمون في لبنان ليسوا على وفاق، خمن السبب: اللّوم يقع على اليهود. وعلى النقيض من المحاولات الحالية الرامية لتنقيح التاريخ، فإن هذا الإحتقار الوجودي لليهود يسبق تأسيس إسرائيل الحديثة بألف وأربعمائة عام. ما زال بوسعي أن أتذكّر - وأنا جالس إلى المائدة في يوك كيبور أو عيد الغفران (وهو أحد أكثر الأيام قداسةً في اليهوديّة) في العام 1973 - نظرة القلق التي ارتسمت على وجهي والذيّ بعد الإعلان عن خبر الهجوم الذي شنّه جيشٌ عربيٌّ مشتركٌ على إسرائيل في ذلك اليوم المقدّس. ليست الكراهية الإستصاليّة الوجوديّة شيئاً يُصاب به المرء بطريقةٍ سحريةٍ ومفاجئةٍ وهو بالغ، بل هو شيء يُغرس بلوّم، وعلى نحو متكرّر في أذهان الأطفال الأتقياء والأبرياء في الأحوال الأخرى. كُنْتُ الوحيد بين أشقائي الأربعة الذي يدرس في مدرسةٍ ابتدائيةٍ يهوديّة، لا بدّ من أنني كُنْتُ في التاسعة أو العاشرة من العمر حينما سأل المدرّس الطّلاب، في أحد صفوف 'مدرسة البنات الثانويّة' أن يذكروا ماذا يريدون أن يصبحوا عندما يكبرون. قدّم الطّلاب، بهدوء، أجوبةً منها، «أريد أن أكون رجل شرطة، أو لاعب كرة قدم» حتّى قال أحد الطّلاب: «عندما أكبر، أريد أن أكون قاتلاً لليهود»، فانفجر الصّفّ في موجة ضحكٍ صاحبةٍ وتصفيق نشوانٍ،

ما زلتُ أحتفظ بصورٍ عن ذلك العهد، ولا يزال وجه ذلك الصبيِّ محفورًا في ذاكرتي.

ولا أبغي من مشاركتي هذه القصص أن أوحى أن حياتنا اليومية في لبنان قبل الحرب الأهلية كانت جحيماً لا يُطاق. إذ كان والداي راسخين في المجتمع اللبناني. وحقبة أننا كنا جزءاً من الموجة الأخيرة من اليهود الذين غادروا لبنان كانت دليلاً على شدة تعلقها بوطنها. وقد كان أكثرية أصدقائي في الطّفولة من المسيحيين والمسلمين (تواصل أحدهم معي مؤخراً لأن ابنته كانت على وشك البدء في دراستها الجامعية في مونتريال). وكان اندلاع الحرب الأهلية في العام 1975 إيذاناً بإنهيار أيّ أمل في التعايش السلميّ طويل الأمد؛ وما يزال هذا الصراع هو المعيار الذي يُقاس به فظاعة ووحشية جميع الحروب الأهلية الأخرى؛ إذ أصبح الجيران الذين عاشوا إلى جوار بعضهم بعضاً لعقود طويلة، حالاً، أعداءً مُتَمَلِّين. وكان الموت يتربّص بنا في كلّ زاوية وشارع؛ فإذا لم يقتلك القصف المتواصل (تعلمنا الاختيار بين الاحتماء وعدمه بالاعتماد على نوع الصوت الذي تطلقه القنابل) فقد يستهدفك القناصون إذا ظهرت ضمن مدى رؤيتهم. كان المدنيون يُخطفون ويُقتلون، وكانوا أيضاً يُقتلون في أثناء انتظارهم في صفوفٍ طويلةٍ لشراء الخبز (تجنّب إثنان من أفراد أسرتي الموت بهذه الطريقة عن طريق الخروج بوقت متأخرٍ لشراء الخبز بعد توقف إطلاق النار). وشيّد العديد من الميلشيات حواجز طرق، وكانوا يطلبون من الناس تقديم هوياتهم الوطنية للتأكد منها (كانت الهوية تكشف عن ديانة الفرد). وإذا كنت من

الديانة 'الخطأ'، فإنك قد تُعدم. وكان إرثنا الديني يوثقنا بوصفنا 'إسرائيليين' لا 'يهوديين'، الشيء الذي يعني أن لدينا عددًا قليلًا من الأصدقاء المسلمين في هذه الحواجز. ومن بين اللحظات المرعبة التي تفوق الحصر وقد عايشتها وخبرتها في هذه الحرب، ثمة لحظة مخيفة ومشؤومة على نحوٍ فريدٍ علقت في ذهني.

قُبيل بدء الحرب، اتّصل والدّاي بخدمة مُجفّفات الأيدي توفّر لفافة من منسوجات قابلة للغسل نُصب أحدها في جدار المطبخ. وكان هذا الجهاز باكورة النماذج اللاحقة من مناديل التّجفيف اليدويّة ذات الاستخدام الواحد الموجودة في الحمامات. كان الشّخص نفسه يأتي إلى منزلنا، بشكلٍ دوريّ، لتعويض اللّفاة المتّسخة بواحدةٍ نظيفةٍ (أعتقد أنّ اسمه أحمد أو ربّما محمد). فكّرت أنّ هذه الخدمة غريبة إلى حدّ ما، في ذلك الوقت، حتّى أكثر غرابةً حاليًا في أثناء سردي للقصة، وفي إحدى الأمسيات، في خضمّ قتال شوارع متواصل، في حالات أخرى، وقصف مستمرّ بالقنابل سمعت طرقًا على باب منزلنا الأماميّ، توجّهت إلى الباب، وسألْتُ من الطّارق. فجاءني الرّدّ: «أنا أحمد [محمّد]، العامل الذي يُغيّر اللّفاة في مُجفّف الأيدي في المطبخ. افتح الباب، يا فتى». تأخّرتُ في فتح الباب، فصار إلحاحه أكثر شؤمًا وعنفًا: «افتح الباب حاليًا!» هربت متّجهًا إلى أمّي. وإذا تُسعفني الذاكرة بنحوٍ دقيقٍ، كان المنزل يأوي أربعة أشخاص في ذلك المساء: أمّي، وأختي (التي عادت إلى بيروت لزيارتنا وعلقت فيها حاليًا) وصديق لوالدي (الذي علّق في منزلنا أيضًا على الرّغم من أنّه يعيش على مسافةٍ قريبةٍ من منزلنا) وأنا.

لم يكن والدي في المنزل؛ أظنّ أنّه كان خارج البلاد، لكن ليس بوسعي تذكر السبب لغيابه. عاد والدي في النهاية إلى بيروت، ونجا بصعوبة بالغة من الموت في طريق عودته إلى المنزل. إقتربت أمي من الباب وتحدثت من ورائه مع أحمد الذي كان بصحبة رجل أو أكثر. ازدادت نبرة الحديث توترًا، وجلبت أمي الصديق الذي كان مُحتبًا في غرفة أخرى. كانت تأمل أن يظهر هذا الصديق سوف يُخيفهم ويدفعهم إلى الابتعاد، وأتذكر الشعور بالإشمزاز والغضب الذي عبّرت عنه أمي لما بدر من جبن مروّع من هذا الصديق الذي رفض تقديم المساعدة.

كان لا يزال هناك بعض مظاهر القانون والنظام وسط وحشية الحرب الأهلية وفوضاها. وبمحاولة أخيرة منها، في مواجهة كل الصعاب، اتّصلت والدي بالشرطة (المفردة العربية للمجموعة كانت «ستة عشر») وردّوا عليها -تذكروا حدوث ذلك في ذروة تأجج الحرب. وحالما وصلوا إلى المنزل، فتحنا لهم الباب، وتركنا الجميع يدخلون المطبخ. سأل مسؤول الشرطة عن سبب وجودهم في المكان، وعن هويّتهم. فأجابه أحمد: «أوه، كّنّا، أنا وأصدقائي في منطقة الجبال، وجلبنا معنا سلّة رمان، وتوقّفنا هنا لتقديمها لهذه الأسرة». وبعد أن فتش الشرطيّ السلّة للتأكد من محتواها (أتذكر بندقيته المهيبه المتدلّية إلى جانبه) حدّق بروّدي في أحمد وقال: «علاقتك بهذه الأسرة تقتصر على تبادل لفافة المُجفّف اليدويّ، وقررت أن تخرج إلى الشارع متحدّيًا القتال وتأتي في منتصف المساء لتُقدّم لهم الرّمان. إذا وجدتك هنا مرّةً أخرى، ستواجه مشكلات لا يُحمد

عقبها». ما حدث بعد ذلك لا يزال يُشعرني بالقشعريرة ويهزّ كياني. إذ نظر أحمد إلينا، وقال ببرودٍ، ونبرة توعّدٍ: «سأعود إليكم». لم يطل بنا المقام كثيرًا في لبنان بعد هذه الحادثة، وأحمد لم يحظ بفرصة «زيارتنا» ثانية قطّ.

كان واضحًا أننا بحاجة إلى مغادرة لبنان بأسرع وقتٍ ممكنٍ. وكان يوم فرارنا من البلد نسخةً مباشرةً من فلم «أطلق النار عليهم» إذ التقطنا من منزلنا مجموعة مسلحة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية في ذلك اليوم المشؤوم. إتصل بهم أحدهم لنقلنا بأمان إلى مطار بيروت الدولي؛ وكان الخطر الذي نواجهه هو أنهم قد يقودونا إلى حفرةٍ ما ويعدمونا فيها. كانت منظمة التحرير الفلسطينية تُسيطر على المنطقة المحيطة بالمطار، وكانت فرصة اجتياز نقاط التفتيش ضئيلةً، إذا لم تكن برفقتنا الميليشيا المناسبة، سألني أحد الرجال المسلّحين فيما لو كنت أرغب بحمل بندقيته الآلية، وهو ما فعلته بارتياحٍ جائشٍ. أتذكّر، في الطريق إلى المطار، إعلان والدي أنه قد نسيّ محفظة نقوده في المنزل، وأتينا بحاجة إلى العودة لأخذها. لكن أفراد الميليشيا رفضوا التماسه، وواصلنا رحلتنا المحفوفة بالمخاطر. وربّما تكون الذكريّ التالية عمّا حدث آنذاك واحدةً من أكثر الذكريات إثارة للعواطف: عندما أعلن قبطان الرحلة خروجنا من الأجواء اللبنانيّة، وفي اللّحظة ذاتها أخرجت والدتي سلسلةً فيها نجمة داود Chai ('n) (وهي الرّمز اليهوديّ الدّال على الحياة أو العيش) ووضعتها حول عنقي وقالت: «الآن يُمكنك أن تلبسها، وأن تكشف عن هويّتك، وأن تكون فخورًا بما أنت عليه». بعد ذلك ببضع

سنوات، سألت والديّ أن يردّما الفجوة في ذاكرتي: لم لا أستطيع أن أتذكر أيّ تفاصيل أخرى من رحلتنا إلى مطار بيروت الدوّليّ؟ على ما يبدو، كان أفراد المجموعة المسلّحة يتبادلون إطلاق النّار مع مجموعات مسلّحة محليّة معادية في أثناء الرّحلة عبر مناطق الجوار المتعدّدة. كنّا نجلس متكدّسين في داخل السيّارة والحقائب فوق رؤوسنا. لا أتذكر شيئاً عن تلك الحادثة.

كان انطباعي الأوّل عن مونتريال أنّها باردة للغاية. لم أجرب مناخاً مثل هذا قطّ. وأتذكر أنّي فكّرت، بعد قولي هذا، أنّ مواجهة سقوط الثلوج أفضل من مواجهة سقوط القنابل. أتذكر بوضوح اليوم الذي اصطحبني فيه والداي إلى مدرسة أيونا الابتدائيّة، كان يوماً مُعتماً وكثيباً. طلبت منّي المدرّسة، بلطف، أن أقف أمام الصّفّ، وأن أقدم نفسي، كانت الإنكليزيّة هي لغة المدرسة، وكُنْتُ أعرف عددًا قليلاً من مفرداتها (في ما عدا ما كنت قد تعلّمت من مشاهدة أفلام الويسترن سباعيتي الغربيّة في أثناء نشأتي في بيروت) فبدأت [باللّغة الفرنسيّة]: اسمي جاد سعد. جئت من لبنان. وجدت نفسي في مواجهة نظرة جماعيّة بلهاء ومرتعبة، وبإستخدام يدي، قلّدت حركة إطلاق النّار من بندقيّة آليّة على أناس مُردّداً في أثناء ذلك: «لبنان، لبنان». التقيت مؤخّراً زميلا لي في الصّفّ كان حاضرًا في أوّل يوم مُربك لي في المدرسة، وأكّد لي أنّ هذه الحادثة لا تزال محفورة في ذهنه أيضًا. ربّما ينطوي لقاؤنا في حفلة شواء نهاية العام في مدرسة ابنتي الابتدائيّة على نوعٍ من الشاعريّة.

وعلى الرغم من وصولنا بأمان إلى مونتريال سنة 1975، إلا أن الكابوس اللبناني واصل ملازمتنا مدّة طويلة بعد ذلك، وجد والداي صعوبة في التكيف مع حياتهم الجديدة في كندا، ولذا، لم يقطعا نهائياً صلتها بالوطن حتى 1980. كانت هذه هي السنة التي قام فيها والداي بإحدى رحلات العودة الطائشة إلى بيروت إذ خطفتهم حركة فتح. وبقي في الأسر بضعة أيام واجها فيها واقعا بشعا بغیضا، وإمتنعا، أثناء إختفائهما، عن إعلامي بظروفهما (في محاولة منها للحمايتي) ولذا، لم أعرف ما حدث حقاً إلا بعد تحريرهما (بوساطة من شخصيات سياسية رفيعة المستوى تدخلت بالنيابة عنا). كان أحد زملائي في المدرسة الثانوية، الذي كان لبنانياً - يهودياً أيضاً، على دراية تامة بمسألة خطف والدي (كان والداه ووالداي أصدقاء مدى الحياة). أخبرني في ما بعد أنه من الغريب للغاية أن أبدو خليّ البال وسعيداً أثناء إختفائهما؛ لكنّه لا يعرف جهلي بمصيرهما بينما كانت الأحداث المأساوية تتكشف. وبينما كان والداي على وشك الشروع في رحلتها الأخيرة إلى خارج لبنان، ذكّرهم أصدقاؤهما أنهم حزينون للغاية لرؤيتهما وهما يغادران البلد، لكن يجب ألا يعودا إليه أبداً. وقد راعى والداي هذه النصيحة الحكيمة. أصابتنى فداحة الموقف وخطورته بالذهول بعد لقائهم ثانية في مونتريال. لن أنسى أبداً الصدمة التي إرتسمت في عيونهما إضافة إلى شلل الوجه غير المتناظر المؤقت الذي أُصيب به والدي. وأتذكر أيضاً الكوابيس التي كانت تُطاردني بشأن احتمالية تعرض والدي إلى إغتصاب جماعي على يد خاطفيها.

إنّ فراري، بأعجوبة، من لبنان وقر لي بعض الراحة المؤقتة في الخمسة عشر عامًا التالية، أو نحوه. ومع ذلك، عاودت بشاعة القبليّة الأيديولوجيّة مطاردتي في الحرم الجامعي؛ لكنني أودّ، قبل الحديث عن هذا الأمر، بسط القول في اثنين من مثل الحياة التي تشرح، بشكلٍ وافٍ وواضح، السبب الذي دعاني إلى محاربة أعداء العقل.

مثالان في حياتي: الحرّية والحقيقة

كنت معنيًا في حياتي بوظيفتين محتملتين فحسب، هما: لاعب كرة قدم محترف وأستاذ. كانت خطتي تقتضي أن أتابع مشواري الرياضي بأقصى طاقة لي، ثم أكمل، بعد التقاعد، دراستي وأصبح أستاذًا. وبينما يندر أن يُكمل الرياضيون المحترفون دراستهم الجامعيّة العليا، كان (سُقراط) كابتن فريق كرة القدم الوطنيّ البرازيليّ، طبيبًا كذلك. ومع أنّه ليس رياضياً، نال (برايان مِي) عازف الغيتار في فرقة الرّوك البريطانيّة الأسطوريّة، كوين، درجة الدكتوراه في علم الفيزياء الفلكيّة من كليّة لندن الإمبراطوريّة في 2007 (بعد ثلاثة عقود من تخليه عن دراسته للتركيز على مسيرته الموسيقية). وبالتأكيد، فإنّ التّطلّع إلى المضيّ في المسارين كليهما ليست أضغاث أحلام. وبكلّ أسف، وضعت إصابة بليغة تعرّضت لها مع صعوبات حياتيّة أخرى نهايةً لمشواري في كرة القدم؛ ولهذا، انهمكت في متابعة المسار الثّاني، أي دراستي. إذ نلت درجة البكالوريوس في الرياضيات (لكنني

اكتشفت مؤخرًا أن الرياضيات «متحيّزة عرقياً»⁽⁵⁾ وعلم الحاسوب الذي يتوافق توافقًا دقيقًا مع ميلي إلى الكمالية، والنقاء التحليلي. فنظام البرمجة إمّا خالٍ من الأخطاء وإمّا لا. ومباشرةً، بعد نبلي درجة بكالوريوس في العلوم في جامعة ماكغيل، سجّلت في برنامج ماجستير إدارة الأعمال لمدة عامين في الجامعة نفسها. وفي السنة الثانية من دراستي في هذا البرنامج، حالفني الحظّ مع حفنة من الطّلاب، إذ اختارنا الأستاذ (جِي كونغر) للانضمام إلى دورة ديناميات الجماعة الذي يُشرف عليها. في كلّ فصل من الفصول التي حضرناها في هذه الدّورة، تحرّينا وتوسّعنا في دراسة مبادئ نفسيّة أضاءت لنا حيواتنا الشّخصيّة. وكان يجب علينا في واحدةٍ من الواجبات التي كُلفنا بها أن نُحدّد النّصوص التي تُعرّف مساراتنا الحياتيّة (وهو إطار طوره في الأصل الطّبيب النّفسيّ أيريك بيرن، الذي أسّس نظريّة وممارسة التّحليل التّفاعليّ أو التّباليّ). قال (بيرن) إنّ الآباء يعطون نصوصًا لأبنائهم لتوجيه حيواتهم بصورةٍ مشابهةٍ للممثلين الذين يتلقون نصوصًا إبتغاء أداء أدوارهم. ومع أيّ اتّفق أنّ الآباء يُمارسون حقًا تأثيرًا كبيرًا في تشكيل أبنائهم، إلّا أن نظريّات التّحليل النّفسيّ تُبالغ في تقدير قوى مثل هذه بينما تُهمّل التّوليفة الفريدة للجينات التي تُعرّف الفرد. قد يقع بعض النّاس، في الواقع، في قبضة هذه

(5) Lucy Pasha-Robinson, "Teaching Maths Perpetuates White Privilege, Says University Professor," يقول أستاذ، "تدريس الرياضيات يُديم الإمتياز الأبيض،" The Independent, October 25, 2017, <https://www.independent.co.uk/news/world/americas/teaching-maths-whiteprivilege-illinois-university-professor-rochelle-gutierrez-a8018521.html>.

النصوص الحياتية التي تُمارس فعل إختطاف («كن ولدًا صالحًا، ودعنا نفتخر بك. لا تُلحق العار بالأسرة»). وقد يندفع غيرهم بالرغبة في تحقيق مثلٍ و/ أو أهدافٍ مرشدةً ما. (اجعل العالم مكانًا أفضل).

إن معرفة في ما إذا كانت حياة المرء محكومةً بنصٍّ حياتيٍّ متكرّر أو تأكيدٍ دائمٍ على مُثلٍ معيَّنة يتطلّب تأملًا ذاتيًا عميقًا (وصعبًا). قد تبدو الكثير من الحقائق التي تواجهها متفرّقة ومُنفصلة مع أنّك قد تكتشف، عند التدقيق فيها، أنّها ترتبط في ما بينها بنصٍّ أو مثالٍ عامٍ تكنّ له التقدير. وتتلخّص واحدة من فوائد العلاج النفسيّ في أنّه يُحدّد، بدقّة، هذه الأنماط للمرضى. لقد تشكّلت حياتي، في حالتي الخاصّة، بالالتزام بمثالين أساسيين، هما: الحرّيّة والحقيقة، لم يفرض والداي عليّ السعي وراء هذين المثالين؛ بل هو تعبيرٌ عن شخصيّتي مثلما هي محفورة في جيناتي. وسأناقش هذين المثالين كلاً على حدة.

مثال الحرّيّة

أضحى حُبّي للحرّيّة واضحًا عندما كُنْتُ طفلًا يُجرّ إلى كنيسٍ في بيروت في لبنان. في الكنيس، وجدت أنّ الصلوات الروتينية، والطقوس الجماعية مُنفرّة وغريبة للغاية. وشعرت بطبيعتي المسؤولة والفضولية بالاختناق من العقيدة الدنيّة، ولم أجد آية حرّيّة في الممارسة الدنيّة، فأنت، بسهولةٍ ويسرٍ، تنتمي إلى الجماعة، وتقلّد سلوكهم. وأظنّ أنّ الكثير من الأطفال يجدون الشّعائر الدنيّة مُنفرّة ومُستهجنة، لكنني أزيد عنهم بالمعاناة من إشمزاز أحشائي. كان

شعوري القوي بالإنفرادية، حتى في هذه السن المبكرة، يتمرد على الضغط للإمتثال، وكنت سعيدًا لأنني كنت الوحيد من بين أربعة أطفال في أسرتي لم يداوم في مدرسة يهودية قط. حدّثني والدي، وأنا في الأربعينيات من عمري، عن أسفه الشديد؛ لأنّي لم أتلّق تعليمًا يهوديًا. فأخبرته أنني مُمتنّ له لأنه لم يفرض عليّ تعليمًا من هذا النوع! إذ اتّسعت صداقاتي وعلاقاتي العاطفية لتشمل أعرافًا واثنيتًا وأديانًا، وأنا أكثر ثراءً بفضل ذلك. تقدّمت سريعًا نحو سنوات المراهقة، إذ أصبحت لاعب كرة قدم مُتمكّنًا، وقادرًا على المنافسة وربّما التوجّه إلى أوروبا لمتابعة مشواري المهنيّ. كنت أحمل الرّقم عشرة أثناء لعبي في الفريق، وهو الرّقم الذي كان يُحجز، على نحوٍ تقليديّ، لصانع الألعاب الماهر الذي يُمنح حرّية التّحرّك في الملعب. كنت أشعر بالإنزعاج والإحباط كلّما كان المدرّس يضع قيودًا على حركتي. كان أسلوبه في العمل يتطلّب حرّية كاملة في الحركة، وأيّ شيء عدا ذلك كان يؤثّر تأثيرًا مُدمرًا في أدائي.

يكمُن السّعي إلى الحرّية أيضًا في قلب مسيرتي المهنيّة. وهذا يصدّق في مستويين مختلفين للغاية. إذ منحتني البيئة الأكاديميّة حرّية قضاء وقتي في يوم معيّن بالطريقة التي أراها مناسبة. أعمل ساعاتٍ طويلة للغاية في المعتاد، وإنّ كان تحديدُ متى وأين، يخضع لتقديري. إنّ الإضطرار إلى حضور اجتماعين، أو ثلاثة اجتماعات مُقرّرة في أسبوعٍ معيّن يُشعّرنني بالإختناق؛ لكنني أشعر براحةٍ تامّةٍ حيال احتمال قضائي اثنتي عشرة ساعة في مقهى منهمكًا في تأليف كتابي الآتي. إنّ التّمتع بالحرّية المهنيّة جيّدٌ وموافقٌ لي. والأشخاص الذين يحوزون

قدرًا أقل من الحرّية المهنية لديهم مستويات كولسترول أعلى (أي استجابة أعلى للإجهاد). وقد وثق مايكل مارموت، اختصاصي الوبائيات الاجتماعيّة، العلاقة بين صحّة الأفراد ومدى سيطرتهم على مسؤولياتهم الوظيفيّة. (6) فحرّية أكبر تساوي صحّة أفضل.

وثمة عنصر آخر في الحرّية أسهم في تعريف مسيرتي العلميّة، وأعني بذلك حرّية استكشاف أقاليم فكرية مختلفة جذريًا. إنّ الطّريق إلى المجد يتطلّب، بالنّسبة إلى أكثرية الأكاديميين، التزامًا بالتخصّص الدقيق. بمعنى: طوّر خبرتك في تخصّص محدود، والتزم حدودك. ويني أكثرية الأكاديميين سمعتهم المهنيّة بأكملها على البحث في مجالات اشتغال محدودة للغاية. وليس لديّ المزاج الفكريّ لتحمل قيود مهنيّة مثل هذه، إذ أطوف، بوصفي عالمًا بينيًا متمازج المعارف، أقاليم فكرية مختلفة طالما أنّها تُثير فضولي. وهذا هو السّبب الذي جعلني أنشر في أنظمة معرفيّة متنوّعة تتضمّن سلوك المُستهلك، والتسويق، وعلم النفس، ونظريّة التطوّر، والطّب، والاقتصاد، وتحليل الاستشهادات المرجعيّة. وأشتهر النّاشط المناهض للفصل العنصريّ، ستيف بيكو، بتأليف كتاب عنوانه *أنا أكتب ما يعجبني*. في حالتي، أدرس وأبحث في ما يُعجبني (وأنا مُمتنّ لجامعتي لدعمها الضمنيّ لاهتماماتي البحثيّة الواسعة). ربّما تتخيل أنّي لا أتحمل كثيرًا الذين يقولون إنّ بعضًا من الأسئلة البحثيّة لا ينبغي التصدّي لها

(6) Michael Marmot, *The Status Syndrome: How Social Standing Affects Our Health and Longevity* (متلازمة المكانة: كيف تؤثر المكانة الاجتماعيّة في صحتنا وطول (New York: Henry Holt, 2004). الحياة)

ورغبتني في الحرّية الفكرية هي السّبب، أيضًا، وراء كوني أستاذًا يعتني عناية عميقة بوسائل التّواصل الاجتماعيّ. فعلى العكس من زملائي المدّعين الذين يتفاخرون أنّهم من ساكني الأبراج العاجية، أنا أستاذ الناس. وأرى أنّ التّعامل مع الناس هو جزء من وصفي الوظيفيّ. في إحدى زياراتي الأخيرة لتقديم محاضرة في كليّة ستانفورد العليا للأعمال، كان لي حديث كاشف مع زميلٍ من الكليّة يُمثّل خير تمثيل تحيّر «البرج العالي». كان هذا الزميل يعرف أنّي قد ظهرت في برنامج البثّ الصّوتيّ أو بودكاست جو روغان (وهي منصّة شعبيّة للغاية) مع أنّ استخفافه بمشاركة عامّةٍ مثل هذه كان واضحًا. يبدو أنّه كان يُفكّر أنّ بوسع المرء إمّا النّشر في مجلّات علميّة رائدة، وإمّا الظهور في عرض روغان. لكنّي حرّرتّه من فرضيّة إمّا وإمّا، الخاطئة عن طريق فكرة توضّح أنّه على الأكاديميّ الكامل أن يسعى إلى القيام بالأمرين كليهما. ينسى الكثير من الأساتذة أنّ مسؤوليتهم المهنيّة تقتضي منهم لا إنتاج المعارف الجديدة، بل السّعي إلى نشرها على أوسع نطاق ممكن. وتوفّر وسائل التّواصل الاجتماعيّ فرصًا مثل هذه لا حصر ولا عدد لها، إذ تسمح بنقل الأفكار بسرعةٍ إلى عددٍ هائلٍ من الأشخاص. ولا ينبغي لأيّ مثقّف عقلائيّ أن يقف موقف

(7) Joanna Kempner, Jon F. Merz, and Charles L. Bosk, "Forbidden Knowledge: Public Controversy and the Production of Nonknowledge," *Sociological Forum* 26, no. 3 (September 2011): 475–99.

المعارض من احتمالية مثل هذه. ومع ذلك، يستسلم الكثير منهم لما أسميه تأثير فرقة المرآب. فإذا كنت في فرقة متعثرة تعزف الموسيقى في المرآب في منزل والديك اللذين لا يسمعك غيرهما مع قلة من الجيران المنزعجين، فإن ما تفعله شرعيّ. أما إذا حققت فرقتك نجاحًا ساحقًا مع شغلها المركز الأوّل في مجلة بيلبورد (Billboard) المختصة بالموسيقى، والآن أنت تعزف أمام الجماهير في ملعب كبير، فأنت «خائن». وهذه بالضبط، هي عقلية الكثير من الأكاديميين. فهم يُفضّلون أن ينشروا في مجلات تخضع البحوث فيها لتقييم علميّ مزدوج فقط (أي العزف في المرآب)، وينظرون بازدراء للظهور في البثّ الصوّتيّ لجوروجان (المركز الأوّل في بيلبورد وملاعب تغصّ بالجماهير). وأنا أرفض هذه النخبوية الفكرية لأسباب مماثلة للسبب الذي دعا دونالد ترامب إلى تجاوز وسائل الإعلام الرئيسية، والتفاعل مع جمهور الناخبين مباشرة عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ. أرسل الرّسالة مباشرة إلى النّاس، ولدينا الوسائل والأدوات لفعل ذلك.

مثال الحقيقة

سيكون من المستحيل، دون الحرّيات الصّوريّة، تجسيد المثال الثاني في حياتي، وأعني بذلك السّعي إلى الحقيقة والدّفاع عنها. هناك علاقة ثنائية الاتجاه بين الحقيقة والحرّية، إذ «تعرفون الحقّ، والحقّ يُحرّركم» (إنجيل يوحنا، الإصحاح الثامن: 32)، وعند تمتّعك بالحرّية فقط يُمكنك أن تطمح إلى الكشف عن الحقيقة. مع ذلك، من الواضح أنّ قلة من النّاس يقضون اللّيل قلقين بشأن الانتهاكات التي

تتعرّض لها الحقيقة. لكنني أفعل ذلك، ولطالما فعلته. فبينما كنت أكبر كانت أمي تحذّرنى دائماً، أنّ العالم لا يتقيّد بمعايري الصّارمة حدّ القسوة بالنّقاء الفكريّ والأخلاقيّ والمعنويّ، إضافة إلى الإقْتداء بالتزامي المرضيّ بالصدق والإستقامة. كانت تتوسّل إليّ أنّ أدرك أنّ العالم مصنوع من عدّة ظلال من اللّون الرّماديّ، لا التقسيم اللّوني الثنائي إمّا أبيض وإمّا أسود (مع أنّها لم تستخدم هذه المفردات). وعندما أتعرّض للخداع الفكريّ والعقيدة الأيديولوجيّة، أردّ بأسلوب قريبٍ لردّ شخص تعرّض إلى صفعيّة على وجهه. إذ أكابد ردّ فعل إنفعاليّ ونفسيّ كاره ونافر يُرغمني على الرّدّ والمقاومة. ومع أنّي شخص مرح وودود بطبعي، لكن بوسعي أن أصبح مشاكساً شرساً عندما أشهد انحرافاً عن العقل مردّه إمّا الجهل المتعمّد، وإمّا الخداع المدفوع بالشرّ والأيديولوجيا.

إنّ السّعي إلى الحقيقة ينبغي أن يحلّ دائماً محلّ رغبة الأنا - الدّفاعيّة في أن تُثبت أنّك على حقّ. وليست هذه مهمّة هيئيّة؛ لأنّ أكثرية النّاس يجدون صعوبةً في الاعتراف بأنّهم على خطأ. وهذا تحديداً السّبب الذي يجعل العلم محرّراً ومُخلّصاً، إذ أنّه يوفر إطاراً للتّصحيح الدّاتيّ؛ لأنّ المعرفة العلميّة مؤقتة دائماً. فالحقيقة العلميّة المقبولة اليوم قد تُدحض غداً. وعلى هذا النّحو، فإنّ المنهج العلميّ يؤدّي إلى التّواضع المعرفيّ (الأبستيميّ). لكنني نشأت في أسرة كانت فيها هذه الخاصيّة غائبةً إلى حدّ بعيد، إذ أنّ عدداً من أفراد الأسرة هم من 'العارفين بكلّ شيء' التقليديّين الذين يندر أن يُظهروا احترامهم لشخصٍ قد يحوز معرفةً، أو حكمَةً أعظم في موضوعٍ معيّن. إنهم

يعرفون عن القلب أكثر مما يعرف المختصّ في الأمراض القلبيةّ، ويعرفون عن الأسنان أكثر من المختصّ في معالجتها، وعن الرياضيات أكثر من المختصّ فيها، وعن البيئة الأكاديمية أكثر من الأكاديمي. وهم، علاوةً على ذلك، نادرًا ما يكونون مستعدّين، وهذا لن يحدث أبدًا على الأرجح، للاعتراف بأنهم على خطأ. وعندما يتصل الأمر بالتواضع المعرفي، فإنهم لم يكونوا نُسخًا مُكرّرةً أخرى من (سقراط). وكنْتُ دائمًا أشعر بانزعاج شديدٍ من هذه الدينامية العائلية لأنّي كنت أرى في تبجّحهم المعرفي إهانةً عميقةً للحقيقة. والحكاية الشخصية الآتية التي حدثت قبل عقدين تُصوّر هذا الواقع على نحو جيّد.

قال لي أحد أفراد الأسرة إنّ اليونانيين القدماء كانوا مسيحيين معادين 'للسامية' فأفحمته بلطفٍ قائلاً: إنهم لم يكونوا مسيحيين، لكنّه أصرّ أنّهم كانوا مسيحيين بالطبع. وعندئذ، أوضحت له أنّ المدة الزمنية المعنية تُسمى «قبل الميلاد» في إشارة إلى وقوعها «قبل ميلاد السيّد المسيح» (أي قبل المسيحية) وحالما تبين هذا الشخص أنّ موقفي كان قاطعًا لا جدال فيه، ماذا تظنون أنّه فعل؟ هل منحني فضل الاعتراف بأنّه مُحطّ؟! لقد رويت هذه الحكاية في مناسبات قليلة، وطلبت من الحضور أن يخيّموا ماذا كان ردّ فعله! لم ينجح أحد، إلى الآن، في فكّ مغاليق هذا السر. وعندما تبدّدت جميع الآمال في احتمال إثبات صحّة ما يقوله، نظر هذا الشخص في عيني مباشرةً، وقال بوجه جادّ خالٍ من التعبير: «نعم، قلت إنّهم لم يكونوا مسيحيين، وقلت أنت إنّهم كانوا كذلك. إذن، أنا على حق». وبداهةً،

كان كلانا يعلم أنّ ما قاله كان محض كذبة مُضحكة، المهمّ أنّ سجلّه الكامل من المعرفة الفائقة بقي سليماً في داخل فقاعته النرجسيّة والوهميّة.

كان تحذير والدتي بشأن التناقض بين أفكاره عن النقاء الفكريّ والأخلاقيّ والعالم الواقعيّ واضحاً على نحوٍ كاملٍ وفارقٍ في تفاعلاتي مع أفراد أسرتي الذين لا يجوزون أيّاً من سمات التواضع العلميّ. وكانت إستقامتي الفكرية تُنتهك مراراً وتكراراً على يد هؤلاء الأفراد الذين لم يكن يعينهم سوى أنّ يُظهروا للعالم أنّهم يعرفون أكثر منك عن أيّ شيءٍ وكلّ شيءٍ. وهذه الديناميّة الأسرية قد تفسّر السبب الذي يجعلني أشعر بإهانة عميقة على يد الأفراد الذين يعانون من تأثير دانيغ-كروجر، أي اليقين الذاتيّ، والثقة المفرطة على الرّغم من غياب الشّخص وحقه (كان ديفيد دانيغ أستاذاً في جامعة كورنيل). ووسائل التّواصل الاجتماعيّ موبوءة بأمثال هؤلاء. لكنني، في الطّرف المقابل، أشعر بارتياح تامّ عندما أعترف لطلّبتني في الدّراسة الجامعيّة الأولى أنّي لا أعرف الجواب عن السّؤال المُقدّم. وهذا من شأنه أن يخلق الثّقة؛ لأنّ الطّلبة يتعلّمون سريعاً، وأنا أعنى بدقّة ومعقوليّة المعلومات التي أشاطرها معهم. تراني أقدم محاضرتي بثقة في الموضوعات التي أُحيط بتفاصيلها جيّداً، لكنني أظهر أمامهم التّواضع الضّروريّ عند مناقشة موضوعات أخرى، لنقل مثلاً، فوائده تشريع تعاطي الحشيش وأضراره. كان كونفوشيوس مُحقّقاً: «أنّ تعرف حدود جهلك، هذه هي المعرفة الحقيقيّة».

ونظرًا إلى شغفي بالسعي إلى الحقيقة والدفاع عنها، فإنّ العمل في البيئة الأكاديمية هو المهنة الأفضل والأسوأ لي في آن معًا. فمع تقدّمي في تعليمي الجامعيّ، أدركت سريعًا مفارقةً كبيرةً: إنّ الجامعات هي مصدر الحقائق العلميّة، وأيضًا الموزّع للخرافات العجيبة.

الجامعات

مروّجات الحقيقة وأنظمة بيئية للقمامة الفكرية أيضًا

حالما أكملت دراسة الماجستير في إدارة الأعمال، انتقلت إلى أتاكا في نيويورك لمواصلة دراستي في جامعة كورنيل، إذ نلت درجة الماجستير في العلوم والدكتوراه في العامين 1993 و1994 على التوالي. واقترح عليّ المُشرف على أطروحة الدكتوراه، المختصّ في الرياضيات، وعلم النفس المعرفيّ المعروف، جيّ إدوارد روسو أن أنضمّ إلى دورة علم النفس الاجتماعيّ المتطورة بإشراف الأستاذ دنس ريغان. وكان لإشترائي في هذه الدّورة تأثير هائل في مسيرتي العلميّة النهائيّة، إذ تعرّفت فيها لأوّل مرّة إلى الدّقة العلميّة الاستثنائيّة لعلم النفس التّطوّريّ في تفسير الظواهر البشريّة. ولأنّي معنيٌّ بدراسة سلوك المستهلك، فقد وجدت مساري الأكاديمي، إذ سأجمع بين علم النفس التّطوّريّ، وعلم نفس المستهلك في تأسيس حقل الإستهلاك التّطوّريّ. ومع ذلك، كانت أطروحتي في الدّكتوراه عن علم نفس صنع القرار إذ درست فيه السيّورة المعرفيّة التي يستثمرها النّاس عند اتّخاذهم القرارات، واعتنيت، على وجه

الخصوص، بمعرفة كيف نعرف أننا قد حصلنا على معلومات كافية تؤهلنا للالتزام بخيار بين زوجين من البدائل المتعارضة؟ فيلى جانب التدريب الصّارم الذي تلقّيته في جامعة كورنيل من عددٍ من أبرز علماء النفس والاقتصاد في العالم، كان هذا هو المكان الذي تعرّضت فيه لأول مرّة، أيضًا، إلى بعض من الهراء التّافه الذي أنتقده في هذا الكتاب. أتذكّر اشتراكي في الحلقة النقاشية التي نظّمها الأستاذ روسو في مرحلة الدكتوراه، إذ حدّثنا فيها عن العدد المتزايد من الأوراق البحثية ما بعد الحداثيّة التي كانت تُنشر في مجلّات بحوث المُستهلك الرّائدة. وواحدة من هذه الأوراق البحثية تحديداً يُمثّل أيّما تمثيل هذا الخبل المناهض للعلم، إذ نشر ستيفن جيّ غولد (لا يجب الخلط بينه وبين أستاذ الحفريات القديمة المتوقّي في جامعة هارفرد) في عام 1991 ورقةً بحثيّةً في واحدة من المجلّات الرّصينة في حقل بحوث المُستهلك. كان عنوان الورقة: «التّحكّم الذاتي في طاقتي النّافذة والمحسوسة والحيويّة عن طريق استخدام المُنتج: من منظور الإستهيطان والممارسة العمليّة». (8) إستهل غولد ورقته بالرّثاء الآتي: «لقد فشل الجزء الأكبر من بحوث المُستهلك في وصف العديد من الجوانب التجريبيّة لسلوكي الإستهلاكيّ، ولا سيما الحركيّة اليوميّة لطاقتي النّافذة والمدرّكة ذاتيّاً والحيويّة». نرجسيّ إلى حدّ كبير؟ ثمّ واصل حديثه في ممارسةٍ غير مألوفةٍ لمنهجية الإثنوغرافيا الذاتيّة ما

(8) Stephen J. Gould, "The Self-Manipulation of My Pervasive, Perceived Vital Energy through Product Use: An Introspective-Praxis Perspective," *Journal of Consumer Research* 18 (September 1991): 104.

بعد الحداثيّة (أسلوب مُستظرف للقول إنّه كتب مدوّنة 'يوميات مهمة' متضمّنة في ترّهات فكريّة زائفة). وفي أدناه مقطعان عرّف فيهما غولد من خلال رأيه «الأكاديمي» الانتصاب ورعشة الجماع.

على سبيل المثال، أتذكّر أنّ أحاسيس سرت في جسمي كلّها، بما فيه أعضائي التناسليّة، إذ شعرت بشيء ما مماثل للمشاعر الجنسيّة في أثناء تناول الطّعام. أنا لا أقول إنّ المشاعر المصاحبة لتناول الطّعام هي ذاتها المشاعر الجنسيّة، لكنّها متداخلة. مثلاً، لم يحدث انتصابٌ عندي خلال تناول الطّعام، لكنني شعرت بإثارة مماثلة للإثارة الجنسيّة من حيث الأحاسيس المثيرة والرّائعة، فالشّعور المفاجئ بالحرارة تارةً، والبرودة تارةً أخرى؛ ينطلق من أعضائي التناسليّة نحو الأعلى عندما أتناول، فعلاً، شيئاً ما.⁽⁹⁾

تؤدّي الإثارة المتعمّدة التي تتضمّن مشاهدة فيلم مُحرك للشّهوة الجنسيّة إلى خلق تيار متصاعد من الهياج تصبح معه دقائق قلبي واضحة وسريعةً، وأشعر بدفء شديد، ويبدأ جسمي في الارتعاش بقوةٍ حتّى أخال أنّه يتنفّض عمليّاً. وتغدو هذه الحالة، أحياناً، أكثر وضوحاً، لا سيّما حينما نستخدم، أنا وزوجتي، تقنيّات آسيويّة معيّنة تتحكّم بالإنعاط، وتساعد على تكثيف وإطالة اللذّة لأوقات تمتدّ لأيّام أو أسابيع (غولد 1991 ب)، ومن ثمّة نشاهد أحد أفلام الإثارة حتّى تبلغ ذروة الطّاقة منتهاها-إنّه تهيج جنسيّ يتغذّى على

(9) المصدر السابق، ص 202.

هيوستن، لدينا مشكلة

وإضافةً إلى التعرف لمُدّةٍ وجيزةٍ إلى ما بعد الحداثة، والحركات المرتبطة بها، بات واضحًا لي خلال دراستي في مرحلة الدكتوراه أن الكثير من العلوم الاجتماعية محرومة من التفكير المبني على علم الأحياء. إذ كان يُنظر إلى أكثرية الظواهر البشرية من منظور المنهج البنائي الاجتماعي (أي الاعتقاد أن التشيئة الاجتماعية تُشكّل، إلى حدّ بعيد، تفضيلاتنا وخياراتنا وسلوكنا). ولقد صدمني ذلك لأنّه، في رأيي، فكرة لا معنى لها. البيئة مهمّة، هذا أكيد، لكنّ إرثنا البيولوجي مهمّ أيضًا. غادرت جامعة كورنيل في 1994 حاملًا معي درجة دكتوراه نلتها حديثًا، وانضمت إلى جامعة كنكورديا في مونتريال في كندا بصفة أستاذ مساعد في كليّة الأعمال، وواصلت العمل في السّنوات القليلة التالية في مساري الوظيفي حتّى حصلت أخيرًا على التّثبيت في العام 1999. وعشت خلال ذلك كلّ واقعين مهنيّين منفصلين، إذ كانت محاولتي لتبني المنهج الدارويني في التعامل مع كليّة الأعمال محلّ تقدير وحفاوة من لدن الزملاء في العلوم الطّبيعيّة، على التّقيض من الزملاء في العلوم الاجتماعيّة الذين نظر أكثريتهم إلى محاولات مثل هذه باستخفافٍ كبير. إذ أنّهم يرون أنّ التّنظير المبني أحيائيًا هو تنظير إختزاليّ تمامًا في تفسيره لسلوك المُستهلك، وأنّ الافتراض أن الفروق الجنسيّة قد تكون متجذّرةً في

الحقائق التطورية هو، بسهولة ويسر، «هراء مُتَحَيِّز جنسيًا». علمت سريعًا أن أكثرية النسويات الأكاديميات كُنَّ من المعاديات المتعنتات لعلم النفس التطوري. كُنت محطَّ تقدير واحترام من قبل علماء السلوك التطوري، ومحطَّ سخريّة وإزدراء من لدن العديد من أساتذة التسويق، وقد كان رهاب الطبيعة (الهلح من استئثار علم الأحياء في تفسير الظواهر البشرية) أحد الأشكال المتكررة لإنكار العلم الذي كابدته خلال مسيرتي الأكاديمية.

وعلاوة على عمل الجامعات بوصفها مرّوجات لمناهضة العلم (ما بعد الحداثة) وإنكار العلم (رهاب الطبيعة) فإنّها تعمل أيضًا بوصفها المريض رقم صفر لنطاقٍ واسعٍ من الأفكار والحركات الأخرى بالغة السوء. وبكلمات الروائيّ جورج أورويل الخالدة: «ينبغي للمرء أن ينتمي إلى الطبقة المثقفة (الأنتلجنسيا) كي يؤمن بأشياء مثل هذه: لا يمكن لأيّ رجل عاديّ أن يكون بهذا الحمق».⁽¹¹⁾ إنّ تكاثر العديد من هذه الأفكار السيئة قد أدّى إلى آليّة حوافز ومكافأة مقلوبة رأسًا على عقب في البيئة الأكاديمية. إذ تُكافئ عقلية القطيع بينما يُعاقب المفكرون المبتكرون. ويُثاب الأكاديميون من فئة «إلزم حدودك» في حين يُعاقب الأكاديميون الصريحون الواضحون. يُكافئ «التخصّص الدقيق» في حين يُستصغر التفكير التوليّفي الواسع ويُحتقر. ويُنظر إلى كلّ خاصيّة ينبغي أن تتصف بها الشجاعة الفكرية بوصفها مشكلة. ويُثمن ويُكافئ أيّ شيء يلتزم

Polemic 1 "ملاحظات عن القومية"، George Orwell, "Notes on Nationalism," (May 1945)

بمبادئ التّقدّميّة اليساريّة. ومن يؤمن بالمساواة في التّائج يحصل على وظائف إداريّة مُجزية مادّيًا. أمّا من يؤمن بنظام الحكم بالاستحقاق أو مجتمع الجدارة فنصيبه التّجاهل والإمتعاض. ستبدأ مسّمات الأفكار الطّفيليّة، التي تُنتجها الجامعات، إذا تُركت لتمرّ بلا رادع ولا حساب، في إصابة وتلوّث جميع مفاصل مجتمعنا.

مسّمات الأفكار بوصفها طُفيليات العقل البشريّ

عندما يُسأل النّاس عن الحيوان الذي يخشونه أكثر، سيذكر أكثريّتهم، على الأرجح، إمّا حيوانا مفترسا كبيرا (مثل القرش الأبيض الكبير، أو التمساح، أو الأسد، أو الدّب)، وإمّا، ربّما، العقارب، والعناكب، والأفاعي (لقد طوّر البشر استعدادًا لاكتساب أنواع من الرّهاب مثل هذه). وما يغيبُ عن هذه القائمة بوضوح هو الحيوان الذي قتل، حتّى الآن، العدد الأكبر من البشر عبر التّاريخ: أي البعوض المهلك. وتشاء المصادفات أن أعاني هلعًا عميقًا من هذه الحشرة اللادغة. وعدد الليالي التي أبقيت فيها زوجتي مستيقظة في غرف الفندق (تحديدًا في العتلة التي قضيناها في منطقة الكاريبي) بينما كنّا نصطاد بعوضةً مراوغةً، هو عددٌ معتبرٌ. أذكر زوجتي، في أحيانٍ كثيرة، أنّ هذا رهاب تكيّفيّ تمامًا. إذ أنّ الخوف من البعوض يبدو أكثر منطقيةً من القلق بشأن هجوم يشنه قرش أبيض كبير، إذ تقتل هذه الحشرات عن طريق نقل أحد الأمراض البايولوجيّة العديدة المميّته إلى ضحاياها، بما فيها الحمّى الصّفراء (التي تنتقل عن طريق الفيروس) والملاريا (عن طريق طفيليّ). وبشكل أكثر عمومًا،

يتمثل أحد أعظم التهديدات، التي قد واجهها البشر عبر تاريخهم التطوري، في التعرض لنطاقٍ واسعٍ من الأمراض، ومن ضمنها التدرن الرئوي (سببه بكتيري) والجذام (بكتيري) والكوليرا (بكتيري) والطاعون الدملي (بكتيري) وشلل الأطفال (فيروسي) والإنفلونزا (فيروسي) والجُدري (فيروسي) ونقص المناعة المكتسبة الإيدز (فيروسي) وإيبولا (فيروسي). والخبر السار هو أننا قد وجدنا وسائل للتخفيف، وإن لم يكن استئصالاً، من العديد من هذه المخاطر بفضل تحسين مستوى النظافة، والتدابير الصحيّة، واللقاحات، وأحياناً الاستعانة ببعض الحلول السهلة التطبيق، من مثل ناموسيات البعوض.

واستكشاف مجموعة أخرى من مُسببات الأمراض التي من المحتمل أن تُشكل خطراً على الوضع البشري هو المحور الرئيس لهذا الكتاب، ونعني بذلك مُسببات المرض الطفيليّة أو مسّمات العقل البشري. وهذه المسّمات مؤلّفةٌ من أنماط التّفكير، وأنظمة المعتقدات، والمواقف، والعقليّات التي تتطلّف على قدرة المرء على التّفكير بطريقةٍ مناسبةٍ ودقيقةٍ. ومتى ما سيطرت فيروسات العقل هذه على دوائر المرء العصبونيّة، ستفقد الضحيّة المُبتلية القدرة على استخدام العقل، والمنطق، والعلم لاستقصاء العالم والإبحار فيه. وبدلاً من ذلك، يغرق المرء في لجة جنون لا قرار له يُمكن العثور على أفضل تعريف له في الإبتعاد المُعاند والمُتبجّح عن الواقع، والفِطرة السليمة والحقيقة. وبينما بوسع الطفيليّات أن تستهدف أجزاء جسمٍ مختلفٍ وتستقرّ فيها، يتعامل علم الطفيليّات العصبونيّة مع فئة

الطفيليات العقلية التي تتحكّم بسلوك المضيف بطرائق مختلفة. والمملكة الحيوانية مليئة بأمثلة عن مسببات المرض البايولوجية التي ما إن تُصيب دماغ الكائن الحيّ حتى تؤدّي إلى بعض النتائج المروعة إلى حدّ ما، تشمل الموت التكاثريّ للمضيف (الإخصاء الطفيليّ) إن لم يكن الموت الفعليّ (ينتحر المضيفون خدمةً للطفيليّ). لنأخذ، مثلاً، الزنبور العنكبوتيّ الذي يشترك في سلوك مرضيّ حقاً؛ إذ يلدغ عنكبوتاً أكبر منه حجماً بكثير، ويجعله في حالةٍ شبيهةٍ بالزومبي أو الغيبوبة، تسمح له بسحبه إلى كوره ووضع بيضه عليه. (12) وفي النهاية، تلتهم صغار الزنبور العنكبوت المنحوس حيّاً. والدودة السحائية هي طفيليّ يُصيب أدمغة ذوات الحوافر (مثل حيوان الأيل، والغزال، والإللكة) ممّا يؤدّي إلى أن تسلك الحيوانات المُصابة، أحياناً، سلوكاً دورانياً (أي أنّها تدور في حلقةٍ صغيرةٍ إلى ما لا نهاية). وسيستمر هذا السلوك الآليّ حتّى مع اقتراب الحيوانات المفترسة الوشيك من الحيوان المنكود. والنوع الثالث من طفيليّ الدماغ هو التكسوبلازما، أو المقوسة الغوندية الذي يؤدّي، عند إصابته دماغ الفأر، إلى فقدان هذا القارض لخوفه التكيّفي، في الحالات الأخرى، من القطط. وختاماً، تولّف الديدان الشعريّة فئة من الطفيليات الحائّة على الانتحار التي تُصيب عدداً كبيراً من الحشرات، من ضمنها

(12) للإطلاع على نقاش يخصّ الزنابير الشبيهة بالطفيليات، انظر

زنابير شبيهة "Parasitoid Wasps: Neuroethology," Frederic Libersat, "الأخلاقيات العصبية بالطفيليات: الأخلاقيات العصبية" in *Encyclopedia of Animal Behavior*, eds. Michael D. Breed and Janice Moore, 2 (Oxford: Academic Press, 2010), 642–50.

الجراد، والصراصير، وأفراس النّبي. إذ تدفع الدودة الشّعرية، مثلاً، مضيقها (الجراد) إلى القفز في مسطح مائي (وهو ما يتجنبه في المعتاد) كي يتمكن الطفيلي من مغادرة جسم المضيف والبحث عن شريك له.⁽¹³⁾ وبالطريقة ذاتها التي تطوّرت بها طفيليات الدّماغ للاستفادة من مضيقها في دعم غاياتها التطورية، تعمل فيروسات العقل البشري الطفيلية (أي الأفكار السيئة المدمرة) بأسلوب مماثل. إذ تتطفل على العقول البشرية، فتجعلها حصينة أمام التفكير النقدي، وتجد، في الوقت نفسه، طرائق ذكية للانتشار بين مجموعة سكانية معينة (على سبيل المثال، من خلال تشجيع الطلبة على التسجيل في أقسام الدراسات النسوية).

وبعض من فيروسات العقل البشري الطفيلية التي تناولتها في الكتاب تشتمل على ما بعد الحداثة، والنسوية الراديكالية، والبنائية الاجتماعية، التي انتعشت جميعاً، إلى حد بعيد، في بيئة حيوية موبوءة واحدة هي: الجامعة. وفي حين يؤلف كل فيروس عقلي نوعاً مختلفاً من العته، إلا أنها جميعاً ملتزمة بالرفض التام للواقع والفطرة السليمة (فما بعد الحداثة ترفض وجود الحقائق الموضوعية؛ والنسوية

(13) للإطلاع على أطروحة أكاديمية عن الموضوع، راجع:

Janice Moore, *Parasites and the Behavior of Animals* وسلوك الطفيليات والحيوانات (New York: Oxford University Press, 2002).

وللإطلاع على نقاش ذي طابع أقل تقنية، أنظر:

Kathleen McAuliffe, *This is Your Brain on Parasites: How Tiny Creatures Manipulate Our Behavior and Shape Society* كيف هذا دماغك على الطفيليات: كيف تتحكم مخلوقات صغيرة بحياتنا وتُشكّل مجتمعتنا (Boston: Houghton Mifflin Harcourt, 2016).

الراديكالية تستهزأ بفكرة الفروق الجنسية السليبية المبنية بايولوجياً؛ وتفترض البنائية الاجتماعية أن العقل البشري يبدأ بوصفه لوحاً فارغاً أو صفحةً بيضاء خالية، في الغالب، من أيّ مخططات أولية بايولوجية). وهذه الرتبة العامة من فيروسات العقل هي التي أسميتها بمتلازمة النعامة الطفيلي. وأعني بذلك أشكالاً متنوعة من التفكير المضطرب التي تؤدي بالمصابين إلى رفض الحقائق والوقائع الأساسية الواضحة وضوح قوة الجاذبية. وبأسلوبٍ مماثل للكيفية التي تشترك فيها جميع أنواع السرطان في آلية تقسيم الخلية بلا رادع، ترفض فيروسات العقل جميعاً الحقيقة دفاعاً عن أيديولوجية مدّلة. وتتّوع القبيلة الأيديولوجية التي ينتمي إليها المرء عبر فيروسات العقل، لكن الالتزام يبقى دائماً بالدفاع عن العقيدة التي يؤمن بها - ولتذهب الحقيقة والعلم إلى الجحيم. إلا أننا لم نفقد كل شيء على الرغم من ذلك. ولا يجب لمتلازمة النعامة الطفيلي (OPS) أن تكون أحد أمراض العقل البشري العضال التي يتعذر الشفاء منها. تذكر - أيها القارئ - الهزيمة التي منيت بها العديد من المسببات المرضية البايولوجية بفضل إستراتيجيات التدخّل الموجهة (مثل لقاح شلل الأطفال). ويصدق الأمر ذاته على المصابين بهذه المتلازمة، وفيروسات العقل المرتبطة بها. والتطعيم ضدّ عقليات مُسرطنة مثل هذه يأخذ شكل لقاح معرفي مؤلّف من خطوتين، هما: (1) تزويد المصابين بمتلازمة النعامة الطفيلي بالمعلومات الدقيقة، و(2) ضمان تعلّمهم كيفية معالجة المعلومات بناءً على القواعد الإثباتية للعلم والمنطق.

في مؤلفه الكلاسيكيّ الجين الأنانيّ في 1976، قدّم عالم الأحياء التطوّريّة، (ريتشارد داوكينز) مثلما هو معروف، مفهوم الميم لوعينا العامّ. والميمات هي حزم من المعلومات تنتقل من دماغ إلى آخر. (14) فعند قراءتك لهذا الكتاب، يُصاب دماغك بالميمات الخاصّة بي. وإذا ناقشت هذه الميمات، بعد ذلك، في حلقتك الاجتماعيّة، فإنّها ستنتشر بمعدّل أكبر. مع ذلك، لا تُخلق جميع الميمات بصورة متساوية، سواء من ناحية قيمتها الدّاتيّة (إيجابيّة، محايدة، أو سلبية) أو خبثها المرضيّة (مدى سرعة انتشارها). وأثمرت حملة دلو الثلج لمحاربة التّصلّب الجانبيّ الضّموريّ (المعروف محلياً بمرض لو جيرج) مقطوعات يوتيوب انتشرت بسرعة كبيرة، وكانت ترمي جميعها إلى متابعة قضية وجيهة. من جانبٍ آخر، قد تستغرق ميمات أخرى وقتاً أطول كي تنتشر (مثل الاعتقاد الدّينيّ بعبادة الموت، في سبيل المثال) على الرّغم من أنّها تؤدّي إلى عواقب وخيمة مذهلة في فظاعتها (مثل إقناع الناس أنّ إختراق الطّائرات لناطحات السّحاب هو فعل إلهيّ). وبناءً على هذا المنظور، فمتلازمة النّعامة الطّفيليّ هي مرض ميميّ يُصاب به العقل البشريّ. إنّنا نستعين بذابحيّ التّنين، أي المتخصّصين في الأمراض المعدية والأوبئة كي يتدخّلوا عند مواجهتنا جائحة لها مُسبّبات مرضيّة. إذ أنّهم يحموننا من مدى واسع من المُسبّبات المرضيّة الشّرسة والمميّة المُصمّمة على إصابتنا. ويتلخّص جزءٌ من

(14) Richard Dawkins, *The Selfish Gene* الجين الأنانيّ (New York: Oxford University Press, 1976); أيضاً أنظر Susan Blackmore, *The Meme Machine* (Oxford: Oxford University Press, 1999). ماكيّنة الميم

الوصف الوظيفي لهؤلاء المتخصصين في فهم أين نشأ المسبب المرضي، والأسلوب والسّعة التي ينتشران بها، وهوية أول شخص أصيب به (أي المريض رقم صفر) وأيضًا كيفية القضاء عليه. وهذه، بالتأكيد، هي المقاربة التي يجب اعتمادها في هزيمة فيروسات العقل البشري الطفيلي. من أين تأتي هذه الأفكار السيئة المسيبة للعدوى؟ وكيف تنتشر؟ ما النظام البيئي الذي تنتعش فيه؟ كيف نُطعم الناس ضد تأثيراتها المهلكة؟ هذه هي المهمة التي أخذها هذا الكتاب على عاتقه. إنه استكشاف لعلم أوبئة مسمّات العقل وإستراتيجيات التدخّل التي ستسمح لنا بانتشاله من برائن أعداء الحقيقة.

موت الغرب البطيء والمؤلم بالف من الجروح (15)

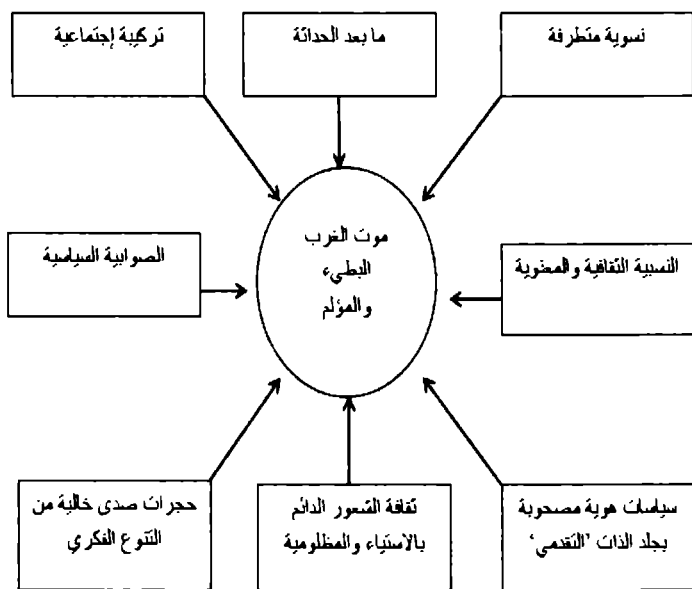
تنبع عظمة الغرب، جزئيًا، من حمايته للحريّات الأساسية، والتزامه بالعقل والمنهج العلمي (متى يقتضي الأمر ذلك). مع ذلك، عملت العديد من القوى الشريرة والشائنة، على مدى العقود القليلة الماضية، ببطء في تفتيت التزامه بالعقل، والعلم، وقيم التنوير (أنظر الشكل 1 في أدناه).

وتضمّ قوى مثل هذه كلاً من الصّوابية السياسيّة (مثلما تفرضها

(15) العبارة في الأصل هي Death of the West by a Thousnd Cuts. في رده عن سؤال بشأن الطريقة التي تؤثر فيها مسمّات الأفكار في الحضارة الغربية في مرحلة ما بعد التنوير، أجاب جاد سعد أنّ جرحًا واحدًا لا يقتل الإنسان، وأيضًا جرحين لا يقتلانه، لكن ألفًا من الجروح ستفعل ذلك، بلا شك. ويقصد بالجروح هنا مسمّات الفكرة التي عرض لها في فصول الكتاب. المصدر: حوار مع جاد سعد عن الحقل الطفيلي والحرب ضد الحقيقة. الثالث من تشرين الأول، 2020.

شرطة الفكر، وشرطة اللّغة، والمحاربون من أجل العدالة الاجتماعيّة) وما بعد الحداثة، والنسويّة الراديكاليّة، والبنائيّة الاجتماعيّة، والنسبيّة الثقافيّة والأخلاقيّة، وثقافة الشّعور الدائم بالإساءة، والمظلوميّة أو عقليّة الضحّيّة (المتمثّلة في اعتداءات وانتهاكات صغيرة، والتّحذيرات المسبقة، وفضاءات آمنة في حرم الجامعات، إضافةً إلى سياسات الهوية). وقد خلق هذا الوضع بيئةً خانقةً للخطاب العامّ بطرائق لا حصر لها. إذ يتحاشى الأكاديميون دراسة ما تُسمّى بالموضوعات المحرّمة (مثل الفروق بين الجنسين والإختلافات العرقيّة) لئلاّ يُتّهموا بأنّهم من المتحيّزين المتطرّفين جنسيّاً أو عرقيّاً. ويكره الأساتذة على استخدام ضمائر نوع اجتماعيّ (جندر) سخيفة عند مخاطبة الطّلبة كي لا يرتكبوا، في حالات أخرى، جريمة كراهية (أنظر، مثلاً، مشروع القانون الكنديّ 6 الخاصّاً بتعديل قانون حقوق الإنسان والقانون الجنائيّ). ويُطالب طلبة الجامعة بـ'حميتهم' من الأفكار المتعارضة مع أفكارهم في حين يُحذّره المسؤولون الإداريّون من ارتداء ملابس هالوين 'عدائيّة'. ويخشى السّياسيون من نقد الإسلام أو سياسات الهجرة عبر الحدود المفتوحة مخافة أن يوسموا بالتعصّب. وعموماً، يشعر الناس بالهلع من مناصرة أيّ رأي قد يودّي إلى نبذهم من النّادي الصّائب سياسياً (حاول أن تكون جمهورياً مُحافظاً في هوليوود أو في حرم جامعيّ). هذه الأشكال من الدّعر والهلع توهم وتُضعف ثقافتنا لأنّنا لم نعد قادرين على التّحدّث مع بعضنا بعضاً باستخدام خطاب عقلائيّ وحصيف، ومتحرّر، في حالات أخرى، من العقليّة الدوغمائيّة

المتزمتة والقبلية. وفي هذا الكتاب، شرعت في وصف إجتماع القوى التي تُهدد التزام الغرب بالحرية، والعقل والليبرالية الحقة (ومن هنا، موت الغرب البطيء والمؤلم بألفٍ من الجروح). وفي الختام، فإن آية محاولة لتحديد ما يُمكن للأفراد التفكير فيه أو قوله من شأنه أن يُنهك ويُخلخل الأيُّوس أو السمة المُعرّفة للغرب، أي الإلتزام الحرّ والمُطلق بالبحث عن الحقيقة الطليقة غير المُكبَّلة بأغلال شرطة الفكر.



الشكل رقم 1: موت الغرب البطيء والمؤلم بألفٍ من الجروح

تناول عددٌ قليلٌ من الكتب رواج المشاعر المناهضة للفكر،

والعقل، والعلم، والليبرالية⁽¹⁶⁾، والحركات المحددة التي تقف وراءها (أقصد بذلك ما بعد الحداثة، والنسوية الراديكالية، والتعددية الثقافية بوصفها فلسفة سياسية، وسياسات الهوية).⁽¹⁷⁾

(16) من أمثلة هذه الدراسات:

Richard Hofstadter, *Anti-Intellectualism in American Life* معاداة الفكر في الحياة الأمريكية (New York: Knopf, 1963); Allan Bloom, *The Closing of the American Mind* إقفال العقل الأمريكي (New York: Simon & Schuster, 1987); Jonathan Rauch, *Kindly Inquisitors: The New Attacks on Free Thought* المحققون اللطفاء: الهجومات الجديدة على الفكر الحر (Chicago: University of Chicago Press, 1995); Greg Lukianoff, *Unlearning Liberty: Campus Censorship and the End of the American Debate* نسيان الحرية: الرقابة في الحرم الجامعي ونهاية السجال الأمريكي (New York: Encounter Books, 2012); Heather Mac Donald, *The Diversity Delusion: How Race and Gender Pandering Corrupt the University and Undermine Our Culture* وهم التنوع: كيف يُفسد العرق والنوع الاجتماعي الجامعة ويقوض ثقافتنا (New York: St. Martin's Press, 2018); and Greg Lukianoff and Jonathan Haidt, *The Coddling of the American Mind: How Good Intentions and Bad Ideas Are Setting Up a Generation for Failure* تدليل العقل الأمريكي: كيف تُهين المقاصد الجيدة والأفكار السيئة جيلاً للفشل (New York: Penguin Press, 2018).

(17) من أمثلة هذه الدراسات:

Paul R. Gross and Norman Levitt, *Higher Superstition: The Academic Left and Its Quarrels with Science* الخرافة العالية: اليسار الأكاديمي ونزاعاته مع العلم (Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 1994); Alan Charles Kors and Harvey Silverglate, *The Shadow University: The Betrayal of Liberty on America's Campuses* جامعة الظل: خيانة الحرية في حرم الجامعات (New York: The Free Press, 1998); Alan Sokal and Jean Bricmont, *Fashionable Nonsense: Postmodern Intellectuals' Abuse of Science* ترهات عصرية: ابتذال مفكري ما بعد الحداثة للعلم (New York: Picador, 1999); Daphne Patai and Noretta Koertge, *Professing Feminism: Cautionary Tales from the Strange World of Women's Studies* الاعتراف بالنسوية: حكايات من العالم الغريب للنساء (New York: Basic Books, 1994); Salim Mansur, *Delectable Lie: A Liberal Repudiation of Multiculturalism* كذبة سائفة: الإنكار الليبرالي للتعددية الثقافية (Brantford, Ontario: Mantua Books, 2011); and Bruce Bawer, *The*

وهذا الكتاب يفتل جميع هذه القوى الشائنة معًا، إلى جانب القوى الجديدة، لتوضيح دورها في بروز الصوابية السياسية الخائفة الحالية، التي تفرضها شرطة الفكر بمساعدة جيشها من المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية (وهي ظاهرة حديثة). إنه يُقدم معالجة جديدة لروح العصر الثقافية الحالية في حرم الجامعات والخطاب العام. وختامًا فإنه يُسلط الضوء على العواقب الجوهرية والعملية التي تترتب على هذه الحركات المناهضة للحرية، والصدق في العالم الواقعي. إن هذه الحركات تُبين فشل الغرب في إجراء نقاش صريح وعقلاني بشأن موقع الإسلام في مجتمعاتنا العلمانية، والليبرالية، والحديثة. وهي تُساعد أيضًا في تفسير رد الفعل الشعبي ضد الصوابية السياسية-وتهديداتها للحرية والصدق-التي نلاحظها في الصعود المذهل لدونالد ترامب إلى سدة الرئاسة في الولايات المتحدة. وما لم نربح معركة الأفكار، فإن أعداء البصيرة والرشد، إضافة إلى فيروسات العقل التي ينشرونها وينقلونها، ستزج بمجتمعاتنا الحرة في طريق التدمير الذاتي الأهوج.

Victims' Revolution: The Rise of Identity Studies and the Closing of the Liberal Mind (New York: انورة المضطهدين: بروز دراسات الهوية وانغلاق العقل الليبرالي HarperCollins, 2012).

الفصل الثاني

التفكير مقابل الشعور، الحقيقة مقابل المشاعر الجارحة

«العقل عبْدٌ، وينبغي أن يكون عبْدًا، للعواطف، ولا يمكن أن يزعم لنفسه أيّ وظيفة أخرى سوى خدمتها وطاعتها».

ديفيد هيوم⁽¹⁸⁾

«لطالما شعرت أنّ العالم يدين للعالم بشيء واحد فقط، وهذا الشيء هو الحقيقة مثلما يراها. فإذا كانت الحقيقة تتعارض مع المعتقدات الرّاسخة، فهذا أمر سيّء للغاية. اللياقة والدبلوماسية رائعان في العلاقات الدّوليّة، وفي السّياسة، وربّما حتّى في الأعمال؛ أمّا في العلم، فليس هناك سوى شيء واحد مهمّ. وهذا الشيء هو الحقائق.»

هانز يورغن آيزنك⁽¹⁹⁾

(18) David Hume, *A Treatise of Human Nature*, رسالة في الطّبيعة البشريّة، 1739 edition (Oxford: Clarendon Press, 1896), 415.

(19) Hans J. Eysenck, *Rebel with a Cause* متمرّد ذو قضيّة (London: W. H. Allen & Co., 1990), 119.

وفي وصفه لسجالٍ عن وجود الرّب مع (دوغ غيڤت) أستاذ الفلسفة حاليًا في مدرسة تالبوت اللاهوتية في جامعة بيولا، ذكر صديقي الطيّب، ومؤسس جمعية الإرتياب العلميّ مايكل شيرمر الآتي:

إحتتم (غيڤت) عرضه التّقديميّ المبدئيّ بالتّوضيح أنّنا نواجه هنا خيار إمّا كذا وإمّا كذا: إمّا أنّ الرّب يوجد، وإمّا أنّه لا يوجد؛ إمّا أنّ الكون مخلوق وإمّا لا؛ إمّا أنّ الحياة مُحطّط لها وإمّا لا؛ إمّا أنّ الأخلاق طبيعيّة وإمّا لا؛ إمّا أنّ المسيح قد بُعث من الموت وإمّا لا.

إبتدأت ردّي بتوضيح هو أنّ هناك نوعين من النظريّات لا غير، هما: النظريّات التي تُقسّم العالم إلى نوعين من النظريّات، والنظريّات التي لا تفعل ذلك. (20)

تحملُ فكاهاة شيرمر اللامعة في طياتها رسالةً إستمولوجيّة (معرفيّة) معتبرة: هي أنّ السّعي إلى المعرفة لا يتوافق دائمًا توافقًا دقيقًا مع التّقسيمات الصّارمة. ويميلُ العديد من الباحثين إلى التّعامل مع الظواهر وفق الحقائق الثّنائيّة، وهو ما أسميته بـ'هوس التّقسيم الإبستمولوجي'. (21) وهذا الهوس ينبع من الرّغبة في خلق رؤية عمليّة ويسيرة للعالم تكون قابلة للاختبار العلميّ. جدير بالملاحظة

(20) Michael Shermer, *How We Believe: Science, Skepticism, and the Search for God* (New York: Henry Holt, 2000), 90.

(21) Gad Saad, "Evolutionary Consumer Psychology," *علم نفس المُستهلك دليل علم النفس التّطوّريّ* in *Handbook of Evolutionary Psychology*, ed. David M. Buss (New York: Wiley, 2015), 1143–60.

أنّ التّقسيمات تكون، أحياناً، خاطئةً إلى حدّ بعيدٍ، مثل سجل الطّبيعة - التّنشئة. فعلى حدّ تعبير عالم الأحياء، مات ريدلي: «الطّبيعة مقابل التّنشئة لم يعد لها وجود». (22) إنّ الكثير ممّا نحن عليه ناتج عن مزيج أبديّ لجيناتنا وبيئتنا. (23) وإضافةً إلى ذلك، توجد الأنماط العالميّة للتّنشئة الاجتماعيّة (التّنشئة) في أشكالها [المعروفة] بسبب الإملاءات البايولوجيّة (الطّبيعة). والرّغبة في تقسيم العالم إلى أشكالٍ ثنائيّة تقع في صلب التّقسيم المبنيّ على التّفكير مقابل الشّعور، وهذا يؤدّي إلى خلق عقليّة إقصائيّة خاطئة. نحن حيوانات تُفكّر وتشعر في آنٍ معاً. ويكمنُ التّحدّي في معرفة متى تُنشط أنظمة (التّفكير) المعرفيّ مقابل أنظمة (الشّعور) الوجدانيّة.

عندما تُفكّر في الإعلانات التجاريّة عن العطور، ما الذي يخطر ببالك؟ من غير المحتمل أن يخطر ببالك المختصّ الكيميائيّ في جامعة هارفارد مرتدياً بدلة العمل في المختبر، ومنهمكاً في شرح المعادلة الكيميائيّة للوصفة العطريّة المستخدمة في إنتاج العطر. وبنحوٍ مماثل، من غير المرجّح أن يكون إسم العلامة التجاريّة إسمًا تقنيًا مثل إنسالديهايد - يوجينول اكس 2000. بدلاً من ذلك، يبيع الإعلان التجاريّ الأنموذجيّ عن العطور، الجنس، والحبّ، والخيال،

(22) Matt Ridley, *Nature Via Nurture: Genes, Experience, & What Makes Us Human* (New York: HarperCollins, 2003), 280.

(23) Gad Saad, *The Consuming Instinct: What Juicy Burgers, Ferraris, Pornography, and Gift Giving Reveal about Human Nature*: غريزة الاستهلاك: ما الذي تكشفه شطائر الهمبرغر الشهية، وسيارات الفيراري، والإباحية، وتقديم الهدية (Amherst, New York: Prometheus Books, 2011) عن الطّبيعة البشريّة.

والعاطفة. قد تظهر في الإعلان امرأة جميلةً بشعر مناسب طويل تركب حصاناً متبوعاً بكلمة واحدة هي إسم العطر، من مثل اوبسشن (هوس) واسكيب (هروب) والور (جاذبية) وميستينغ (غموض) أو ديسينغ (رغبة) (وجميعها أسماء علامات تجارية حقيقية). العطور منتجات تلذذية؛ ولأنها كذلك، يجب عليها أن تستثير مشاعرنا. إذا كان أحدهم يُصمّم إعلاناً تجارياً لصندوق استثماري متبادل، فإنّ مضمون الإعلان، وإسم العلامة التجارية سيكونان مختلفين تماماً. وفي هذه الحالة، وبما أنّ الصندوق الاستثماري هو منتجٌ وظيفيٌ ونفعيٌ، يجب على الإعلان أن يستثير النظام المعرفي (cognitive) عند الرائي. قد يُقنعك وجه إعلاني جميل بشراء عطر، لا الاستثمار في صندوق استثماري. ويفترض نموذج احتمالية التفصيل أنّ المستهلكين يستخدمون واحدة من طريقتين للإقناع عند معالجة رسالة ما.⁽²⁴⁾ تشتمل الطريقة الأساسية على بذل جهدٍ معرفي، إذ سيقيم المستهلك، بدقةٍ وحذرٍ، المضمون المعلوماتي العملي في الرسالة (مثلاً، الأسباب السبعة التي تُبين لم هذا الصندوق الاستثماري المحدد هو الأفضل من حيث الاستثمار فيه). من جانبٍ آخر، تستند الطريقة الهامشية إلى استخدام مؤشرات غير عملية في التوصل إلى قرار بشأن الاستثمار في الصندوق. والمؤشر الهامشي، في هذه الحالة، لا علاقة مباشرة له بالحكم على المزايا المنطقية للرسالة.

(24) Richard E. Petty and John T. Cacioppo, "The Elaboration Likelihood Model of Persuasion" "نموذج احتمالية التفصيل الخاص بالإقناع" in *Advances in Experimental Social Psychology* التجريبي الاجتماعي النفس الاجتماعي، ed. Leonard Berkowitz, 19 (New York: Academic Press, 1986), 123–205.

ويعتمد الطّريق الذي يجري تنشيطه لدى المستهلك على دافعه وقدرته على معالجة المعلومات. وعلى العموم، فإنّ الموقف الذي يكون فيه المكوّنان الوجدانيّ والمعرفيّ متناغمين سيُبدى مقاومةً أكبر للتّغيير (أنظر، على سبيل المثال، نظريّة الاتّساق العاطفيّ-المعرفيّ لروزنبرغ).⁽²⁵⁾ فلهستيريا المنفصلة المحيطة بدونالد ترامب متجذّرة في المعالجة الهامشيّة ('تكلّفه وتصنّعه يُثيران إشمئزازي'). ربّما من الأفضل لمنتقدي ترامب أن يبذلوا جهدًا أكبر في تفعيل طريقتهم الرّئيسة في الإقناع من خلال تقييم مواقفه في السّياسة بأسلوبٍ موضوعيّ ومتجرّد.

وقد استُثمرت سلسلة نماذج التّأثيرات في التّسويق والإعلان لوصف مراحل (التّفكير) المعرفيّ، و(الشّعور) العاطفيّ، و(السّلك) الإراديّ التي يمرُّ بها المستهلك بعد مشاهدته إعلانًا أو استماعه إليه. سيكون للمنتجات التي تتطلّب مستوى عاليًا من المشاركة والإنخراط (مثل اختيار صندوق استثماريّ) سلسلةً من التّأثيرات مختلفةً عن نظيراتها التي لا تتطلّب إنخراطًا عميقًا (مثل شراء قطعة حلوى) في النّوع الأوّل من المنتجات، تتألّف السّلسلة الوظيفيّة من التّفكير-الشّعور-السّلك: إنّ رأي مدرّس يؤدّي إلى الإعجاب

(25) M. J. Rosenberg, "An Analysis of Affective-Cognitive Consistency," "تحليل الاتساق العاطفي-المعرفيّ" in *Attitude Organization and Change: An Analysis of Consistency Among Attitude Components*, تنظيم الموقف وتغييره: تحليل الاتساق بين مكونات الموقف eds. C. I. Hovland and M. J. Rosenberg (New Haven, Connecticut: Yale University Press, 1960), 15-64.

بالمنتج، وبالتالي، شرائه. أما في حالة سلع النزوة، فتتألف السلسلة من الشعور - السلوك - التفكير: أي شعور إيجابي يؤدي إلى شراء مبني على نزوة، وإذا يتشكّل الرأى بعد الشراء. إنّ الشيء المتأصل في السلاسل المتنوعة هو الإقرار أنّ كلّاً من المعرفة والإنفعالات مهمّان في عملية صنع القرار. وبقولٍ مختلفٍ، لسنا بحاجةٍ إلى قراءة التفكير والشعور بوصفهما معارضين إحداهما للآخر، فكلاهما مكوّن جوهريّ في صنع القرار. وتقع المشكلات عندما نستخدم السلسلة الخطأ في اتخاذ قرار ما. ينبغي، في سبيل المثال، قراءة مسألة اختيار المرشح الرئاسيّ الذي ستصوّت له بوصفه قرارًا يتطلّب انخراطًا عاليًا، ووفق ذلك، يجب على الناخب العقلانيّ، أولاً، أن يستخدم نظامه المعرفيّ بدلاً من نظامه العاطفيّ. مع ذلك، بدأ العديد من الناخبين المهستيريين المعادين لترامب بكراهية عاطفيّة أحشائيّة للرجل، ثمّ عاجلوا المعلومات اللاحقة بأسلوبٍ يدعم موقفهم العاطفيّ المسبق.

إنّ المقولة المأثورة: «لا تدع عواطفك تقودك» هي وصف مناسبٌ للطريقة التي يتعامل بها الكثير من الناس مع صنع القرار السليم. وبناءً على هذا المنظور، فإنّ الشّخص العقلانيّ يُفكّر في مقابل اللاعقلانيّ الذي يشعر. كان علماء الإقتصاد الكلاسيكيّون يُفكّرون بالبشر، تقليدياً، بوصفهم فواعل عقلانيّين للغاية، يتخذون قراراتهم بناءً على مبدأ التكلفة-الفائدة. والنموذج الأصليّ لصانع القرار الجيّد هو السيّد (سبوك) في مسلسل حرب النجوم؛ فهو فاعل منطقيّ تماماً دون أيّ مشتتات عاطفيّة. أتذكّر خطاباً ألقاه الإقتصاديّ جورج

لويوينستين في مؤتمر الجمعية الدولية للبحوث في الاقتصاد وعلم النفس في 1995 في مدينة بيرجن، في النرويج، إذ توسّل بزملائه الإقتصاديّين لتضمين الحالات الأحشائيّة مثل، الإشتهاء، والغضب، والجوع، والخوف في فهمنا لصنع القرار البشريّ. وبينما كنت أصغي إلى محاضرتة، واصلت التفكير: «بلا مزاح! من يجهل ذلك؟» وبصفتي أستاذًا مساعدًا شابًا في ذلك الوقت، أدهشني أن يُشكّل ما قاله لويوينستين خبرًا جديدًا لأيّ شخص، دعك من علماء النفس الإقتصاديّين المتمرّسين. إذ يبدو بديهياً لي أنّ من المنطقيّ تمامًا أن يكون المرء كائنًا عاطفيًا، عندما يستثمر عواطفه في السياق المناسب.

تخدم الإنفعالات، مثل السعادة، والخوف، والإشتهاء، والإشمزاز، أو الحسد، بوصفها حلولاً لتحديات تطوريّة متكرّرة واجهها أسلافنا.⁽²⁶⁾ لنضرب مثلاً الغيرة العاطفيّة. أيّ من النّصين السينمائيّين الآتين، في اعتقادك، أكثر إيلاّمًا لك عاطفيًا: ارتكاب شريكك خيانةً جنسيّةً أم ارتكابه/ها خيانةً عاطفيّةً؟ أظهر عالم النفس التطوّريّ، ديفيد باس، وزملاؤه أنّ الرّجال يستجيبون بقسوة أكبر للخيانة الجنسيّة (لأنّ ذلك يؤدّي إلى الخشية من الأبوة غير المؤكّدة بالنسبة إلى الأطفال) بينما تُظهر النساء انزعاجًا أكبر وشعورًا بالخذلان جرّاء الخيانة العاطفيّة (لأنّ ذلك يُعدّ مؤشرًا أعمق على عدم

(26) Randolph M. Nesse and Phoebe C. Ellsworth, "Evolution, Emotions, and Emotional Disorders," *American Psychologist* 64, no. 2 (2009): 129–39.

رغبة الرجل في الالتزام بعلاقة طويلة الأمد).⁽²⁷⁾ يستجيب الرجال والنساء للخيانة على وفق تحديات الزواج الخاصة بجنسهم. والعواطف المثارة تكون عقلانية كلية حينما يُنظر إليها عبر عدسات تطورية.

في كتابه المعنون *التفكير السريع والبطيء*، الذي تبوأ قائمة أفضل المبيعات في العام 2011، يُحاجج عالم النفس والاقتصادي الحائز على جائزة نوبل، دانييل كانيمان، أن البشر يتمتعون بنظامي تفكير هما: **النظام الأول** الذي يتألف من عمليات سريعة، وحدسية، وآلية، وعاطفية وغريزية وغير واعية؛ و**نظام ثاني** الذي يتشكل من عمليات بطيئة، ومتعمدة، وتحليلية، ومنطقية وواعية. وليس مستغرباً أن البشر يتمتعون بالقدرة على استخدام مدى واسع من الاستراتيجيات المعرفية والعاطفية عند اتخاذ القرارات. وأيضاً لا غرابة في المدى الذي يختلف فيه الناس في الاعتماد على مشاعرهم مقابل تفكيرهم عند تحديد اختياراتهم.⁽²⁸⁾ وتنشأ المشكلة عندما تختطف المشاعر الميادين التي يجب حجزها للفكر والعقل. وهذا بالضبط ما أصاب جامعاتنا: فما كانت في الماضي مراكز للتطور الفكري قد أضحت ملاذات للهش والواهن عاطفياً. لم يعد السعي وراء الحقيقة هو الشعار المحرك

(27) David M. Buss *et al.*, "Sex Differences in Jealousy: Evolution, Physiology, and Psychology," *علم وظائف الأعضاء، التطور، الغيرة: الفوارق المبنية على الجنس في الغيرة: التطور، علم وظائف الأعضاء، وعلم النفس Psychological Science* 3, no. 4 (1992): 251–55.

(28) Christopher K. Hsee *et al.*, "Lay Rationalism: Individual Differences in Using Reason versus Feelings to Guide Decisions," *الفروق العقلانية العادية: الفروق Journal of Marketing Research* 52 (February 2015): 134–46.

للجامعة، بل أصبح هذا الشعار هو تدليل المشاعر الجارحة.

الحقيقة مقابل المشاعر الجارحة

في الخامس عشر من تشرين الثاني، عام 2017، مُستخدماً موقع ويكيبيديا بوصفه أداةً بحثيةً، أجريت تحليلاً سريعاً وغير رسمي، كما هو واضح، لشعارات الجامعة. ووجدت أن هناك مائة وثمان وعشرين كلمة ماثلة لكلمة الحقيقة، وست وأربعين مطابقة لكلمة الحكمة، وواحد وستين لكلمة العلم، في حين لم ترد كلمة واحدة ماثلة لكلمة عاطفة، أو شعور. شعار جامعة هارفرد، مثلاً، هو Veritas (الحقيقة) وشعار جامعة ييل هو Lux et Veritas (النور والحقيقة). إن مؤسسات التعليم العالي المهيبة هذه لم تُشيد على روح المشاعر، بل على السعي الصّارم وراء الحقيقة. ومع ذلك، وفي جميع مؤسساتنا-من الجامعات إلى وسائل الإعلام، إلى النظام القضائي، وإلى المعتكف السياسي- نجد الحقيقة في تراجع مستمرّ لصالح المشاعر. وهذا صحيح في الولايات المتحدة، وأيضاً في كندا، وفي الجزء الأكبر من العالم الغربيّ.

والمثال الذي تقشعر له الأبدان، بشكل استثنائي، والمفيد في آن معاً على هذا التوجّه المفزع وقع في هولندا في العام 2010. إذ أُتهم (خيرت فيلدرز) عضو البرلمان الهولنديّ، بإرتكاب عددٍ كبيرٍ من الجرائم لأنّه تجرّأ على إنتقاد الإسلام وتأثيره المتنامي في بلاده. لذا يجب على أيّ قارئ عاشق للحريّة أن يشعر بالفزع؛ لأنّ إنتقاد الدّين يُعدّ حالياً خطاب كراهية في العديد من البلدان الغربيّة. وبوصفه

جزءاً من استراتيجية الدفاع التي اعتمدها، حرص السيد (فيلدرز) على استدعاء شهود خبراء لإثبات صحة مواقفه العامة التي صرح بها. وكان الرد من مكتب المدعي العام مُدهشاً حقاً: «ليس مُهماً في ما إذا كان شهود فيلدرز سيثبتون صحة ملاحظاته. ما يهم هو أن ملاحظاته غير قانونية». (29) في مجتمع حرّ، يجب أن يتمتع الناس بالحق في نقد الدين؛ يجب أن يكون لهم الحق في ذلك، وبالطبع، فإن النقود التي يقدمونها في ذاتها عرضة للنقد؛ وهذا هو جوهر حرية التعبير والفكر. وقد تجاوز الإدعاء العام، في هذه الحالة، الحدود الأوروبية (نسبة إلى الروائي البريطاني جورج أورويل) إذ ذكر بأسلوبٍ قاطعٍ لا لبس فيه، أن قول الحقيقة قد يكون غير قانوني. وهذه العقلية ما برحت تستشري في العالم الأكاديمي، وهي تندرج تحت تسمية المعرفة المُحرّمة (راجع القضية الأخيرة لنوا كارل الذي تجرّأ على دعم حقّ الباحثين في دراسة العلاقة بين العرق والذكاء). (30)

وشاركت، في آب عام 2017، للمرة الخامسة في تجربة (جو روغان) وبالنسبة للذين لا معرفة لهم بالبث الصوتي أو البودكاست، فهو مارثون حوارّي يستغرق، في المعتاد، قرابة الثلاث ساعات.

(29) Mark Steyn, "The Absurd Trial of Geert Wilders," محاكمة خيرت فيلدرز "Maclean's, February 18, 2010,

<https://www.macleans.ca/general/%20/the-absurd-trial-of-geert-wilders/>.

(30) "Academics' Mobbing of a Young Scholar Must Be Denounced," مضايقه العالم الأكاديمي لباحث شابٍ يجب أن تُدان "Quillette, December 7, 2018, <https://quillette.com/2018/12/07/academics-mobbing-of-a-young-scholar-must-be-denounced/>.

سألني (جو) في أثناء حديثنا، عن البحث العلمي في موضوعات حساسة محتملة. وأورد في أدناه، المقتطف الخاص بالموضوع في حديثي:

جاد سعد: عندما شاركت في برنامج (سام هاريس) تعرّف في وقت سابق من هذا العام، قبل قرابة الستة أو السبعة شهور، سألني: «هل هناك أيّ موضوع بحثي لن تُقدِّم على تناوله في مسيرتك العلمية، أي موضوع مُحَرَّم كُليًّا؟» وكان جوابي: «كلا». فطالما توجه سؤالك بصدق وموضوعيّة، فلا يجب أن يكون هناك أيّ شيء محظور. لأنّه عندها سيكون من السّهل للغاية القول: «لا يجب أن ندرس الاختلافات بين الجنسين لأنّها قد تُهمّش هذا الجنس أو ذاك. وللأسباب ذاتها، لا يجب دراسة الاختلافات العرقية»، وهلم جرا. تغدو هذه موضوعات مُحَرَّمة. كلاً. إنّ المثال الأكثر سمواً الذي يجب على أيّ شخصٍ صادقٍ السّعي إليه هو الحقيقة... إذن، لا تُثقل نفسك بالصّوابيّة السياسيّة، فقط اسع وراء الحقيقة. وأحسب أنّ أحد الأسباب التي جعلت رسالة بيترسن جوردن ورسالتي يجدان صدى لهما عند الكثير من النّاس هو أنّهم، على الأقل، يرون أنّنا ننسب إلى ذلك المثال أفضل ما لدينا من قدرات.

روغان: ماذا لو كانت الحقيقة تؤذي مشاعرك؟

جاد سعد: اللعنة على مشاعرك.

روغان: [مُنْبَهراً] اووووهههههههه!

مكتبة
t.me/soramnqraa

ثمة إجتاهان أخلاقيّان أساسيان يوجّهان سلوك الناس اليوميّ هما: أخلاقيّات الواجبات وأخلاقيّات العواقب. يكشف النوع الأوّل من الأخلاقيّات عن رؤية مطلقة للمعايير الأخلاقيّة (لا يصحّ أبدًا أن تكذب) بينما يُقيم النوع الثاني المزايا الأخلاقيّة لفعلٍ ما بناءً على ما يترتب عليه من عواقب (الكذب مراعاةً لمشاعر الناس مقبول أحيانًا). والواقع أنّ أكثرية الناس يعملون في ظلّ النظامين كليهما. فإذا سألتك زوجتك، مثلاً، إذا ما كانت تبدو بدينة، فمن المحتمل أنّك ستُجيبها بـ «كلّا» دون أيّ تردّد بصرف النّظر عمّا تعتقده فعلاً في حين يرى أكثرية الناس، من جهةٍ أخرى، أنّ من الخطأ أخلاقيّاً، وتحت جميع الظروف، التّحرّش الجنسيّ بالأطفال. وتؤكد وجهة النّظر الأخلاقيّة -الخاصّة بالواجبات - في ما يتّصل بالسّعي خلف الحقيقة أنّ انتهاك الحقيقة أو قمعها غير مُبرّر بالمرّة. مقابل ذلك، يؤكّد المنظور المبنيّ على أخلاقيّات العواقب أنّ الحقيقة يجب أن تُعدّل، وتُلقق، أو تُقمع لتجنّب عواقب وخيمة مثل جرح المشاعر. والجزء الأكبر من الخبل الذي نلاحظه من المعسكر «التّقدّميّ» هو نتاج لأخلاقيّات العواقب عندما يتعلّق الأمر بالحقيقة.

يجب على أيّ مجهود بشريّ متجدّد في السّعي وراء الحقيقة أن يستند إلى الحقائق لا المشاعر. وتُشكّل الإجراءات القانونيّة أحد هذه المجهودات. إذ إنّنا لا نعتمد على المشاعر في تحديد براءة المُتّهمين أو إدانتهم؛ بل نعتمد، بدلاً من ذلك، على نطاقٍ واسع، على الحقائق المتوفّرة في القضيّة. إنّ عتبة إثبات الدّنب عالية بصورة متعمّدة: إذ يجب أن تكون الأدلّة المتراكمة قاطعة ومتجاوزة لعتبة الشكّ المعقول

لإدانة شخصٍ ما. والعتبة الإستدلالية الخاصة بالكشف عن الحقائق العلمية يجب أن تكون حتى أكثر تشدّدًا وصرامةً من الأدلة المتوقعة في الميدان القضائيّ.

وإحدى المشكلات التي نواجهها اليوم هي أن دعاة أخلاقيات العواقب يُسهمون في جعل فضيلة حيازة المشاعر تغشى على أحكامنا لا لتجنّب المشاعر الجارحة فحسب، بل بسبب النّظر إلى المشاعر بوصفها دليلًا على الأصالة، أيضًا. ومثلما لاحظ ثيودور دالريمب، المعالج النفسيّ في أحد السّجون البريطانيّة: «أليس صحيحًا أنّنا نعيش في عصر سلس العواطف، إذ يُعتقد أن من يُبالغ في إطلاق العنان لعواطفه هو الأكثر شعورًا وإحساسًا؟»⁽³¹⁾ مع ذلك، تذكّر أن الغضب المُخلص والحقيقيّ الذي يُبديه المرء نادرًا ما يكشف شيئًا عن حقيقة موقفه أو بطلانه.

دونالد ترامب سيقضي على العالم

عندما فاز (دونالد ترامب) في الانتخابات الرّئاسيّة في العام 2016، تمّلكتني الحيرة من الهستيريا الشّاملة النّفسية المنشأ التي ابتلعت زملائي الأكاديميين، والعدد الهائل من الأشخاص ضمن دائرة علاقاتي الاجتماعيّة. كان سوق البورصة على وشك الانهيار وعدم النّهوض من كبوته أبدًا. وكان ترامب على وشك القضاء على الديمقراطيّة. والأقليات على وشك الانقراض. وكان ترامب أيضًا

رجل عجوز أحمق ""A Foolish, Fond Old Man," Theodore Dalrymple, (2007): 777. *BMJ* 335, no. 7623 (2007): 777. "وشغوف

قاب قوسين أو أدنى من الشروع في هولوكوست نووية. كانت صلاته المفترضة بالعنصريين المتعصبين للتفوق الأبيض ستطلق موجة جديدة من معاداة السامية الماحقة في أمريكا الشمالية. وقررت أن أهجو هذا الاختبال الشديد بثّ مقطع في قناتي الخاصة على اليوتيوب يصورني مختبئاً تحت المنضدة (في غرفة المكتب) لتجنب إلقاء القبض عليّ على يد فرق الموت الكارهة لليهود.⁽³²⁾ وقد نشرت، منذ ذلك الحين، عدّة أجزاء أخرى من مقاطع «الاختباء تحت المنضدة»، من بينها مقطع عن تعيين القاضي بریت كافانو قاضياً في المحكمة العليا الأمريكية، ومقطع آخر قبل وقتٍ قصيرٍ من استضافة البروفيسورة (راشيل فالتن براون) في برنامجي. تمتعت راشيل بـ «الجرأة» على كتابة منشور في مدوّنة تُثني على الرجال البيض (لأنهم كانوا فاعلين في حمل شعلة تأسيس الحرّيات الإنعتاقية التي نحظى بها في الغرب الآن، ومنها حقوق النساء).⁽³³⁾ وهذا أدّى إلى إتهام زملائها لها بأنها عنصرية متعصبة ببيضاء ومروّجة للكراهية، ومنهم البروفيسورة دوروثي كم، التي يفترض أن تكون تعليقات براون قد

(32) Gad Saad, "Tell My Wife That I Love Her," *THE SAAD TRUTH* 343, January 20, 2017, YouTube video, <https://www.youtube.com/watch?v=LquFudV-nLA>.

(33) Rachel Brown, "Talking Points: Three Cheers for White Men," نقاط "للحوار: ثلاثة هتافات للرجال البيض" Fencing Bear at Prayer Blog, June 5, 2015, <https://fencingbearatprayer.blogspot.com/2015/06/talking-points-three-cheers-for-white.html>.

شكّلت تهديدًا وجوديًا لها لأتّها «من الملّونين». (34)

ما الذي يُفسّر هستيريا مخالفة للعقل مثل هذه لا سيّما حينما يقوم على نشرها أكاديميون يُفترض أنهم متمرّسون؟ لقد ذكرت أنّ (دونالد ترامب) يُمثّل جرحًا جماليًا غائرًا وأحشائيًا لحساسيات البرج العالي المتغطرس. فترامب هو النقيض للدبلوماسيّ المتحفّظ الذي يُرسل رسائل الأمل المُبتذل المتأنّقة والفصيحة ظاهريًا. هل يُمكنك التفكير في رئيس حديثٍ للولايات المتّحدة كان بطل العالم في إرسال رسائل مثل هذه، ويحظى بتوقير الطبقة المُثقّفة بوصفه المسيح المُخلّص الأخير والنّهائيّ؟ ربّما يكون التلميح مُفيدًا هنا: فوز الرئيس بجائزة نوبل للسلام، أساسًا بسبب إثرائه العالم برسالته عن الحبّ، والسلام، والأمل. كان الموعد النهائيّ للترشيح للجائزة بعد أحد عشر يومًا من تنصيبه رئيسًا! وعلى هذا الأساس، فإنّه قد مُنح الجائزة عن «الإنجازات» التي حقّقها قبل أن يُصبح رئيسًا. حاز بعضهم جوائز نوبل بعد قضائهم سبعة وعشرين عامًا في السّجن في سعيهم لمحاربة التّمييز العنصريّ (نيلسون ماندلا). وبعضهم الآخر حازها لأنّه يملك إبتسامه الأمل المُشرق الجذابة والمشعّة. إنّها فائزان جديران بالتساوي، وإذا فكّرت خلاف ذلك، فأنت عنصريّ. باراك أوباما فخمٌ للغاية في أسلوبه الشّخصيّ. إنّهُ طويل القامة، ونحيل،

(34) Peter Wood, "Anatomy of a Smear," *Inside Higher Ed*, September 10, 2018,

<https://www.insidehighered.com/views/2018/09/10/slurring-medieval-scholar-attempt-silence-those-who-disagree-opinion>.

وأنيق. وطريقة إلقاءه والإيقاع في حديثه شجيان ومتناغمان. وهو مهذبٌ وذو كياسة بأسلوبٍ يروق للذين يسكرون بمجرد شمههم لسدادة قنينة الخمر (إنه تعبير عربيّ). ودونالد ترامب يُمثل النقيض له، فهو متهور، وأحمق، ومشاكس شرس، مُحبٌ للخصام. و«التقدميون» المعتوهون، الذين يُعدّ الممثل (روبرت دي نيرو) المخبول تمامًا أفضل تجسيد لهم، غاضبون منه دائمًا وأبدًا. إنهم مشتمزون ومتقززون أحشائيًا، ولا يتوفرون على نظرية عقلٍ قد تسمح لهم بوضع أنفسهم في موضع الثلاثة وستين مليون أمريكيّ الذين صوتوا لترامب. وربما يُساعدهم التحليل الآتي في إدراك هذا الأمر.

وبعد هذا الاختلال السياسيّ المهمّ الذي هزّ العالم، شاهدت عددًا لا يُحصى من الأشخاص، من المفترض أن العديد منهم عقلائيون ومثقفون، يُقلّدون موقف (هيلاري كلنتون) «المستهجن». فبحسب وجهة النظر هذه، فإن العديد من قرابة الثلاثة وستين مليون ناخب الذين صوتوا لدونالد ترامب هم من السذج العنصريين، والعاجزين والمتخلفين الذين ينامون مع أشقائهم. وبداهة، لم يكن هذا المنظور في أيّ مكان أكثر تفشيًا منه في قاعات الدرس الأكاديمي. وإنه أمر مُحيرٌ وسخيف أن مفكرين متفوقين ومتمرسين قد يؤمنون فعلاً بهراء مثل هذا. وأودّ أن أقدم روايةً بديلةً تُفسّر انتصار ترامب بناءً على المبادئ المُستمدّة من نظرية القرار السلوكي⁽³⁵⁾ وبقول

(35) راجع مشاركتي في البث الصوتي (بودكاست) لسام هارس المعنون 'الاستيقاظ' قبيل يوم الانتخاب بقليل.

مقتضب، إذا كان عند ناخبك العاديّ خمس قضايا أساسية تشغل باله، وقيم كل مرشح بناءً عليها، وحدد موقعها من حيث الأهمية، لكان من السهل أن نفهم كيف أن أشخاصًا مُدرّكين تمامًا وعقلانيّين قد صوّتوا لصالح دونالد ترامب دون أن يكونوا متعصّبين بأسيّن يُرثى لحالهم. أو لنفكر في عملية اتخاذ قرار أسهل بكثير، أي القاعدة المعجمية التي تقول إن الناخب سيفكر مليًا فقط في القضية الأكثر أهمية بالنسبة إليه، وسيختار المرشح الذي يُسجّل أعلى النقاط فيها. ومن الوارد تمامًا أنه إذا كان الناخب يستخدم هذه القاعدة، فإنه كان سيصوّت لصالح ترامب بعددٍ وافرٍ من الطرائق المحتملة. (36) لم يتمكن من يكره ترامب أحشائيًا من أن يدرك أنه، في القضايا التي تتراوح من سياسة الهجرة، إلى سياسة الضرائب، إلى سياسة فرض القيود، إلى السياسة التجارية، إلى السياسة الخارجية، إلى تعيين القضاة الفيدراليّين... أنه قد تبنّى مواقف تروق لكثير من الأميركيّان العقلانيّين الذين يرغبون على سبيل المثال، في تطبيق للقانون الأكثر صرامةً في المناطق الحدودية، وسياسة خارجية قوامها مبدأ 'أمريكا أولاً'، واتفاقيات تجارية، وقضاة «دستوريّين» ورفع القيود، وخفض الضرائب. ركّز ترامب في حملته الانتخابية على هذه السياسات في حين ركّزت هيلاري في حملتها على الشّرّ المتمثل في الرجل البرتقاليّ

(36) للاطلاع على قائمة شاملة بقواعد [اتخاذ] القرار، أنظر

John Payne, James Bettman, and Eric Johnson, *The Adaptive Decision Maker* (New York: Cambridge University Press, 1993).
صانع القرار التكيفي

السّيء⁽³⁷⁾ (ومؤيديه). وليس بقدرة المصابين بمتلازمة خبل ترامب أن يستوعبوا أن التّصويت له كان قرارًا لا لبس في عقلانيّته بالنّسبة للناخبين الثلاثة والسّتين مليونًا.

نكبة بريت كافانو

عندما أقول شيئًا عن السّياسة الأمريكيّة، كثيرًا ما أذكر النّاس بأنّي كنديّ، وأن لا ناقة لي ولا جمل في ذلك النزاع. ومواقفي مبنية دائمًا على المبادئ الأساسيّة، فهي ليست متحيّزة على الإطلاق بالرّغبة في الولاء لأيّة قبيلة سياسيّة. وبصفتي مراقبًا مُحيدًا لقضيّة عضو البرلمان الهولندي (بريت كافانو) كنت مُستغربًا لإزدواجيّة السّياسيين الديمقراطيّين، وحرصهم على التّخلي عن افتراض البراءة بوصفه معيارًا قانونيًا غير قابل للتّفاوض (في تطوّر للتّفاهق الديمقراطيّ المتضخّم، يبدو أنّ شعار 'صدق جميع النّساء' #BelieveAllWomen) لا يصدق على الاتّهام الأكثر مصداقيّة الذي وجّه مؤخرًا إلى جو بايدن. لقد ألقت بضعة عقود من البحث العلميّ بظلال الشكّ على دقّة شهادة الشّهود، ودقّة الذاكرة البشريّة في المواقف القضائيّة.⁽³⁸⁾ ومع ذلك، كان السّياسيون

(37) تعبير ساخر يُستخدم للنّيل من منتقدي الرّئيس السّابق، دونالد ترامب. وهو يقترن في الغالب ب'الشّخصيّة غير القابلة للعب' التي يتحكّم بها الحاسوب في ألعاب الفيديو، ويصوّر الشّخص بوصفه مُبرمجًا بشعارات ساذجة لمعارضة رئاسة ترامب (المترجمة).

علم " Elizabeth F. Loftus, "Eyewitness Science and the Legal System," *Annual Review of Law and Social Science*, 14 (2018): الشاهد والنّظام القضائيّ: 1-10.

الديمقراطيون راغبين، بكل معنى الكلمة، في تجاهل المبادئ الأولى (ومن ضمنها افتراض البراءة) ومجموعة كبيرة من الأدلة العلمية. وبدلاً من ذلك، كانوا حريصين، بلا تردد، على أن يصدّقوا، بشكل صريح، شهادة بشأن حدث قد يكون وقع، أو ربّما لم يقع، قبل قرابة أربعة عقود. حلّت العصبية القبلية السياسية التي تتغذى على الإمتعاض العاطفي محلّ المنطق، والعلم، والعقل. فحالما أصبح واضحاً فشل مكتب التحقيقات الفيدراليّ في الكشف عن أية أدلة داعمة لإتهام (كريستين بلاسي فورد) بادر الديمقراطيون إلى تحريك عوارض المرمى. وحجر العثرة الجديد أمام ترشيح (كافانو) كان إفتقاره المزعوم لـ «المزاج القضائيّ». إذ كان شديد التقلّب عاطفياً ومضطرباً كثيراً ليكون عضواً متزناً وحصيفاً في المحكمة الأعلى في البلاد. وبقولٍ مختلفٍ، كان منتقدوه يجادلون الآن إنّ (كافانو) لا يُبدي الاستعداد المناسب ليكون قاضياً في المحكمة العليا. إنّ سخطه المُستحقّ واستيائه المُبرّر لم يُنسباً إلى الموقف قيد النقاش، بل ألقيا خطأً على كاهل شخصيته الفطرية. وهذا تحديداً ما يُسمّيه علماء النفس بـ 'خطأ العزو الأساسيّ'، أي تضخيم المدى الذي تكون فيه سمات الفرد الداخليّة (بمعنى شخصيته) مسؤولةً عن واقع ملاحظ، وفي الوقت نفسه الفشل في مراعاة الظروف المحيطة. إذ أتهم (كافانو) بارتكاب جرائم فظيعة (دون أيّ دليل ملموس) كانت مُدمرة لسمعته الشخصية والمهنية. وتخيّل اضطرابه إلى توضيح هذه الاتهامات لزوجته وبناته. لم يُنسب استيأؤه الغاضب عند تعاطيه مع بعض أعضاء مجلس الشيوخ الديمقراطيّين، بصورةٍ مناسبةٍ، إلى

الظلم الفاحش الذي لحق به قسراً، بل نُسبَ إلى شخصيته «المتقلبة». وأشكّ في أنّ هذا الإسناد الخاطيء لم يكن سوى إسنادٍ متعمّدٍ من جانب منتقديه.

وقد واجهت حالة إسناد خاطيء مماثلة حينما شمّرت عن ساعديّ، وطاردت شخصاً ما بكلّ قوّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ (في تويتر على وجه الخصوص) إذ أطلقت العنان لنفسي، واشتركت، في سجالٍ خطابيّ محتدم يمكن أن يكون بذيئاً بكلّ معنى الكلمة أحياناً، وإن حدث ذلك، دائماً تقريباً، تماشياً مع روح المناكفة المُسليّة. يُذهلني دائماً عندما يكتب لي مُهرّج ما كي أشاركه دهشته من طبيعتي «العدوانيّة» بعد لحظه كم أبدو مُتحفظاً، ومُهدّباً، وودوداً في مواقف أخرى كثيرة. حسناً، إنّ الطّريقة التي أردّ بها إذا ما اعترض طريقي لصوص عنيفون في زقاق مظلم تختلف اختلافاً بيّناً عن الطّريقة التي أسلكها عندما أدسّ، بحنوٍ وحنانٍ، أطفال الصّغار في السرير. ولا تتغيّر شخصيتي، بصورةٍ سحريةٍ، عبر النّصّين السّينمائيّين؛ بل الموقف هو ما يتغيّر. وبالعودة إلى قضية (كافانو) لا يُمكن لأيّ شخصٍ عادلٍ ومنصفٍ أن يفشل في عزو غضبه المفهوم لأيّ شيء آخر خلا الموقف الذي يمرّ به، ومع ذلك، فقد حمل الديمقراطيّون مزاج (كافانو) «العصبيّ والمتطرّف» الوزر كلّه، وتمكّنوا، في حيلة ستجعل (سيغموند فرويد) يبتسم زهواً، من إسقاط هوسهم العصبيّ العاطفيّ عليه.

أنا غاضب! أنا مستاء!

ألقى «لورنس سمرز» عندما كان رئيسًا لجامعة هارفرد، في عام 2005، محاضرةً في المؤتمر الذي عقده المكتب القومي للأبحاث الاقتصادية عن تنوع قوّة العمل في مجاليّ العلوم والهندسة.⁽³⁹⁾ وألح، في أثناء حديثه، إلى احتمال أنّ الفروق الجنسية الجوهرية قد تُفسّر السبب في عدم تمثيل النساء بالشكل الكافي في هذين المجالين. وعلى الرّغم من حقيقة وجود نتائج رصينة وقوية في الأدبيّات العلميّة تدعم مزاعمه، إلّا أنّه ارتكب خطأً قاتلاً. إنّ الحديث عن أنّ الرجال والنساء قد يُظهرون اختلافاتٍ فطريّةً هو تجديف داخل أكثرية القاعات الأكاديميّة. وعلى الرّغم من حقيقة دفاع (ستيفن بينكر) العالم النّفسانيّ في جامعة هارفرد المعروف عالمياً، عن مواقف سمرز، إلّا أنّ الأخير اضطرّ إلى الاستقالة من الجامعة. وبعد محاضرة (سمرز) بقليل، وجّهت (هارفرد كومز) *The Harvard Crimson* (وهي صحيفة طلابيّة) سؤالاً إلى (بينكر) هو: «هل كانت ملاحظات رئيس الجامعة، (سمرز) ضمن نطاق المسموح به في الخطاب الأكاديميّ المشروع؟»، فرد عليه العالم النّفسانيّ ببراعةٍ

(39) Lawrence H. Summers, "Remarks at NBER Conference on Diversifying the Science & Engineering Workforce," "ملاحظات عن مؤتمر المكتب القوميّ" January 14, 2015, Cambridge, Massachusetts.

أنظر أيضاً:

Sam Dillon, "Harvard Chief Defends His Talk on Women," *New York Times*, January 18, 2015, <https://nyti.ms/2xm2tMM>.

متناهية قائلًا: «يا إلهي، لا يجب أن يكون كل شيء ضمن نطاق المسموح به في الخطاب الأكاديمي المشروع طالما أنه يُقدّم بدرجة معينة من الصرامة؟ هذا هو الفرق بين جامعة ومدرسة».⁽⁴⁰⁾ وبالمناسبة، فإنّ ممارسات التوظيف المتحيّزة جنسيًا هي بالكاد السبب في وجود عددٍ أقلّ من الإناث بين أعضاء هيئة التدريس في مجالات العلوم، والتكنولوجيا، والهندسة، والرياضيات. بل إن العكس هو الصحيح مثلما يتّضح في تفضيل 2 إلى 1 الذي أظهره أعضاء هيئة التدريس من الرجال والنساء في ما يتّصل بتوظيف الإناث المحتملات (مقارنةً بالمرشّحين الذكور المؤهلين كذلك).⁽⁴¹⁾ ومع ذلك، لا تزال سرديّة المظلوميّة قائمة لا تحوّل دونها الوقائع.

وألقيت، في تموز 2017، محاضرةً في سلسلة/أحداث غوغل (في Talks at Google) مدينة ماونتن فيو (المقرّ الرئيس لشركة غوغل) عن نشاطي العلميّ حول التداخل بين علم النفس التطوّريّ وسلوك المستهلك.⁽⁴²⁾ بعد ذلك بوقت قصير، إنتشرت مذكرة غوغل التي

التحليل النفسيّ سؤال وجواب: "Psychoanalysis Q-and-A: Steven Pinker," "ستيفن بنكر" *Harvard Crimson*, January 19, 2005, <https://bit.ly/2OX2PiL>.

(41) Wendy M. Williams and Stephen J. Ceci, "National Hiring Experiments Reveal 2:1 Faculty Preference for Women on STEM Tenure Track," تجارب التوظيف القوميّة تكشف عن تفضيل مقدارة 2 إلى 1 بين أعضاء الكادر التدريسيّ لصالح النساء في مسار التثبيت الوظيفيّ في مجالات العلوم، والتكنولوجيا، والهندسة، والرياضيات "Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America" *الولايات المتحدة الأمريكية* 112، وقائع الأكاديمية القوميّة للعلوم في الولايات المتحدة الأمريكية، no. 17 (2015): 5360–65.

(42) Gad Saad, "The Consuming Instinct," "غريزة الإستهلاك" *Talks at Google*, July 21, 2017, YouTube video, https://www.youtube.com/watch?v=_qHYmx7qPes&t=3s.

كتبها المهندس (جيمس دامور) مثل النار في الهشيم؛ المذكرة التي جادل فيها أن الاختلافات الجنسية الفطرية قد تفسر السبب في انخفاض احتمالات عناية النساء بالعمل في قطاع التكنولوجيا المتقدمة. ظنّ بعضهم أن (دامور) كان قد حضر المحاضرة التي ألقيتها في أحاديث غوغل، وأنها ربّما شجّعته على إصدار المذكرة. وللأسف، فقد أكّد لي أنّه كان في الصّين آنذاك. وما كادت المذكرة تنتشر حتّى حدث أوّل اتصال بيننا اتّفقنا فيه على الإعداد لحديث في برنامجي. وفي لحظة تتسم بسلطة أوروبية حقيقية، نصّحت بأن أنتظر حتّى يُحمّل البرنامج في منصّة غوغل قبل أن أجري المقابلة مع (دامور) هذا إذا أردت أن تُبثّ محاضرتي في أحاديث غوغل على الإنترنت.⁽⁴³⁾ وعلى أيّة حال، فقد طُرِد (دامور) من الشركة على الرّغم من أنّها قد قدّمت بيانًا مُستعطفًا صريحًا عن سياسات التّنوع التي تنتهجها-وعلى الرّغم من الأدبيّات العلميّة التي كانت تُقدّم الدّعم المناسب لمواقفه.⁽⁴⁴⁾ وإذا كانت الحقائق مؤلمة، فلا بدّ من قمعها من أجل التّنوع، والشّمول، والإنصاف، وبالطّبع التّماسك المجتمعيّ.

مع ذلك، الظّاهر أنّ بعضًا من الأكاديميين لم يستوعبوا مغزى ما

(43) Gad Saad, "My Chat with Ex-Google Employee James Damore," *THE SAAD TRUTH* 540, November 6, 2017, YouTube video, <https://youtu.be/aTfk4DkijVs>.

(44) Daisuke Wakabayashi, "Google Fires Engineer Who Wrote Memo Questioning Women in Tech," *New York Times*, August 7, 2017, <https://nyti.ms/2ukvZD8>.

ورد في المذكرة، وهو تعذر إستمثار البيانات العلمية للتشكيك في سردي صائب سياسياً، إذ تعلم (اليساندرو ستروميا) أستاذ الفيزياء في جامعة بيزا، والزميل في المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية، درساً مؤلماً من هذا الحدث.⁽⁴⁵⁾ ألقى (ستروميا) محاضرة في حدث افتتاحي نظمتها المنظمة تحت عنوان «ورشة عمل عن نظرية الطاقة العالية والنوع الاجتماعي»، وقدم فيها تحليلات ببيومترية [خاصة بالكتب] تُشكك في سردية المظلومية الشائعة في مجال الفيزياء التي تقول إن النساء يُعانين تمييزاً ضدّهن. إذ وجد، مثلاً، أن الرجال قد حصدوا لهم عددًا من الإقتباسات أكبر بكثير من عدد إقتباسات النساء عند توظيفهما في الموقع نفسه في ثمانية عشر بلدًا (تراوحت نسب إقتباسات الذكور مقارنة بالإناث عبر البلدان من 1:2.96 إلى 1:12.5). وسيكون معقولاً تماماً تحدي النتائج التي توصل إليها لو توفرت لدينا بيانات داحضة نُقدمها، لكنّه أُدين، أساساً، بوصفه مُجدِّفاً، وأُعدم حرقاً مجازياً. إذ وقع بضعة آلاف من العلماء تحت راية جُزئيات من أجل العدالة البغضية بيّناً أَدانوا فيه ستروميا.⁽⁴⁶⁾ واحتوى بيان الإدانة على تصوّرات خاطئة لا حصر لها ولا تليق بعلماء متجرّدين وموضوعيين، من بينها الجملة الرئيسة الآتية في الفقرة الثانية «إننا نكتبُ هنا، أولاً، لندكرّ بالعبارات الممكنة الأكثر قوّة، أن إنسانية أيّ

(45) إيقاف "Cern Scientist Alessandro Strumia Suspended after Comments," العالم اليساندرو ستروميا عن العمل بعد تعليقات أدلى بها في المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية، BBC, October 1, 2018, <https://bbc.in/2AbeVj7>.

(46) بيان عن الكلمة الأخيرة في المنظمة "Statement on a Recent Talk at CERN," High Energy Physics Community Statement بيان High Energy Physics Community Statement "الأوروبية للأبحاث النووية جمعيتة فيزياء الطاقة العالية، <https://www.particlesforjustice.org>.

شخص غير قابلة للنقاش، بصرف النظر عن الهويات المُسندة إليه مثل العرق، والأثنية، وهوية النوع الاجتماعي، والدين، والإعاقة، وتمثيل النوع الاجتماعي، أو الهوية الجنسية». وهذا تكتيك مُخادع وشائه بطريقة تدعو للعجب لأن ستروميا لم يُشكك في إنسانية أي أحد، ولم يذكر أيًا من الهويات الواردة في القائمة.

وكتب أحد علماء الطبيعيات رسالة تفنيد بليغة ورائعة ردًا على هذا البيان نشرها في مجلة Areo Magazine.⁽⁴⁷⁾ والرسالة هي بالضبط ما يُمكن توقعه من أكاديمي صادق فكريًا ومتمزن نفسيًا، إذ شرح الأخطاء المنطقية والعلمية في البيان والعديد من حالات التمثيل المغلوط لمواقف (ستروميا) كذلك. وأقرت الرسالة، إضافة إلى ذلك، بأسلوبٍ منصفٍ وعادلٍ، أن (ستروميا) لم يكن ودودًا تمامًا في بعض الأحيان. نُشر الرد الطويل غفلاً من الاسم؛ لأن كاتبه شعر: «...إن مجهولية الاسم هو المسار الأكثر حكمةً. فمع أنني ليبرالي حقيقي، ومع حرصي على أن أكون مُنصفًا ويقظ الضمير، فإنني أخشى أن تذييل الرسالة باسمي قد يضرّ بمساري المهني وعلاقتي. أعلم أن هناك علماء طبيعيات غيري قد حيدوا أيضًا بسبب الطبيعة الجدلية للاستجابة للحدث، وأتهم قد يكونون، على الأقل، راغبين في مناقشة هذه الأمور سرًا، مع أن الأجواء الاجتماعية كانت سامة في هذا

(47) "Gender Controversy Comes to Physics: A Response to the Statement against Alessandro Strumia," "جدل النوع الاجتماعي يصل إلى الفيزياء: رد على البيان" Areo Magazine, October 31, 2018, <https://bit.ly/2yK14lo>.

إنَّ شعور عالم الطبيعيات بحاجة ردّه التّفنيدِيّ إلى النّشر غفلاً من الاسم هي الخلاصة الأكثر أهميّةً من هذه النّكبة بأكملها. وبينما أئمن في المؤلّف كتابته لردّ لا ذعٍ مثل هذا، إلّا أنّي أعتب عليه لإفتقاره الشّجاعة لترجمة ما قاله مارتن لوثر الذي يقبع في داخله: «ها أنا ذا أقف هنا».⁽⁴⁸⁾ وقد أدليت بدلوي في قضية ستروميا، تعليقا ومناقشةً، في مناسبات لا حصر لها، ومنها دعوته للحديث في برنامجي، وأبدت رأيي في مسائل تُسبّب قدراً من الخوف والفرع يفوق بكثير ما سببته هذه المسألة، ولم أفعل ذلك قطّ متستراً برداء مجهولية الهوية.⁽⁴⁹⁾ إنّ أيّ مؤشّر صادقٍ على التزام المرء بالحقيقة، والعقل، والعدالة لا بدّ أن يكون باهظاً ومكلفاً كي يحظى بأيّ قيمة. مع ذلك، بوسع المرء تفهّم الإغراء الذي تُشكّله مجهولية الهوية. إذ أعلنت مجلة جديدة هي مجلة الأفكار الجدلية (The Journal of Controversial Ideas) أنها ستسمح للمؤلّفين بنشر أعمالهم تحت أسماء مُستعارة.⁽⁵⁰⁾ وتضمّ المجلة في هيئة تحريرها العديد من الأكاديميين البارزين، لكن أن تسمح مجلة مثلها بهذا الأمر في مجتمعات يفترض أنها حرّة في القرن

(48) Roland Bainton, *Here I Stand: A Life of Martin Luther* حياة هنا: حياة (New York: Abingdon Press, 1950).

(49) Gad Saad, "My Chat with Physicist Alessandro Strumia," "حديثي مع عالم" *THE SAAD TRUTH* 809, December 10, 2018, YouTube video, <https://youtu.be/4hAqLr-InT8>.

(50) Martin Rosenbaum, "Pseudonyms to Protect Authors of Controversial Articles," "أسماء مستعارة لحماية كتاب المقالات الجدلية" BBC, November 12, 2018, <https://www.bbc.com/news/education-46146766>.

الحادي والعشرين، فإنّ ذلك يكشف الكثير عن المدى الذي نقرب به من هاوية الجهل الفكريّ الذي لا قرار لها.

وليس بوسع الفكاهة أن تُخفّف من وطأة هذا الجهل؛ لأنّ «التقدّميين» يُجرّمون أيضًا النكات والهزل في البيئة الأكاديميّة. كان السّير تم هانت، الحائز على جائزة نوبل في العام 2001، يتبادل الأنخاب في المؤتمر الدوّليّ للصحفيّين العلميّين في سيئول في كوريا الجنوبيّة في عام 2015، عندما أشار مازحًا إلى المآزق العاطفيّة التي تشهدها المختبرات المختلطة، إذ قال: «دعوني أخبركم عن مشكلتي مع الفتيات. ثمة ثلاثة أمور تقع عند وجودهنّ في المختبر. إذ تقع في حبّهنّ، وهنّ يقعن في حبّك، وعندما تنتقدهنّ، فإنّهنّ يذرفن الدموع باكيات». ثمّ أوصى مازحًا بإعتقاد مختبرات يعمل فيها جنس واحد لتجنّب مطبات مثل هذه. كان تسونامي الغضب حينها كاسحًا وقاتلًا. إذ أجبر (هانت) على الاستقالة من كليّة لندن الجامعيّة ومن مجلس الأبحاث الأوروبيّ.⁽⁵¹⁾ ولم تجديه نفعًا أن تبادر العديد من العالمات البارزات إلى الدّفاع عنه، مثلما فعل (ريتشارد داوكينز) العالم وأحد أبرز المفكرين المعروفين في بريطانيا⁽⁵²⁾. تحطّمت سمعة هذا العالم ذي الإنجازات الاستثنائيّة، الذي دأب على الدّفاع عن مشاركة

(51) Robin McKie, "Tim Hunt: 'I've Been Hung Out to Dry. They Haven't Even Bothered to Ask for My Side of Affairs,'" "أنفسهم حتّى عناء سؤالي عن رأيي في القضية" *The Guardian*, June 13, 2015, <https://bit.ly/2rQAZvY>.

(52) Robin McKie, "Sir Tim Hunt: My Gratitude to Female Scientists for Their Support," "السّير تم هانت: عميق إمتناني للعالمات على دعمهنّ" *The Guardian*, June 20, 2015, <https://bit.ly/3fviSTC>.

النساء في حقل العلوم لعدة عقود بسبب تعليقات ثرثارة مازحة أدلى بها في أثناء تبادلها الأنخاب. وحقيقة أن زوجته هي إحدى العالمات المرموقات وناشطة نسوية لم تضع حدًا للغاضبين المدعين دائماً وأبدًا والمتعطفين للدماء، ولم تدفعهم إلى إعادة النظر في المسألة كلها.

و(لازار غرينفيلد) جراح لامعٌ ومعروفٌ له سجلٌ حافلٌ من الإنجازات العلمية والطبية. بينما كان رئيسًا لتحرير مجلة *Surgery News*، كتب مقالةً افتتاحيةً في العام 2011 ناقش فيها بحثًا يُفيد أن النساء اللاتي يستقبلن الحيوانات المنوية الذكرية عن طريق الممارسة الجنسية غير الآمنة لديهنَّ معدلات كآبة أقل من نظيراتهنَّ اللاتي يُارسن الجنس الآمن.⁽⁵³⁾ واختتم المقالة بمزحةٍ لطيفةٍ تقول: «فعليه، هناك صلة أعمق بين النساء والرجال مما كان يتوقعه القديس (فالتاين) ونحن نعرف حاليًا أن هناك هدية أفضل لذلك اليوم من الشوكولاتة». إنها إشارة لبدء طالبان الغضب الزائف. إذ كان لا بد أن يدفع هذا الوحش ثمن فكاخته التي لا تُغتفر، إذ أُجبرَ على الاستقالة من رئاسة تحرير المجلة، وأيضًا التنازل عن منصبه بوصفه رئيسًا مُنتخبًا لكلية الجراحين الأمريكية مع أنه لم يكن قد شغل هذا المنصب فعليًا بعد.⁽⁵⁴⁾ وفي ردٍّ منه بالنيابة عن مساعديه، كتب (ستيفن بلاتك) أستاذ علم النفس التطوري/المقارن، الذي أعرفه جيدًا، وهو أحد الثلاثة الذين

(53) Gordon G. Gallup Jr., Rebecca L. Burch, and Steven M. Platek, "Does Semen Have Antidepressant Properties?" "هل للحيامن خصائص مضادة للكآبة" *Archives of Sexual Behavior* 31, no. 3 (2002): 289–93.

(54) Gardiner Harris, "Head of Surgeons Group Resigns over Article Viewed as Offensive to Women," "رئيس مجموعة الجراحين يستقيل بسبب مقالٍ عدُّ مُهينًا" *New York Times*, April 17, 2011, <https://nyti.ms/2OXSoeN>. للنساء

كتبوا الورقة البحثية التي استشهد بها غرينفيلد، رسالة تساءل فيها: «كيف يُمكن أن نطلب من شخصٍ ما الإستقالة لإستشهاده من ورقةٍ بحثيةٍ مُحكّمة؟ إيجابار الدكتور (غرينفيلد) على الإستقالة كان مبنياً على السياسة لا الأدلة. إن إستقالته هي إنعكاس إضافي للمواقف النسوية وغير العلمية لبعض الأعضاء المرشحين والمستائين في كلية الجراحين الأمريكية. العلم يبنى على الأدلة لا السياسة. في العلم، المعرفة مُفضّلة دائماً على الجهل».⁽⁵⁵⁾ لكن في البيئة الأكاديمية، اليوم، الأيديولوجية التقدّمية لها اليد الطولى على الحقائق العلمية.

و(مات تيلر) من العلماء الآخرين الذين دخلوا في مواجهةٍ غير متوقّعةٍ مع الغاضبين والمستائين دائماً وأبداً. ففي أثناء مقابلةٍ معه في بثٍّ حيٍّ عن أحد الإنجازات الرائعة للعبقرية البشرية في العام 2014، إرتدى (تيلر) قميصاً مُنفّراً نسبياً وغير لائق بشكلٍ واضحٍ يعرض رسومات لساء بوضعياتٍ مختلفةٍ بالكاد يرتدين الملابس.⁽⁵⁶⁾ كان (تيلر) يعمل في وكالة الفضاء الأوروبية بوصفه مختصاً بالفيزياء الفلكية، وكان جزءاً من الفريق الذي أنزل مسبار (فيلة) على سطح نيزك سريع التّحرّك يبعد قرابة الثلاثمائة مليون ميل عن كوكب الأرض. والخبرة العلمية والهندسية المطلوبة لتحقيق

(55) Michael Smerconish, "Lazar Greenfield's 'Semengate' Stuns Scientific Community," "بوابة الحيمن' التي تحدّث عنها لازار غرينفيلد تصدم المجتمع العلمي," HuffPost, April 25, 2011, https://www.huffpost.com/entry/semengate-stuns-scientifi_b_853164.

(56) Boris Johnson, "Dr. Matt Taylor's Shirt Made Me Cry, Too—with Rage at His Abusers," أيضاً-بغضب على شاتميه," قميص دكتور مات تيلر جعلني أبكي، The Telegraph, November 16, 2014, <https://bit.ly/2GxBkIm>.

إنجازٍ مثل هذا مُذهلة حقًا. وكان يجب أن يكون خبر هبوط المسبار اللّحظة التي تتوّج مسيرته المهنيّة. لكن، يا للأسف، سترتبط ذكرى هذا الخبر، على الأرجح، لا بالإنجاز الرّائع حقًا الذي كان جزءًا منه، بل بجريمة ارتدائه هذا القميص، وباعتذاره المتوجّع اللاحق. جدير بالذكر أنّ القميص كان هديّةً له من صديقة صمّته بنفسها هي (إيلي برايزمان) التي ردّت في مقابلةٍ معها بشأن الموضوع: «يحقّ لكلّ فردٍ أن يكون له رأي. سنكون كلنا مُملّين للغاية إذا شعرنا بالشيء ذاته حيال كلّ شيء. يُمكنني أن أرى وجهي العملة كليهما في هذا السّجال، وبما أنّي طرفٌ في الموضوع، لا أرى الأمر مُهينًا. لكنّ هذه هي وجهة نظري فحسب. والأمر متروك لنا في تمكين أنفسنا. بوسعنا أن نُحقّق ما نرغب به إذا تسلّحنا بالمهارات، وسخّرنا عقولنا له». (57)

والنّسويّات الغاضبات اللّاتي يرغبن في تدمير المسيرة المهنيّة لعالمٍ معروفٍ بإنجازاته بسبب اختياره قميصًا أبله هنّ أيضًا الأكثر ميلًا إلى المجادلة بأنّ نظرة الذّكر هي أحد أشكال «الإغتصاب البصريّ»، وهنّ اللّاتي يفترضن أنّ البطرياركيّة (النّظام الأبويّ) هو الذي يروّج لأسطورة جمالٍ تُرغم النّساء على تجميل أنفسهنّ. وعندما يكون الجوّ موبوءًا بمثل هذه العقليّة المؤامراتيّة والواهمة، يغدو البيكيني أو لباس البحر أداة جنسيّة بيد النّظام الأبويّ في حين يصير البرقع مُحَرَّرًا

(57) Taylor Wofford, "An Interview with the Woman behind the #Shirtgate Shirt," "مقابلة مع المرأة خلف قضبة القميص" *Newsweek*, November 20, 2014, <https://bit.ly/2THs3FC>.

وَمُخْلِصًا لِأَنَّهُ يَجُولُ دُونَ نَظَرَةِ الذَّكَرِ. (58) وَابْتِغَاءَ هَجْوِ هَذَا التَّخْلِى الْمُدْهَلِ عَنِ الْبَصِيرَةِ وَالرَّشْدِ، شَرَعَتْ فِي إِسْتِخْدَامِ وَسْمِ «#حِجَابِ حُرِّيَّةِ» «#Freedom Veils» فِي إِشَارَةٍ إِلَى هَذَا اللَّبَاسِ. فَالْمَلَابِسُ الدِّينِيَّةُ مِثْلُ الْحِجَابِ، وَالنَّقَابِ، وَالْبُرْقِ الْقَادِمَةُ الْمُنْبَثِقَةُ مِنْ مَجْتَمَعَاتِ أُبُيَّةٍ بِشَكْلِ كَبِيرٍ وَالْمَفْرُوضَةُ عَلَى مَلَائِينَ النِّسَاءِ هِيَ مَلَابِسُ مُحَرَّرَةٍ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرَ الْعَدِيدِ مِنَ النِّسَوِيَّاتِ الْغَرِيبَاتِ فِي حِينِ أَنْ الْبِكِينِي، الَّذِي يُمَكِّنُ تَفْسِيرَهُ، فِي ضَوْءِ الْمَوْجَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ النِّسَوِيَّةِ، بِوَصْفِهِ أَدَاةَ تَمَكِينٍ فِي حَالِ أُسْتُمْرٍ فِي السَّعْيِ إِلَى التَّحَرُّرِ الْجِنْسِيِّ، يُمَثِّلُ مَظَاهِرَ لِكِرَاهِيَةِ النِّسَاءِ ذَوَاتِ الْجَذُورِ الْأُبُيَّةِ فِي الْغَرْبِ. وَخِلَاصَةُ الْمَوْضُوعِ هُوَ أَنَّ مَلَابِسَ الْبَحْرِ، وَمَوَادَّ التَّجْمِيلِ، وَالتَّنَوُّرَاتِ الْقَصِيرَةَ سَيِّئَةٌ. وَالْقَمِصَانِ الَّتِي تَعْرُضُ رَسُومًا مَتَخِيلَةً لِنِسَاءٍ شَبِهَ عَارِيَّاتٍ هِيَ جَرِيمَةٌ كَبْرَى عَقُوبَتُهَا الْإِعْدَامُ. وَالْبُرْقِ، وَالنَّقَابِ، وَالْحِجَابِ هِيَ تَمَثِيلٌ لِتَحَرُّرِ الْمَرْأَةِ مِنَ النَّظَرَةِ الذَّكَورِيَّةِ. لَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ هِجَاءٍ أَنْ يُبَارِيَ التَّهْرِيحَ التَّقَدِّمِيَّ.

أَتَذَكَّرُ فِي أَثْنَاءِ مِشَارِكَتِي فِي بُوْدَكَاسْتِ سَامِ هَارِيْسِ كَيْفَ إِصْطَحَبْنَا أَنَا وَزَوْجَتِي إِبْتِنَا لِلْعَبِّ فِي حَدِيقَةِ الْعَابِ مَحَلِّيَّةٍ. وَفِي وَسْطِ سَاحَةِ اللَّعْبِ، كَانَ عَدَدٌ مِنَ الْأَفْرَادِ يَضْعُونَ النَّقَابَ الْأَسْوَدَ بِالْكَامِلِ عَلَى نَحْوِ تَعَدُّرٍ عَلَيْنَا مَعْرِفَةَ إِذَا مَا كَانُوا نِسَاءً، أَمْ رِجَالًا، أَمْ أَيًّا مِنْ الثَّمَانِي مَائَةٍ وَثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ «نَوْعًا اجْتِمَاعِيًّا» الَّتِي تَوَلَّفَ حَالِيًّا السِّيُولَةَ

(58) Gad Saad, "Niqab Is 'Freely Chosen' while Bikini Is Oppressive?" النَّقَابِ *THE SAAD TRUTH* 47, June 22, 2015, YouTube video, <https://youtu.be/2Kjrrw0hKSY>.

الزّاحرة «للتعبير عن النوع الاجتماعي». كانت الصّورة متنافرة جدًّا فقرّرنا المغادرة. ومنذ مشاركتي لهذه القصّة، تعرّضت للتّهكّم والاستهزاء من بعض التّقليديّين وقويميّ الرّأي الغربيّين الذين عابوا علينا المبالغة في ردّة الفعل 'السّاذجة'. بعد كلّ شيء، ما الذي يُمكن أن يكون أكثر إثارة للاهتمام والتّسلية من السّير في ساحة لعب مع طفل صغير مُحاطًا بأشباح يرتدون ملابس سوداء مُفزعَة ومُحدّقون فيه. من المؤكّد أن المتعصّبين العنصريّين وحدهم من سيّشعر بالانزعاج من رمزٍ مثل هذا للعلمانيّة، والتّحديث والليبراليّة الحقّة. وبالطّبع، ما لجوئي إلى التّهكّم، إلّا لأنّه الطّريق الوحيد المتاح للتّعامل مع غياب قاتل مماثل لهذا. النّظر هو الحاسّة المهيمنة عند البشر. وقد طوّرتنا نظام رؤية عالي التّخصّص يسمح لنا بقراءة عددٍ كبيرٍ من الإشارات غير اللفظيّة التي تشمل تعبيرات الوجه. ومتى ما أُخفيت هويّة الشّخص وإنسانيّته خلف أردية 'الحرّيّة والإنعتاق' السّوداء، يكون من الطّبيعيّ لأكثرية المتعقّلين والمدرّكين أن يشعروا بالقلق إزاء واقعٍ مثل هذا. مع ذلك، يهزأ المهتمّون بمظاهر الفضيلة بالأفراد الذين يُظهرون استجابات عقلانيّة تمامًا لمُنبهات مُقلقة في الحالات الأخرى، ويسخرون منهم، ويدينونهم.

يعلم المتعقّلون ذوي التّفكير الواضح أنّ هناك مكانًا لكلّ من العواطف والعقل، والجِدّ والهزل، وهم يعرفون متى يُنشّطون أنظمتهم العاطفيّة في مقابل المعرفيّة بينما يمضون في رحلة الحياة. لكنّ من سقط منهم فريسةً لمسمّات الأفكار يفقد السّيّطرة على عقله وعواطفه - وهذه المسمّات تنتشر بسرعةٍ كبيرةٍ وتهدّد حرّيّتنا.

الفصل الثالث

عناصر غير قابلة للتفاوض في مجتمع حرّ وحديث

«غير أن الضرر البالغ الذي يترتب على قمع التعبير عن الرأي هو سلب الجنس البشريّ كلّهُ [الحقّ في حرّيّة] التعبير، سواءً الأجيال القادمة وأيضاً الجيل الحاليّ، والذين يخالفون هذا الرّأي يتضرّرون بشكل أكبر من الذين يلتزمون به، فإذا كان ذلك الرّأي صائباً، فإنّهم يُحرّمون من فرصة إستبدال الحقّ بالباطل، وإذا كان خاطئاً، فإنّهم سيخسرون ميزةً لا تقلّ قيمةً—هي ميزة التّمكّن من إدراك الحقّ وتمثله بشكل أكثر وضوحاً وحيويّةً؛ فهو الحقّ الناتج عن موازنته بالخطأ..»⁽⁵⁹⁾

جون ستيوارت مل

ما السّمات الجوهرية التي يجب على المجتمع حيازتها كي يكون مجتمعاً ليبرالياً وحديثاً حقاً؟ اقترح المؤرّخ في جامعة هارفرد (نيل فيرغسن) «التطبيقات الستّة القاتلة للرّخاء» التي تُعرف عظمة

(59) John Stuart Mill, *On Liberty*, الحرة عن rev. ed. (Boston: Ticknor and Fields, 1863) 35–36.

الغرب، وهي: التنافس، والثورة العلميّة، وحقوق الملكيّة، والطبّ الحديث، والمجتمع الإستهلاكيّ وأخلاقيات العمل.⁽⁶⁰⁾ وسأعرض، في هذا الفصل، مجموعة من العوامل أكثر تكثيفاً. إذ إنّي أفترض أنّ ضمان الحقّ في مناقشة أية فكرة (حرّيّة التعبير والتّفكير) متضافراً مع الإلتزام بالإستبصار والعلم لإختبار الأفكار المتعارضة (المنهج العلميّ) هما العاملان اللذان جعلتا الحضارة الغربيّة عظيمةً.

شركات وسائل التّواصل الإجتماعيّ وحرّيّة التّعبير عن الرّأي

لا يفهم كثيرٌ من النّاس في الغرب مفهوم حرّيّة التّعبير فهماً كافياً. فإذا حظرت شخصاً ما، أو كتمت الإشعارات المرسلّة منه في وسائل التّواصل الإجتماعيّ، ستّهمني مجموعة متنافرة من الحمقى بأنّي من أدعياء حرّيّة التّعبير لأنّي «كتمت صوتهم». إنهم لا يفهمون أنّ من حقّي أن أبتعد عن تهكّمهم، وإهاناتهم، وحقاقتهم. وفعلي ذلك لا يعني «تقييداً» لحقهم في الحديث، بل هو تعبيرٌ عن حقّي في تجنّب الإصغاء إليهم. هذه نقطة واضحة لا جدال فيها، ومع ذلك، يشعر الكثير من النّاس بالإرتباك حيالها. والخطأ الثّاني هو المقولة المكرّرة بلا تمحيص: «شركات السّوشل ميديا (وسائل التّواصل الإجتماعيّ) ليست الحكومة، ولديها الحقّ في إختيار المحتوى الذي سيُحمل على منصّاتها». سيكون تبنيّ هذا الموقف مُثيراً للضحك في عالم عاقلٍ

(60) Niall Ferguson, *Civilization: The West and the Rest* (New York: Penguin Books, 2011). الحضارة: الغرب وباقي العالم

ومتوازنٍ مع أننا نلاحظ تردده إلى ما لا نهاية دون أيّ تدبّرٍ لمضامينه الشنيعة والعدوانية. إنَّ السيطرة العالمية التي تُمارسها علينا مواقع غوغل، واليوتيوب، والفيسبوك، وتويتر تفوق في مقدارها سيطرة جميع الشركات الأخرى مجتمعةً. ولا نبالغ إذا قلنا إنها تتمتع بقوةٍ جمعيّةٍ من جهة المعلومات التي تتحكّم بها أكبر من القوّة التي حازها جميع الحكّام، والقساوسة، والسياسيين في التاريخ. فإذا كانت المعرفة قوّة، فإنَّ عمالقة السّوشل ميديا قديرون على وجه التقريب عندما يقرّرون المعلومات التي بوسعنا الحصول عليها، وفي ما إذا كان مسموحًا لنا باستخدام منصّة تواصل اجتماعي. تحظر الشركات التّقنية الكبرى، بشكلٍ دوريّ، المُعلّقين ذوي التّوجهات اليمينية، وبالطّبع، كلّ ما يجري في هذا المجال هو «صدفة حسابيّة» مؤسفة.

ما الذي يُمكن أن يكون أكثر إثارةً للشّوم والفرع؟

وثمة وسيلة أخرى تستغلّها شركات الإنترنت لقمع حرّيّة التعبير، هي استنزاف أموالك. فمن بين مقاطع الفيديو الألف في قناة اليوتيوب الخاصّة به، فقد قرابة الثلث منها قيمته الماليّة (مع أن بعضًا منها خُفضت قيمتها ثانيةً حالما قدّمت طلبًا للمراجعة اليدويّة). وخُفضت قيمة العديد من مقاطعي الفيديو حتّى قبل تحميلها وبثّها علنيًا. وبقولٍ مختلفٍ، تعمل خوارزمية، بشكلٍ آليّ، في خفض قيمة مقاطعي الفيديو بوصفها إعدادًا مُبرمجًا تلقائيًا. في حالات أخرى، عملت منصّات التّحويل الماليّ، من أمثال (باتريون) و(بيبال) (PayPal) التي يستخدمها منشئو المحتوى الرّقميّ لطلب الدّعم

الماليّ، على حظر أفرادٍ شعرت هذه المنصّات أنّهم قد إنتهكوا أحد مبادئ التّعبر المقبولة. إذ أُجبر (كارل بنجامين) (الذي يستخدم اسمًا مستعارًا هو سرجون الأكدي)، اليوتيوبر⁽⁶¹⁾ المؤثر الذي ظهرت في برنامجه في مناسبتين، على ترك عمله في منصّة (باتريون) التي اكتشفت مقطع-فيديو استخدم فيه بنجامين «كلمة زنجي» للسخرية من العنصريّين. وعلى الرّغم من هذا السّياق، وحقيقة أنّ المقطع لم يُنتج من خلال منصّة باتريون، وهي إحدى الفقرات الأساسيّة في بنود استخدامها (وبالتّالي، فالمقطع غير مدعوم من الجهات الرّاعية لبنجامين)، إلّا أنّ المنصّة ألغت حسابه.

وأسفر ذلك عن ردّ فعلٍ هائلٍ ضدّ باتريون. إذ ترك صديقاى الطيّان جوردن بيترسن وديف روبن المنصّة احتجاجًا، وتعهّد الكثير من النّاس بمقاطعة الشركة. إلّا أنّ المقاطعة أدّت، بطريقةٍ غير مباشرة، إلى معاقبة العديد من منشئي محتوى آخرين خسروا مقدارًا ضخمًا من العائدات (إذ كلّفني ذلك، شخصيًا، أكثر من ثلثي الدّعم الماليّ). وبوصفي مؤمنًا بحريّة الإرادة، فأنا من المساندين المتحمّسين للحكومة الصّغيرة. إذ لا أطيق، وأحتقر التّدخّلات الحكوميّة الدّائمة والمتزايدة أبدًا في حياتنا اليوميّة. مع ذلك، يبدو واضحًا أنّ من الواجب تنظيم شركات الأنترنت هذه بوصفها مرافق عموميّة.⁽⁶²⁾ فمثلما أنّ خدمة الكهرباء أو الخطّ الهاتفيّ الخاصّ بك لا تُقطع في حال لم يُعجب ما تقوله شركة الكهرباء أو شركة الهاتف، لا يجب على

(61) تُرجم أيضًا إلى شخصيّة يوتيوب أو صانع محتوى مرئيس على يوتيوب.

(62) قدّم السيناتور الأمريكي جوش هاولي مقترحًا بهذا التّشريع.

منصّات التّواصل الإجماعيّ أن تدسّ أنفها في مراقبة التّعبير ومعاقبته.

الرّقابة الذاتيّة هي أعظم آفات حرّيّة التّعبير

لقد أصبحت، نتيجة لانخراطي في الشّأن العامّ، كاهن إعراف عالميّ يستمع إلى الطلبة والأكاديميّين الذين يرزحون تحت وطأة الصّوابيّة السياسيّة المهيمنة على جامعاتنا. وأحد الموضوعات الشّائعة في شهادات هؤلاء المكتوبة بضمير الشّخص الأوّل هو ضرورة الرّقابة الذاتيّة تحاشياً للتّعرّض إلى عقاب بسبب انتهاك المنهج التّقليديّ التّقدّميّ. بلغ الخوف مبلغاً جعل الأساتذة، الذين شكروني لدفاعي عن القيم الليبراليّة التّقليديّة، يطلبون منّي، في أحيانٍ كثيرة، عدم الكشف عن هويّاتهم (وهو شيء لا أفعله أبداً دون رخصةٍ منهم). تحيّل للحظةٍ واحدةٍ كم هو مُفزع هذا الأمر. وسأعرض في أدناه مقتطفات من رسائل إلكترونيّة نموذجيّة قليلة أرسلت إليّ:

أنا رجل أبيض في السّابعة والأربعين من العمر اخترت العودة إلى الدّراسة بسبب إصابتي... اضطررت، في السّنة الأولى، وللحفاظ على عملي بدوامٍ كاملٍ، إلى أخذ فصلٍ آخر من فصول العدالة الاجتماعيّة هو 'حياة السّود مهمّة'. لم يكن مسموحاً للطلّاب بتحدّي محتوى الفصل أو مساءلته لأنّ ذلك يُعدّ مُهيناً، وقد يُحدّث خللاً في الحيّز الآمن لشخصيّ ما. أظنّ أنّي طالب مُحترمٌ، مواظبٌ على الدّوام، وعلاماتي جيّدة للغاية، إذ تصل إلى أكثر من ثمانين. ومع

ذلك، وبعد أسابيع قليلة من حضوري في هذا المنهج الدراسيّ الأحاديّ التوجّه، أفكر في الانسحاب من البرنامج بأكمله، وترك المدرسة نهائيّاً. هذا العالم الأكاديميّ اليساريّ فوق ما أطيع.

إنّ السّبب الذي من أجله أتصل بك هو أن جزءاً من متطلبات دراستي، بوصفي طالباً بمرتبة الشرف في تخصص العلوم المعرفيّة، هو أن أكمل اثنتي عشرة ساعة بحثيّة. لكن، ولأسباب سياسيّة بحثة (فأنا، على ما يبدو، مؤيدّ عنيف لترامب، وكاره للنساء، وعنصريّ) فإنّي لم أفقد عملي في مختبرِ رصينٍ للغاية للعلوم العصبيّة السلوكيّة [عبارة مُنقّحة] فحسب، بل لقد شُطب اسمي من منشور بحثٍ أجرته بنفسه، وقد أبلغني الباحث الأوّل أنّه لن يعمل معي أبداً مرّةً أخرى.

أقدّر كثيراً شجاعتك في مكافحة السرطان الذي أخذ يستشري في البيئة الأكاديميّة الأمريكيّة. ويشعر أمثالي أنّهم مخدوعون بمحاولتنا السعي خلف مسار التثبيت الوظيفيّ. لا يحتاج الأمر إلى أكثر من نظرة سريعة إلى عروض الوظائف التي تنشرها جمعية اللغات الحديثة سنويّاً لتفهم أن المتوقع من الخريجين الجدد من أمثالي هي المشاركة السياسيّة، لكنني رفضت الخلط بينها واهتماماتي الأكاديميّة.

سأعفيك من قصصي الطويلة عن التعامل والمعاناة في مجالي المهنيّ ومن الهراء الصائب سياسياً المتدقّق من جهات النسويّة، وأيديولوجيّة النوع الاجتماعيّ، والتطرّف في التحوّل [الجنسيّ]. وأنا أحاول التّستر على هذه الأشياء في الوقت الحاضر، لأنّ زوجتي

أكاديمية واعدة للغاية، لكنّها لم تضمن بعد عملاً لها. وأعلم أنّي إن صرّحت بأفكاري وحججتي في وسائل التواصل الاجتماعيّ، فإنّها ستُطرد من العالم الأكاديميّ نهائياً.

بوصفي أستاذاً زميلاً غلب عليه الإحباط بسبب الحديث في العالم الأكاديميّ عن مسائل من أمثال الصّوابيّة السياسيّة، والنّسيّة الأخلاقيّة، والعدالة الاجتماعيّة، أوّد أن أشكرك على حديثك الصّريح الذي إلّزمت به في البيئّة الأكاديميّة... لكنّي، مع ذلك، أشعر بالإحباط من الإمتثال والتّفكير الجمعيّ الذي أشاهده وأسمعه حولي. إنّني أرى أشخاصاً متعلّقين ومقتدرين للغاية في مواقف أخرى يتخلّون عن التّفكير العقليّ وينحنون أمام سرديّة اليسار الانتكاسيّة حول العديد من المسائل الاجتماعيّة.

وعندما أخبرت هذا الأستاذ أن يُشارك ويُناقش هذه الموضوعات علناً، ردّ عليّ:

هذه هي جميع الأشياء التي أوّد المشاركة فيها بعدما أحصل على التّثبيت الوظيفيّ «لا يزال أمامي سنة واحدة» ولأنّ الأمر مُقلّق، أخشى من التّعبير عن أفكارٍ اجتماعيّة غير شعبيّة قبل التّثبيت. في أثناء ذلك، الرّجاء استمرّ في خوض هذه الحرب الصّالحة من أجل حرّيّة التّعبير، ومكافحة شرطة التّفكير والتّزمت.

ليست هذه رسائل الكترونيّة مُرسلة لي من منشقين في كوريا الشماليّة، أو اليمن، أو الإتحاد السّوفيتيّ السّابق. فالسّتالينيّة الأيديولوجيّة هي الحقيقة اليوميّة في حرم الكليّات في أمريكا

الشّماليّة. يجب على كلّ عاشق للحرّيّة أن يشعر بالرّعب من هذا. وعلى الرّغم من ذلك، يتشاءب الأكاديميون بفتور متواطئ وتراخ جبانٍ. إنهم قلقون بشدّة بشأن اعتباراتهم المهنيّة الأنانيّة إلى حدّ يحول دون أن يدلّوا بآرائهم في هذه المسائل. إنهم سعداء لإخباري سرّاً بأنهم يدعمون جهودي، لكن «رجاءً دكتور سعد، لا تكشف اسمي. لا أريد أن يعلم النّاس بأنّي أشاطرك وجهات نظرك». لم يجب على النّاس في بلدٍ حرٍّ أن يشعروا بالخوف من قول ما يؤمنون به؟ فكّر في ذلك، وستعرف المسار الذي يريد 'التّقديّميون' منّا أن نسير فيه.

حرّيّة التّعبير = النّازيّة

في الثّاني والعشرين من شهر آب، عام 2017، كان من المقرّر أن تستضيف جامعة رايرسن حدثاً بعنوان «خنق حرّيّة التّعبير في حرم الجامعات» نظّمته سارينا سنغ «امرأة سيخيّة ملونة، على حدّ تعبير المحاربين من أجل العدالة الاجتماعيّة». عملت السيّدّة سنغ لعقدين بوصفها اختصاصيّة اجتماعيّة حتّى قرّرت ترك مهنتها لأنّها لم تعد قادرة على التّعامل مع العقيدة التّقديميّة المبيّدة المناهضة للعلم وغير اللّبراليّة التي أصابت بوبالها المجال الذي تعمل فيه. وكان من المقرّر استضافة أربعة متحدّثين في هذا الحدث، هم: (جوردن بيترسن) والدكتور (أورن اميتي) الاختصاصيّ في علم النّفس السّريريّ والمحاضر في الجامعة المضيفة؛ و(فيث غولدي) الصّحفيّ الإستقطابيّ نسبيّاً، وأنا. وكان في نيّتي أن أتحدّث عن حرّيّة التّعبير

بوصفها مصدرًا تتبع منه الحرّيات جميعًا. وكنت أيضًا أخطط لقراءة شهادات مكتوبة بضمير المتكلم لطلبة وأساتذة يشعرون بالفزع من شرطة التفكير في حرم جامعاتهم.

هل بوسعك أن تُخمن ما حدث تاليًا؟ في تطوّر للمفارقة الأوروبية السّاخرة، ألغت الحدث مجموعةً ترتدي ملابس أشبه بأفراد حركة انتيفا.⁽⁶³⁾ وبدلًا من الوقوف بوجه إرهابي الفكر وأعداء العقل هؤلاء، أوردت الجامعة عبارة «مخاوف أمنية» بوصفها مسوغًا يُبرّر إلغاء حدثٍ كان المأمول منه أن يُسلط الضوء على أهميّة حرّية التعبير في حرم الجامعات. ولم يتوقف العتة عن هذا الحدّ. فقد أنشأ منظمو الإغلاق صفحة على الفيسبوك تتصدّرها علامة الصليب المعقوف النّازيّ تُعلن أنّهم لن يتسامحوا مع النّازيين، والعنصريّين المتشدّدين البيض، والمعادين للسّامية في مدينتهم (وأضافوا إليها المعادين للإسلام والمناهضين للتحوّل). أنا يهوديّ لبنانيّ ذو بشرة سمراء مائلة للإصفرار هربت من القتل في لبنان، ومع ذلك، فأنا نازيّ معادٍ للسّامية على ما يظهر. والدكتور اميتي يهوديّ أيضًا، وقد عانت عائلته في الهولوكوست. إنه متزوّج من امرأة يابانيّة، ولديه أخ مُتبنى أسود البشرة ومثليّ. ياله من نازيّ عرقيّ مناهض للتحوّل! إن هويّاتنا وتواريخنا الشّخصيّة لم تُفلح في دفع هؤلاء المنتهكين للكرامة الإنسانيّة إلى التفكير مليًا في الحدث قبل أن يفعلوا

(63) حركة محتجّين يساريّة معارضة للفاشيّة والنّازيّة ومناهضة للرأسمالية والنّيوليبراليّة واليمين المتطرف، ويعتقد أكثرية أفرادها الأفكار الشيوعيّة والاشتراكيّة والأسلطويّة مع بعض الأفكار الليبراليّة (المترجمة).

ما فعلوا. بل إنهم، بسهولة ويسر، كانوا مصرّين على مواقفهم. وكنا بائعين للكراهية نازيين.

وليست هذه النكبة الأخيرة حدثاً منفرداً. إذ وثقت مؤسسة الحقوق الفرديّة في التّعليم (FIRE) في أمريكا مائة واثنين وتسعين مسعى لإلغاء الدّعوات (أي محاولة منع المتحدّثين المدعوّين من المشاركة) في الجامعات الأمريكيّة للمدّة من عام 2000 إلى 2014، وهذا النمط المفزع ما برح يتنامى.⁽⁶⁴⁾ وتراوح معدّل «نجاح» محاولات كهذه بين 38٪ و 44٪، وهي إهانة مؤثّرة حقّاً للتّعديل الأوّل من الدّستور الأمريكيّ. ومن المرجّح أن يرتفع احتمال بذل الجهد لإلغاء الدّعوات إلى قرابة الثلاثة أضعاف إذا نُظِرَ إلى المتحدّث «المسيء» بوصفه مُتَميماً إلى اليمين السّياسيّ. ومنذ صدور تقرير العام 2014، ازداد عدد الحوادث التي تزعمها اليسار لإلغاء الدّعوات، ومنع عددٍ كبيرٍ من المتحدّثين من المشاركة، ومن بينهم المدير السّابق لوكالة الاستخبارات المركزيّة، (جون برينان) (في جامعة بنسلفانيا)، والمختصّ بالعلوم السّياسيّة، (تشارلس مورّي) (في كليّة مدلبيري) والنّسويّة الدّاعية للإنصاف، (كريستينا هوف سومرز) (في كليّة لويس وكلارك)، والأيقونة النّسويّة، كاميل آنا باغيلا (في جامعة الفنون) والفائز بجائزة نوبل، جيمس واتسن (في جامعة نيويورك

تقرير إلغاء "Disinvitation Report 2014: A Disturbing 15-Year Trend," Foundation for Individual Rights in Education, May 28, 2014, <https://www.thefire.org/disinvitation-season-report-2014/>.

وجامعة إلينوي في إيربانا-شامبين). ووضع حرّية التعبير في الجامعات الكنديّة ليس بأفضل حالاً. إذ قيم مؤشر الحرّية في حرم [الجامعات] الذي يعتمده المركز القضائيّ للحرّيات الدسّوريّة سلامة حرّية التعبير في ستين جامعة كنديّة على وفق أربعة متغيّرات: 1-سياسات الجامعة؛ 2-ممارسات الجامعة؛ 3-سياسات إتحاد الطلبة؛ و4-ممارسات إتحاد الطلبة، بإعتماد التدرج المؤلّف من العلامات أ، ب، ت، ج، ح⁽⁶⁵⁾، حصلت الجامعات الكنديّة فيه على ستّة (أ) وثمانٍ وثلاثين (ح) من بين المئتين وأربعين درجةً مُحتملةً (60 جامعة مضروبة في 4 درجات لكلّ جامعة) بحسب المؤشّر. إنّ الجامعات الأمريكيّة والكنديّة هي بالكاد معاقل لحرّية التعبير. بل هي، بدلاً من ذلك، غرف صدى لليسار. [إذن] تنكبّ عن القطيع على مسؤوليتك.

أومن بحرّية التعبير عن الرأى، لكن...

إن جزءاً من روح العصر في الغرب في الوقت الحاضر هو ضرورة ألاّ ننفوّه بأيّ شيء قد يُسيء إلى أيّ أحد «تقدّمى» أو من «الأقليّة»، أو يُغضبه أو يُشكل إهانة له. ولم يكن هذا هو الحال دائماً، إذ شكّلت قضية الرّوائى سلمان رشدي في 1988 علامةً فارقةً في هذا العهد الجديد من التعبير المُقيّد. إذ أثارت رواية (آيات شيطانيّة) حال

أفضل الإتحادات "Best and Worst Student Unions Regarding Practices," مؤشر الحرّية في Campus Freedom Index "الطلّابية وأسوأها بالنسبة للممارسات [الجامعات] حرم 2019, <http://campusfreedomindex.ca/summary/#ranking-chart>.

صدورها، حفيظة الكثير من أفراد الأمة (المجتمع الإسلامي العالمي) الذين رأوا فيها تجديدًا على دينهم ونبئهم. وأصدر آية الله الخميني، الذي كان المرشد الأعلى لإيران، حكمًا بالموت ضدّ (رشدي) الذي أُجبر على العيش تحت حماية الشرطة. حلّ الروائي ضيفًا في سلسلة البرنامج التلفزيوني 'إكبح حماسك' (Curb Your Enthusiasm) الذي يحظى بشعبية كبيرة ويديره (لاري ديفيد) وكان ساخرًا من المأزق الذي وقع فيه من خلال شرح سبب حرص النساء على إقامة علاقة جنسية مع رجل مُطلوبٍ عالميًا. وفي أذناه مقطعان من مقالة كتبها رُشدي في 2005 يُلخّصان خير تلخيص وضع حرّية التعبير: «إن فكرة إمكان بناء أيّ نوع من أنواع المجتمع الحرّ حيث لن يتعرّض الناس أبدًا للإساءة أو الإهانة، أو يمتلكون الحقّ في الاستعانة بالقانون لحمايتهم من الإساءة أو الإهانة، هي فكرةٌ سخيفةٌ». وإضافةً إلى ذلك، «في اللّحظة التي تُعلن فيها عن قداسة نظام أفكار ما، سواء أكان هذا النظام مُعتقدًا دينيًا أو أيديولوجية علمانية، واللّحظة التي تُصرح فيها أن مجموعة من الأفكار مُحصّنة ضدّ النّقد، والهجاء، والإستهزاء، أو التّحقير... في هذه اللّحظة تغدو حرّية التّفكير مستحيلةً». (66)

يرى التّقدّميون أن إنتقاد المعتقدات الدّينية، والسّخرية منها، أو إهانتها - بإستثناء المعتقد الذي لا يمكن المساس به - هو أمرٌ محمودٌ وجدير بالثناء. فإنّتقاد الإسلام في الغرب يدخل في باب «رهاب

الديمقراطية" Salman Rushdie, "Democracy Is No Polite Tea Party," Los Angeles Times, February 7, 2005, ليست حفلة شاي لطيفة

الإسلام» و«التمييز العنصري» و«التعصب». وإذا صرح أحد السياسيين الجمهوريين باعتقاده أنّ المثلية الجنسية خاطئة بسبب معتقده المسيحيّ، فإنّ التّقدّميّين يبادرون فوراً إلى التّعبير عن غضبهم وهلعهم، وسينظمون مظاهرات احتجاجيّة لأجل ذلك. وإذا رمى أفراد من تنظيم الدّولة الإسلاميّة (ISIS) المثليّين من أعلى شاهق بناءً على فتاوى محدّدة، سيلتزم هؤلاء التّقدّميون أنفسهم بالصّمت كأنّ على رؤوسهم الطّير. فبعد كلّ ذلك، من نحن لنتقد ممارسات الدّين النبيل؟ يبدو واضحاً أنّ فرض قيمنا على الآخرين، لا سيّما إذا كانوا أعضاء في العقيدة التي تسمو فوق النّقد - هو إمبرياليّة ثقافيّة متغطرسة. في عام 2005، نشرت صحيفة يولانديس بوستن الهولنديّة اثني عشر رسماً هزليّاً يصوّر رمزاً إسلامياً مقدّساً. فاندلعت أعمال العنف حول العالم مُخلّفةً وراءها مئتي قتيل. وبعد ذلك بضع سنوات، أصدرت الكاتبة الدّنماركيّة (جيت كلاوسن) كتاباً عن هذا الحدث المثير للجدل بعنوان الرّسوم الهزليّة التي هزّت العالم. وقرّر الناشر، وهي جامعة ييل، عدم نشر الرّسوم الهزليّة في كتاب يتّخذ منها محوراً له!⁽⁶⁷⁾ واتّصف موقف أكثرية وسائل الإعلام الرّئيسة بالجبين أيضاً، إذ امتنعت عن نشر الرّسوم في المنصّات التابعة لها. وبعد قرابة العشر سنوات من ذلك، وقعت مجزرة (شارلي إيبدو) في باريس التي لقي فيها اثنا عشر من العاملين في المجلّة مصارعهم إضافةً إلى

(67) Patricia Cohen, "Yale Press Bans Images of Muhammad in New Book," *New York Times*, "مطبعة جامعة ييل تمنع نشر صور محمّد في كتاب جديد"، August 12, 2009, <https://www.nytimes>.

اصابة عددٍ آخر بجروح خطيرة.

تتعرّض المسيحية إلى الانتقاد والسخرية على الدوام، وبرغم ذلك، لم يكن ردّ المسيحيين على ذلك بهذا العنف، أو أيّ شيء آخر مماثل له.⁽⁶⁸⁾ في عام 1987، نالت صورة 'البول على المسيح' - (أندريس سيرانو) التي تُظهر صليباً مغموراً في كأس من بول الفنان، جائزة يرعاها جزئياً الصندوق الوطني للفنون (وهي وكالة تابعة لحكومة الولايات المتحدة). وكان واضحاً شعور العديد من المسيحيين بالإنزعاج من ذلك، بيد أنهم لم يقودوا مظاهرات احتجاجية عنيفة. وفي حلقةٍ من برنامج 'إكبح حماسك' في 2009، زار (لاري ديفيد) (المؤلف الذي اشترك في كتابة المسلسل التلفزيوني ساينفلد) منزل أحد العاملين، وحدث بينما كان في الحمام أن طرّش البول سهواً على صورةٍ للسيد المسيح. وفسّر العامل، الذي لم يكن يعرف بما فعله ديفيد، قطرات البول بأنها دمعة إلهية. ومن الصعب تخيل قصة أكثر شناعةً وإذلالاً لأكثر من بليون مسيحي حول العالم، مع ذلك، لم يتعرّض أحدٌ للقتل بوصفه انتقاماً من هذه الفكاهة الصببانية. وعلى الرغم من تصوير الفيلم النمساوي الجنته والإيمان امرأة تستمني باستخدام صليب، إلا أن ذلك لم يمنع فوزه بجائزة الحكام في مهرجان البندقية السينمائي في عام 2012.⁽⁶⁹⁾ وإضافةً إلى

قوانين التجديف "Gad Saad, "Blasphemy Laws Belong in the Dark Ages," *Psychology Today*, December 14, 2011, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog>. "تعود إلى العصور المظلمة"

(69) Gad Saad, "Masturbating with a Crucifix in a Film No Riots?" *Psychology Today* "الإستمناء باستخدام صليب في فلم... ألم تقع إضطرابات؟"

ذلك، هناك كتاب المورمون الذي حقق نجاحًا كبيرًا، وهو العمل المسرحي الكوميدي الموسيقي الذي يسخر من الممارسات المتنوعة في عقيدة المورمونيّين، إذ حاز على جائزة توني للتميز في مجال المسرح، وبلغت إيراداته أكثر من خمسمائة مليون دولار أمريكي في برودوي لوحدها. مع ذلك، لم يثر المورمون غضبًا وعنفًا. وازن ردود الأفعال الأليفة والودودة هذه بما حدث في 2012 عندما تسبّب فيلم قصير يفتقر إلى المهارة في إنتاجه، بعنوان *براءة المسلمين*، في احتجاجات شعبية عارمة في العديد من البلدان أسفرت عن مقتل أكثر من خمسين شخصًا، وإصدار فتوى بالموت لمنتج الفيلم، ومخرجه والممثلين فيه. وحدث سجّالٌ حتّى في المستويات العليا في حكومة الولايات المتحدة بشأن هل كان الهجوم على المجمع الدبلوماسي الأمريكي في مدينة بنغازي في ليبيا عام 2012، الذي أسفر عن مقتل أربعة أمريكيّين، من بينهم السّفير، ردًّا عنيفًا على الفيلم؟.

وينخرط ناكرو الهولوكوست في ما يُمكن عدّه الشكل الأكثر شناعةً من الخطاب العدواني. إنهم يؤلّفون إهانةً للأصول واللياقة الإنسانية، لأنهم يرفضون الحقيقة التاريخية الموثقة توثيقًا جيّدًا عن الإبادة المنهجية لملايين اليهود. إن إنكار الهولوكوست، هو من بين جميع الأباطيل المُحتملة، قتلٌ لا نظير له للحقيقة. مع ذلك، أنا اليهودي الذي فرّ من الإضطهاد الدينيّ في لبنان، يدعم حقّ ناكري

Today, September 20, 2012, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homo-consumericus/201209/masturbating-crucifix-in-film-no-riots>.

الهولوكوست في تقيؤ قمامتهم الفاسدة وغير الإنسانية. ومن الصّعب أن تتخيّل برهاناً أكبر من هذا على ما يعنيه أن تكون مؤيداً مُطلقاً لحرية التعبير. وإذا كُنت تفهم معنى حرية التعبير فهماً حقيقياً، يجب عليك، إذن، الموافقة على الآتي: «ليس هناك، بسهولةٍ ويسرٍ، بديلاً أفضل من السماح لأصحاب الآراء المرفوضة شعبياً من التعبير عنها، والسّماح لمن يودّ الإصغاء لهم أن يفعلوا ذلك.»⁽⁷⁰⁾

إن مقولة «أنا أو من بحرّية التعبير، لكن...» تنتهك الروح الجوهرية لما يعنيه أن تتمتع بحرّية التعبير. وما يعقب 'لكن'، في المعتاد، هو مناشدة للإحجام عن جرح حساسيات الآخرين ومشاعرهم. والفكرة العامة هنا هي أن علينا أن نزن حرّيتنا في التعبير إزاء حقّ الآخرين في أن لا يتعرّضوا للأذى. كلاً! إن القصد من حرّية التعبير هو، بالضبط، حماية التعبير الأكثر بشاعةً، وعدوانيةً، وإثارةً للإشمئزاز. ليست الغاية من وجود حرّية التعبير أن تغمرني بالمجاملات اللطيفة فحسب. فالتعرض للإساءة، بين الحين والآخر، هو الثمن الذي يدفعه المرء لقاء العيش في مجتمع حرّ حقاً. قد تُجرح مشاعرك. كُن شجاعاً وواصل المسير. وغنيّ عن البيان أنّ كونك مؤيداً مُطلقاً لحرّية التعبير يأتي مقرونًا بالشرط المعتاد الذي ينصّ على أن الصّراخ بمفرده 'نار' في المسرح، والتّحريض على العنف ضدّ

(70) Stephen J. Ceci and Wendy M. Williams, "Who Decides What Is Acceptable Speech on Campus? Why Restricting Free Speech Is Not the Answer," لم تقييد حرّية "Perspectives on Psychological Science" 13, no. 3 (2018): 299–323.

الآخرين، والإشتراك في خطاب إفترائي وتشهيري لا تُمثل تعبيرًا محميًا، بل إن المناهضين لحرية التعبير يحاولون ليّ عنق هذه التقييدات التقليدية كي تلائم أغراضهم الخاصة.

وتشريع قوانين خطاب الكراهية هي أحد المسالك التي يفقد فيها الغرب إرادته للنضال في سبيل حرية التعبير. إذ تعرّضت بضع شخصيات أوروبية بارزة للمقاضاة بحجة ما يُسمّى خطاب الكراهية، من بينهم عضو البرلمان الهولندي (خيرت فيلدرز) الذي أسلفنا الحديث عنه، ورئيس الجمعية الدولية للصحافة الحرة، (لارس هيدغارد) والناشطة النمساوية (إليزابيث ساباتيتش - وولف) في جميع هذه الحالات، تورّط هؤلاء وغيرهم في مشكلات قضائية لانتقادهم الإسلام. وتحت إشراف رئيس الوزراء الكندي، (جستن ترودو) قدّمت عضو البرلمان الكندي، (إكرا خالد) مشروع قانون Motion 103، الذي يتفرّع، في الأصل، من الإلتماس E-411 (التماس قدّم إلى مجلس العموم) الذي قدّمه سامر مجذوب. سعى كلّ من الإلتماس ومشروع القانون (لا يُمثل أيّ منها قانونًا) إلى محاربة 'رهاب الإسلام' (وهو مفهوم عديم المعنى). يتمتّع الناس في مجتمع حرّ بكلّ الحقّ في السّخرية من الأيديولوجيا، وإدانتها، ونقدها، وتحقيرها والخوف منها.

ومن المحتمل أن المحاولة الأكثر شناعةً لقمع حقّ الأفراد في نقد الأديان (وأعني، بذلك، دينًا مُحدّدًا) جاءت من منظمة التعاون الإسلامي (التي تضمّ في عضويتها ستّة وخمسين بلدًا والأراضي

الفلسطينية). تؤلف هذه البلدان مجتمعة كتلة التصويت الأكبر في الأمم المتحدة، وبناءً على ذلك، ليس مفاجئاً أن تتلقى إسرائيل إدانات رسمية من الأمم المتحدة أكثر بكثير من جميع الأنظمة الوحشية في العالم. لقد دأبت المنظمة في محاولة حمل الدول الغربية على تبني إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام، الذي سيُلزم الدول الموقعة على معاقبة من ينتقد هذا الدين. وهذا الطلب المتكرر لفرض قيود مبنية على الشريعة على حرية التعبير في ما يتعلق بالإسلام يتلقى آذاناً صاغية ومُرحباً به في الغرب، من بينها وزيرة الخارجية السابقة (هيلاري كلنتن) والرئيس السابق، (باراك أوباما) الذي ذكر في خطاب معروف له في إجتماع للأمم المتحدة أن «المستقبل يجب ألاّ ينتمي لأولئك الذين يفترون بالأباطيل على نبي الإسلام».

الهجاء بوصفه مبضع الجراح

«حيثما توجد الحقيقة الموضوعية، يوجد الهجاء».

وندهام لويس (71)

«إن أفضل طريقة لتحديد مقدار الحقيقة المتضمنة في شيء ما هو في جعله مُضحكاً بالكامل، ثم مراقبته لمعرفة كم سيستغرق مقدار الهزل الذي سيثار بشأنه؛ لأنّ الحقيقة هي شيء يقدر على الصمود في وجه السخرية، شيء يتجدد بأيّ إيحاءة فارقة ساخرة موجهة إليه.

(71) Wyndham Lewis, *Rude Assignment* (London: Hutchinson, 1950), 48.

وكلّ ما لا يصمد أمام الهجاء هو زائف».

بيتر سلوتردايك⁽⁷²⁾

«السخرية هي السلاح الوحيد الذي يُمكن استخدامه ضدّ المقترحات المبهمة. يجب أن تكون الأفكار واضحة قبل أن يُقبل العقل على التصرف بناءً عليها».⁽⁷³⁾

الهجاء هو استراتيجية استعين بها بانتظام لنقد مسمّات الأفكار. وضماناً لنجاحه في التأثير، مثلما قالت ماري وورثلي مونتاغيو: «مثل نصل مدية صقيل / برهافة لا تُحسّ، ولا تُرى، على الهجاء أن يجرح ويقرح».⁽⁷⁴⁾ وهذا بالضبط هو السبب الذي جعل الحكّام الشموليين المستبدّين يُجرّمون الهجاء الموجّه ضدّهم، وضدّ أيديولوجياتهم. فإذا كانت فكرة ما حقيقةً وصادقة، إذن، يجب أن تكون قويّة، وقادرةً على الصمود في وجه الهجوم السّاحر والمتهكّم والهازئ. وإذا كانت أضعف من أن تفعل ذلك، فإنّها أكذوبة بلا أدنى شكّ. لقد أدرك الهجّاءون ذلك منذ آلاف السنين، مثلما يتضح في أعمال هوراس، وأريستوفانس، وجوفينال، ولوقيان السّميساطي، والمعريّ، وفولتير، وفرانسوا روباليه، وجوناثان سويفت، وأوسكار وايلد،

(72) Peter Sloterdijk, *Critique of Cynical Reason* الكليّ (Minneapolis, Minnesota: The University of Minnesota Press, 1987), 288.

(73) Thomas Jefferson, "Thomas Jefferson to Francis Adrian Van der Kemp," Founders Online, National Archives, July 30, 1816, <https://founders.archives.gov/documents/Jefferson/03-10-02-0167>.

(74) Sarah Crown, "Poem of the Week," "قصيدة الأسبوع" July 2, 2007, *The Guardian*, .

ومارك توين، وامبروز بيرس، وجورج أورويل. وسأضمّ إلى هذه المجموعة ممثلين هزليين مثل لني بروس، وجورج كارلن، والبرنامج التلفزيوني ساوث بارك (South Park)، ومجلات مثل Mad وشارلي ابيدو.

قال ريشارد داوكينز، العالم التطوري والمُلحد المعروف في تغريدة له في السادس عشر من تموز في العام 2018، الآتي: «أصغيت إلى قرع أجراس ونشستر البهيجة، إحدى أعظم كاتدرائياتنا من القرون الوسطى. إنها ألطف بكثير من أصوات أخرى. هل هذا هو محض تأثير لتنشئتي الثقافية؟»⁽⁷⁵⁾ فأجبت: عزيزي ريتشارد. العربية هي لغتي الأم. عند ترجمة 'الله أكبر' ترجمة مناسبة، فإنها تعني: «إننا نحب جميع البشر، لكننا نكنّ حُبًا خاصًا لليهود، والنساء. لا تقلق. إنها رسالة حبّ، وتسامح، وليبرالية.»⁽⁷⁶⁾

وذكرت جريدة نيوزويك Newsweek، التي لم تلتقط مغزى المزحة في البداية، أنّي قد انتقدت داوكينز لـ 'تعصّبه'، قبل أن تدرك، في النهاية، أنّي كنت أسخر مما قاله. بيد أن قواي التهكمية والسّاخرة امتدّت لتصل إلى باكستان، إذ تمكّنت من خداع صحيفة في مقالة كتبتها لإدانة «رهاب الإسلام» عند داوكينز (حذفت الصحيفة أيّ إشارة لي ولتغريدتي عندما علموا أنّي قد غرّدت من باب

(75) Richard Dawkins (@RichardDawkins), ...Twitter, July 16, 2018, 3:00 p.m., <https://twitter.com/>.

(76) Gad Saad (@GadSaad), "Twitter, July 16, 2018, 3:09 p.m., <https://twitter.com/GadSaad/status/1018935568162582528?s=20>.

الدّعابة).⁽⁷⁷⁾ في بعض الأحيان، كان هجائي من القوّة إلى حدّ خدع حتى أولئك الذين تابعوني في تويتر مدّة من الوقت. استغلّ دونالد ترامب الابن استخدام النّاشطة والسّياسيّة الأمريكيّة ألكساندریا أوكاسيو-كورتيز غير الموفّق لعبارة «معسكرات الاعتقال» في إشارة منها إلى مراكز الاحتجاز على الحدود الأمريكيّة مع المكسيك. إذ نشر ترامب الابن، على وجه الخصوص، تغريدة تتضمّن مقاطع فيديو لناجين حقيقيّين من الهولوكوست للتأكيد على أنّ الموازنة التي أجرتها ألكساندریا كانت حمقاء، إن لم تكن مُضحكة. وفي محاولتي لهجاء نزوع اليسار نحو المعادلة الخاطئة والمعتادة بين خصومهم والنّازيين، كان ردّي على تغريدة ترامب الابن كالآتي: «مُستحيل دونالد ألكساندریا أوكاسيو - كورتيز امرأة ملوّنة في بلد ترامب الذي رفع شعار 'اجعل أمريكا عظيمة مرّة أخرى'. إنها تواجه تهديدات يوميّة أعظم ممّا واجهه النّاجون من الهولوكوست في أيّ وقت مضى». (78) إن طفلة عاديّة بعمر ثلاثة أيام ينبغي أن تكون قادرة على فهم المقصود من هذا الهجاء الواضح وضوح الشّمس. ويبدو أنّ تشارلي كيرك، المثقّف المحافظ ومؤسس منظمة 'نقطة تحوّل الأمريكيّة' غير الرّبحيّة لم يفهم فحوى التّغريدة، إذ ردّ عليها في تغريدة له قائلاً: «واو، رائع. جاد سعد، الأستاذ الذي يُدرّس النّشء في كندا في كليّة جون مولسن

(77) Gad Saad, "My Tweet to Richard Dawkins Heard around the World" THE SAAD TRUTH 703, "تغريدي إلى ريتشارد داوكينز تنتشر حول العالم", July 17, 2018, YouTube video, <https://www.youtube.com/watch?v=VxKvcVFnrhk>.

(78) Gad Saad (@GadSaad), Twitter, June 22, 2109, 1:05 p.m., <https://twitter.com/GadSaad/status/1142478696940527621?s=20>.

للأعمال [الخطأ في الأصل] يقول إنها (إن ألكساندرى أوكاسيو- كورتيز) في وضع أكثر خطورة من أيّ من النّاجين السابقين من الهولوكوست.

هذا هو الأسلوب الذي يتبعه في تعليم أطفالنا.

هذا هو وجه التعليم الليبراليّ.

مكتبة

t.me/soramnqraa

مريض!

أعد التّغريدة!

وانتهى بي الحال إلى تلقي عددٍ لا يُحصى من التّغريدات الغاضبة من أشخاصٍ، جميعهم كانوا مُحصّنين، على ما يبدو، ضدّ قوى الهجاء السّاخر. لاحظ أنّ كيرك في سلوكه كان مثل مُحارب يساريّ [من أجل] العدالة الاجتماعيّة: إذ كان غاضباً ومستاءً للغاية حدّ تعبئة الدّهماء الإلكترونيّين ضدّي، وتصويب سهام هجومه إلى الكليّة التي أعمل فيها. بيد أنه حذف التّغريدة في النّهاية دون أن يعتذر لي.

مع ذلك، من المحتمل أن أعظم خديعة هجائيّة لي وقعت عندما أدرج موقع (بيجاما ميديا) أحد إقتباساتي بوصفه من بين الإقتباسات العشرين الأسوأ في عام 2018.⁽⁷⁹⁾ وهذا إنجاز من الطّراز الأوّل! والإقتباس هو: «إلى جميع «المهاجرين» غير الموثّقين: نعتذر عن

(79) الإقتباسات العشرون الأسوأ لعام 2018 (<http://archive.vn/k1sSo>). أنظر اقتباس #7. وصفت هذا العمى الهجائيّ المجيد من جانب موقع بيجاما ميديا في THE SAAD TRUTH 815: إدراج اقتباسي السّاخر ضمن الإقتباسات العشرين الأسوأ!"
December 31, 2018, YouTube video,

تعصّبنا وتحيّزنا العنصريّ. إن عدم السّماح لكم بالتّصويت في إنتخاباتنا فعل نازيّ. فبعد كلّ ذلك، الحدود القوميّة نازيّة. والأمة نازيّة. في عالم عادل، يحقّ لكلّ شخص أن يصوّت في أيّ مقاطعة. #WeApologize⁽⁸⁰⁾ من جانبي، اتّصلت بكاتب المقال في الموقع - الذي يبدو أنه لم يكن قادراً على تمييز الهجاء السياسيّ من الخبل السياسيّ الحقيقيّ - وأزال، في النهاية، إقتباسي من قائمة «الإقتباسات الأسوأ».

والنّقطة الرّئيسة التي أودّ الحديث عنها هنا هي: إن المجتمعات الحرّة لا تجفل أمام قوّة الهجاء. إنّها تُدرك أنّ المعتقدات والأيديولوجيّات جميعاً هي أهدافٌ مناسبةٌ للنّقْد. ومتى حدّدنا ما يُمكن نقده وهجاؤه، فذلك يعني أننا لم نعد نعيش في مجتمعٍ حرّ.

سياسات الهوية مناهضة للعلم

أشرفت على تنظيم وإستضافة ندوةٍ عن الإستهلاك التّطوّريّ في جامعتي في خريف عام 2018. وتلقّيت، قبل الندوة بأيّام قليلة، رسالةً إلكترونيّةً من زميلة لي في قسمٍ آخر في الجامعة أخبرتني فيها بأنّها لن تتمكّن من الحضور، ثمّ وبّختني لـ 'تجاهلي' تضمين المزيد من المتحدّثات النّساء. وردّي عليها هو الآتي:

شكراً جزيلاً على رسالتك الإلكترونيّة. أشعر بالأسف لعدم

(80) Gad Saad (@GadSaad), #WeApologize," Twitter, November 6, 2018, 1:21 p.m.

تمكّنتك من حضور الندوة. أمّا بالنسبة للنقطة التي وردت في رسالتك، فإنّي لست من المؤيدين لسياسات الهوية لا سيّما في المجال العلميّ. فإذا اقتضت الندوة الحاليّة أن يكون أكثرية المتحدّثين من النساء، فليكن. وإذا كان عدد المتحدّثين الذكور قياسا بالمتحدّثات الإناث غير 'متوازن'، فليكن. دعوت فعلاً متحدّثة أخرى، لكنّها لم ترد. لم يكن اختياري للمتحدّثين مبنياً على هل يبيضون أم لا. بل جاء اختيارهم بناءً على ملاءمتهم للموضوع المطروح، وتمكّنتهم من الحضور، إلى آخره.

أصدرت الحكومة الأمريكيّة بيانات تشمل خمسة أعراق وأربعة مستويات تحصيل دراسيّ (درجة دبلوم جامعيّ، ودرجة بكالوريوس، ودرجة ماجستير، ودكتوراه). وعلى هذا الأساس، كان هناك عشرون خلية لتحليلها. وفي كلّ خلية، كان عدد النساء يفوق الرجال. هل ستضغطين من أجل تحقيق المزيد من التكافؤ في العدد عبر الخلايا لأنّه من الصّعب تخيّل واقع أكثر «تحيّزاً»؟

ولا بدّ لي من أن أضيف بأننا لا نعلم ما إذا كان أحد المتحدّثين الذكور يُعرّف نفسه بوصفه امرأة. لذا ربّما يكون التكافؤ في النوع الاجتماعيّ أكثر توازناً ممّا بدا لأوّل وهلة.

على أيّ حال، شكراً لك على هذه الرسالة. وكلّي أمل بأننا سنحظى بفرصة التّواصل قريباً.

وما زلت بانتظار الرّدّ منها. جدير بالذكر أنّي زرت الموقع الإلكترونيّ الجامعيّ لزميلتي، ورأيت صورة لها مع تسعة من أعضاء

مختبرها، جميعهم من النساء، ولئلا تتصور أن هذه الحالة شاذة، فقد وبّخت المنظمة التّقدّميّة المعنونة 'وسائل الاتّصال مهمّة' المدوّن الصّوتيّ (البودكاستر) والممثّل الكوميدي (جوروغان) لإستضافته رجالاً يفوق عددهم النساء.⁽⁸¹⁾ ويجب على القائمين على تخصيص الكراسي البحثيّة التي تمنحها الحكومة الكنديّة (المعروفة بالكراسي البحثيّة الكنديّة) أن يلتزموا حالياً بـ «خطة عمل التّنوع والشّمول والإنصاف» الرّامية إلى ضمان تعيين المزيد من «النساء، والسكّان الأصليّين، وذوي الهمم، والأفراد من الأقليّات المرثيّة» في منصب أستاذ كرسي، والجامعات التي لا تلتزم بخطة العمل هذه سيُحجب منها التّمويل. وقد أُصيبت حتّى جائزة نوبل بهذه العقليّة المُدمّرة. إذ وبخت مقالة منشورة في مجلة Nature (إحدى أهمّ مجلّتين بين المجلّات العلميّة) لجنة الجائزة بسبب التّباين في النّوع الاجتماعيّ بالنّسبة للفائزين بجائزة نوبل للعلوم (بلغت نسبة النساء بينهم 3٪)، وأضافت إلى ذلك أن الأغليّة العظمى من الفائزين قد عملوا في بلدان غربيّة.⁽⁸²⁾ إن الاعتراف بالتميز العلميّ ينبغي أن يكون مدفوعاً بمثل الجدارة والكفاية، ومع ذلك، ما برح هذا الاعتراف يتلوّث بسياسات الهويّة.

(81) Cristina Lopez, "The Joe Rogan Experience Disproportionately Hosts Men," April 15, 2019, MediaMatters, .

(82) Elizabeth Gibney, "What the Nobels Are—and Aren't—Doing to Encourage Diversity," ما الذي تفعله-ولا تفعله-جوائز نوبل تشجيعاً للتّنوع," Nature, September 28, 2018, <https://www.nature.com/articles/d41586-018-06879-z#correction-0>.

نُظِّمَتْ 'مسيرة من أجل العلم' الإفتتاحية في نيسان عام 2017 في مئات المدن حول العالم لتأكيد أهمية العلم (كانت المسيرة، في جزء منها، بمنزلة ردّ على برنامج دونالد ترامب المفترض المناهض للعلم). وفي زيارة لي لأحد مواقع التّحشيد الرّئيسة لهذا الحدث في الثلاثين من كانون الثّاني من العام نفسه، وجدت بيان المسيرة هذا: (83)

نحن ملتزمون، في 'مسيرة من أجل العلم'، بتقديم العلماء والمدافعين عن العلم السّود، واللاتينيين، والآسيويين، وسكّان الجزر الباسفيكية، والسكّان الأصليين، وغير المسيحيين، والنساء، وذوي الهمم، والفقراء، والمثليين، والمثليات، وثنائيي الجنس، والشواذ، والمتحولين جنسيًا، واللاتنانيين، واللاجندريين، والخشيين، وتسليط الضوء عليهم، والتضامن معهم، والعمل بوصفنا شركاء لهم. يجب علينا العمل لجعل العلم متاحًا للجميع، وتشجيع الأفراد من الخلفيات كافّة على السّعي طلبًا للمهن العلميّة لا سيما في الدّرجات والمواقع المتقدّمة. ما برحت مجموعة متنوّعة من العلماء في تقديم أبحاثٍ متنوّعة أسهمت في توسيع الاستعلام العلميّ وتعزيزه وإثرائه، وبالتالي، في تعزيز فهمنا للعالم.

فإذا كُنْتُ عالمًا ذكرًا مسيحيًا أبيض متخالف الجنس، فحظًا سيئًا، يا صديقي. وفي أعقاب موجة النّقد التي جمعت أكاديميين بارزين، من بينهم عالم النّفس (ستيفن بينكر) من جامعة هارفرد، والنّقد الذي

لم يعد هذا الموقع متاحًا <http://www.scientistsmarchonwashington.com>. (83)

وجهته أنا أيضًا، جرى تعديل البيان الأخير على الرغم من بقائه بوصفه ترهات مُناهضة للعلم.

العلم، بحكم تعريفه، هو عملية لاسياسية، أو يجب أن يكون كذلك مضافًا إلى أن الحقائق العلمية والقوانين الطبيعية توجد بصورة مستقلة عن هويات الباحثين. فتوزيع الأعداد الأولية لا يتغير بوصفه دالًا على إذا ما كان الرياضي رجلا مسيحيًا أبيض متخالفًا جنسيًا أو متحوّل جنسيًا، أو مُسلمًا، أو شخصًا (بدينًا) مختلف الحجم. وعلى غرار ذلك، لا يعتمد الجدول الدوري للعناصر على ما إذا كان المتخصّص بالكيمياء هو لاتينيّ شاذّ أو يهوديّ حسيديّ ذو هويّة جنسيّة مُحدّدة منذ الولادة. أوه، هل أنت كيميائيّ لاثنائيّ الجنس أم ثنائيّ الجنس؟ حسنًا، إن هذا من شأنه تغيير الأعداد الذريّة للكربون، والباليدوم، واليورانيوم. لندع السّخرية بمُجملها جانبًا، العلمُ نشاطٌ مُحرّرٌ تحديداً لأنّه لا يكثرث هويّتك. إنه الوسيلة الإبستمولوجيّة (المعرفيّة) التي نستثمرها لفهم العالم باستخدام قواعد إثباتيّة واستدلاليّة وغير مُتحيّزة. ليس هناك تعريف آخر، ولا وسيلة أخرى للمعرفة. وهذا يقودني إلى مُسمّم عقليّ قاتلٍ آخر انتشر في النّظام البيئيّ الجامعيّ: وأقصد بذلك فكرة أن العلم هو الوسيلة الإستعماريّة البيضاء للمعرفة. حظي طلاب من أفريقيا الجنوبيّة في جامعة كيب تاون يُعرفون بـ 'اللاعلميين' (الذين يؤمنون بأن العلم يجب أن يسقط) باهتمام عالميّ حينما جادلوا أنه من اللّازم والضّروريّ إنهاء تبعيّة عقل المرء وتحريره من أغلال العالم الإستعماريّ الأبيض. أسف ألبرت أينشتاين، وتشارلس داروين، وإسحاق نيوتن، وغاليليو

غالبلي: لستم من فئة الملونين. لا يمكن الوثوق بعملكم ثقة تامة. فلنعد إلى لوحات الرسم. قد يميل القراء إلى الظن بأن هذا الأمر لا يدعو إلى القلق. فما الدجالون الجنوب أفريقيون المعنيون بهذا الأمر، بعد كل ذلك، سوى مجموعة شاذة خارجة عن المؤلف، بلا أدنى شك. وهذا النوع من الخبل المعادي للعلم لا يمكن أن ينتشر، أم هل يمكنه ذلك؟ هناك ضغط متزايد في الجامعات الكندية لتوطين المناهج الدراسية على أسس محلية. وهذا الإجراء هو بمنزلة استجابة تصالحية للمظالم والانتهاكات التاريخية السابقة التي أرتكبت بحق السكّان الأصليين. والمنهج العلمي، وفق رؤية كهذه، ليس سوى وسيلة واحدة من بين عدّة وسائل لبلوغ المعرفة. إذ يجري الترويج لأشكال أخرى من المعرفة بوصفها أشكالاً موازية مناسبة للاكتشاف، من بينها تلك الأشكال التي قد تنتمي إلى حقل فلكلور السكّان الأصليين وأساطيرهم. وأنا هنا لأخبرك: كلاً، إنها ليست كذلك. لا ريب في حيازة السكّان الأصليين لرؤية فريدة بشأن الموجودات النباتية والحيوانية في الأراضي التي عاشوا فيها لأجيال. ومن المعقول تماماً الافتراض أنّ معارف محلية ضليعة مثل هذه على قدر كبير من الأهمية والقيمة، وخليقة بأن تُدرس وتُتشر. إلا أن الطريقة التي يجري من خلالها ترميز المعلومات العلمية في مجتمع المعرفة البشرية ليست خاصية ثقافية. عُنف باتريك بوشين، نائب الوزير في مقاطعة كيبيك، مؤخراً أشدّ التعنيف بسبب جرأته على التساؤل عن إمكانية تقييم المعرفة المحلية بإزاء المعرفة العلمية (حين إجراء دراسات التأثير البيئية). ويبدو أنه كان مُتّهماً بدعم «التسلسل

الهرميّ للمعارف.»⁽⁸⁴⁾ والمنهج العلميّ هو الإطار الإستمولوجيّ العالميّ لفهم العالم حولنا. إن العلم لا يكثرث بالموقع المتميّز لـ «حكمة الأسلاف»، و«المعرفة القبليّة»، و«خبرات كبار السنّ». لا مكان للحقائق الإظهارية في العلم. ليس هناك أسلوب لبنائيّ - مسيحيّ للمعرفة مثلما ليس هناك أسلوب محليّ لها. ويجب على جميع الإدعاءات الخاصّة بالعالم الطّبيعيّ أن تمرّ عبر الموشور الاستدلاليّ للمنهج العلميّ.

ثمّة بضع طرائق أخرى يجري عبرها توطين العالم الأكاديميّ على أساس محليّ. إذ كثيرًا ما تُلقى بيانات الاعتراف في الأراضي الأصليّة في مُستهلّ المناسبات الأكاديميّة (مثل حفلات التّخرج) إذ يبدأ المتحدّثون خطاباتهم بالاعتراف أنّ الحضور يقفون على أراضي مقدّسة تعود في أصولها إلى السّكان الأصليّين. وثمّة نسخة أكثر قوّة من هذا الطّقس الجديد تقول إن الحاضرين على أرضٍ مسروقة. ألقيت محاضرة دُعيّت إليها في خريف العام 2017 في جامعة ريجنا بعنوان: «موت الغرب البطيء والمؤلّم بألّف من الجروح: القوى التي تحول دون التّبادل الحرّ والعقلانيّ للأفكار.»⁽⁸⁵⁾ إستهلّ المُقدّم خطابه

(84) Graeme Hamilton, "Quebec Deputy Minister Gets Pushback after Questioning Place of Indigenous 'Traditional Knowledge,'" National Post, March 27, 2018, <https://nationalpost.com/news/canada/quebec-deputy-minister-gets-pushback-after-questioning-place-ofindigenous-traditional-knowledge>.

(85) Gad Saad, "Death of the West by a Thousand Cuts," THE SAADTRUTH 511, September 25, 2017, YouTube video, https://www.youtube.com/watch?v=Y0a_gtYojus.

بتذكير المستمعين بـ 'اتفاقية 6' المبرمة بين التاج الكندي والشعوب الأصلية المتنوعة في 1876، وأضاف بأننا كنا في أراضي شعب الميتي. كثيرًا ما يستهمل عرفاء الحفل حديثهم في مراسم حفلات التخرج الجامعية بتقديم اعترافات بحق [السكان الأصليين] في الأرض. ضع نفسك مكان آلاف الطلاب المتخرجين الذين يجب عليهم أن يجلسوا بهدوء بينما يتوشحون برداء الذنب التاريخي على أكتافهم. لقد تابروا واجتهدوا سنوات طويلة لبلوغ هذه المرحلة. هذه هي لحظتهم. لكنهم، بدلًا من ذلك، يُقذفون في أتون المظالم التاريخية التي لا علاقة لها بأيّ منهم. والحقيقة هي أن عددًا كبيرًا من الأراضي الحالية كانت ملكيته تعود إلى شخصٍ ما في مرحلة زمنية ما. هذه هي إحدى السمات المعروفة للتاريخ. إنها جزء لا يُمحي ملتصق بالإنسان العاقل. هل ينبغي لنا أن نتبنى مقياسًا تاريخيًا يجب أن يبدأ فيه أيّ احتفال أو جميع الإحتفالات بوصف قانوني تاريخي لجميع الشعوب التي تدعي حيازتها ملكية أرضٍ معينة؟

ولا تقتصر عملية التوطين المحلي على المناهج الدراسية والمراسم الجامعية. إذ أنها قد هاجمت الأدوات الأساسية التي تُقيم البحوث الأكاديمية بناءً عليها، أي عملية المراجعة العلمية السريّة. قد يكون من المفيد أن أراجع خطوةً إلى الوراء، كي أشرح بإيجاز كيف يحدث ذلك. يُشرف على إدارة المجلات الأكاديمية رئيس تحرير، ومحررون مساعدون (في بعض الأحيان) وهيئة تحرير من الخبراء الأكاديميين في الحقل المعني. وتبدأ المراجعة السريّة عندما يستلم المحرر بحثًا للنظر في إمكانية نشره، وليقرّر بسرعة ما إذا كان البحث يتمتع

بالنوعية الضرورية، ويوافق إهتمام المجلة. في حال لم يُحقق البحث
 هذه الشروط، فإنّ المحرّر «سيرفضه» قبل إرساله إلى التحكيم. أمّا في
 حالة قبوله، فإنّه يُرسل إلى عددٍ مناسبٍ من المراجعين العلميين
 لتقييمه أكاديمياً (عددهم في العادة اثنان أو ثلاثة خبراء من هيئة
 التحرير، وقد يطلب المحرّر، أحياناً، خبيراً من خارج الهيئة لمراجعة
 البحث؛ وهو ما يُعرف بالمراجع الحرّ). وبعد تقديم جميع المراجعات
 إلى المحرّر، تُرسل رسالة القرار إلى الباحثين التي تضمّ، نموذجياً،
 واحداً من الاحتمالات الأربعة الآتية: (1) قبول البحث، (2) سؤال
 الباحثين إجراء تعديلات ثانوية، وإعادة تقديم البحث، (3) سؤال
 الباحثين إجراء تعديلات جوهرية، وإعادة تقديم البحث، (4)
 رفض البحث. ويُمكن أن تستمرّ هذه العملية لبضع جولات من
 المراجعة المؤلفة من بضعة أعوام من التفحص الخبير والمكثف. وعلى
 هذا النحو، فإنّ نشر بحثٍ في مجلات أكاديمية يعني، بوجه الإجمال،
 خضوعه لعملية تقييم موسّعة. وليست مراجعة النظراء مثاليةً في
 جميع الحالات (إذ تُرفض بعض الأوراق البحثية العظيمة أحياناً في
 مقابل قبول أخرى ضعيفة)، لكنّها ضرورية وعنصر جوهريّ في
 تدقيق المعرفة البشرية. وقد تفاجئك معرفة بأنها عملية 'عرقية' على
 الرغم من حقيقة أنّها مزدوجة التعمية تماماً (أي أن المراجعين
 والمؤلفين يجهلون هويّات الآخرين). وهذا هو الإدعاء الذي تقدّمت
 به لورنا جون مكيو، أستاذة القانون في جامعة كولومبيا البريطانية في

عام 2016. (86) إذ أكدت مكيبو، التي تعود أصولها إلى السكان الأصليين، على وجه الخصوص، إنّ البحوث التي تخضع لمراجعة النظراء تتعارض مع التقاليد الشفاهية لإرثها، وهذا يعني أن الجامعة كانت تمييزية ضدّ أسلافها. وما يدعو إلى الدهشة هو الاستماع إلى قضيتها أمام محكمة حقوق الإنسان في كولومبيا البريطانية التي حكمت أن الجامعة لم تُميّز ضدّها. كان يجب على أحدهم أن يُخبر جميع الحاصلين على جائزة نوبل من اليهود منذ وقتٍ طويلٍ أنه ما كان عليهم أن يُكلّفوا أنفسهم عناء كتابة الأشياء وتوثيقها لأنّ اليهودية تنبع أيضًا من تراث شفاهيٍّ ثريٍّ

تري الترنيمة التقدّمية المعاصرة أنه لأمر محمود وجدير بالثناء أن نقول إن أعراقًا، أو ثقافات، أو أديانًا مختلفة تملك أساليب متميزة للمعرفة. مع ذلك، ومنذ وقتٍ ليس ببعيدٍ، كانت فكرة أن الناس من أعراقٍ أو طبقاتٍ مختلفة لديهم أساليب تفكيرٍ واستبصارٍ متميزة تقتصر على العنصريين وغيرهم من الأشرار. صاغ لودفيغ فون ميزس أحد أبرز أعضاء مدرسة الاقتصاد التماسوية، والمدافع المخلص عن الليبرالية الكلاسيكية، مفردة التعددية المنطقية (polyogism) للكشف عن هذه الحماقة بالذات، وميّز بين التعددية

(86) Tristin Hopper, "Law Professor Argues in UBC Human Rights Complaint That Indigenous Scholars Shouldn't Have to Publish Peer-Reviewed Research," أستاذة قانون تُجادل في شكوى خاصة بحقوق الإنسان في جامعة " كولومبيا البريطانية بأنّ الباحثين من السكان الأصليين يجب ألا يضطروا إلى نشر بحوث *National Post*, January 24, 2016, <https://nationalpost.com/news/canada/b-c-aboriginal-scholar-wins-bid-for-rights-hearing-after-shesdenied-tenure-in-part-over-lack-of-research>.

المنطقية الماركسيّة والتعددية المنطقية العرقية، شارحاً أن طريقة الفرد في التفكير في الحالة الأولى تتحدّد بطبقته الاجتماعية في حين يؤلّف العرق العامل المرشد في الحالة الثانية. كان ميزس على وعي تامّ بالطبيعة المنافية للمنطق لهذه القاعدة عندما علّق ملاحظاً: «يجب على كلّ داعم مثابر للتعددية المنطقية التقيّد باعتقاده أن الأفكار صحيحة؛ لأنّ من وضعها عضو في الطبقة، أو الأمة، أو العرق الصحيح. غير أن المثابرة لا تمثّل إحدى فضائلهم. وتبعاً لذلك، فالماركسيّون مستعدّون لمنح صفة 'المفكر البروليتاري' إلى أيّ أحد تحظى معتقداته بمصادقتهم. أمّا ما عداهم فنصيبهم جميعاً هو الاستخفاف والتحقير إمّا بوصفهم أعداءً لطبقتهم، وإمّا بوصفهم خونة اجتماعيين.»⁽⁸⁷⁾

وينخرط المحاربون [من أجل] العدالة الاجتماعية حالياً في تفكير أيديولوجيٍّ مماثل. إذ استبدلت عبارة «أنا أختلف معك»، وحلّ محلها، بالتالي، مُسمّيات مُهينة، من مثل: ناكر التغيّر المناخي، والقوميّ الأبيض، والملحد الجديد، والعنصريّ المتشدّد الأبيض، واليمين البديل، وغيرها، إضافةً إلى شيطنة المنشقين عن المنهج التقليديّ التقدّميّ بوصفهم عدوانيين وأشراراً.

وتعددية المنطق فكرة مناهضة للعلم، مثلما يعي (ميزس) «لقد سلط [ميزس] الضوء على الأهمية الكبيرة لتعددية المنطق، واصفاً إياه بـ 'الثورة الرومانسية ضدّ المنطق والعلم' ومُبيّناً أنه 'لا يُقيّد نفسه

(87) Ludwig von Mises, *Human Action: A Treatise on Economics* الفعل
رسالة في الاقتصاد البشريّ (Auburn, Alabama: Ludwig von Mises Institute, 1998), 76.

بميدان الظواهر الإجتماعية وعلوم الفعل البشري. إنه ثورةٌ ضدّ ثقافتنا وحضارتنا بأكملها»⁽⁸⁸⁾ إن المنهج العلمي يجعلنا أحرارًا في السعي نحو الحقيقة بصرف النظر عمّن نكون. وبنحو مماثل، فإنّ علم النفس التطوريّ، وهو نظام معرفيّ يحقّقه غريزيًا الكثير من التقدّميين، هو بصراحةٍ وجلاء، علم مناهض للعرقية لأنّه يُدرك، أنه أدنى من الكثير من الاختلافات السطحية في ما بيننا. إنّ العقول البشرية إنبثقت من القوى التطورية ذاتها بصرف النظر عن خلفياتنا العرقية أو الإثنية. وإن القوى البيئية (أو الثقافة) تؤثر فعلاً في أساليب تفكيرنا، واستبصارنا، وصنعنا للقرار، لكنّ هذه التأثيرات ليست عناصر ثابتة لا يُمكن تحديدها في عرق الفرد أو اثنيته. ليس هناك 'عقل أسود' أو 'عقل أبيض'، ولا 'أسلوب للتفكير ذكوريّ أبيض' و'أسلوب تفكير خاصّ بالسكان الأصليين'، هناك حقيقة واحدة فقط، نتوصّل إليها عن طريق المنهج العلميّ.

الإمتثال الأيديولوجي للتنوع والشمول والإنصاف

يبدو أنّ التقدّميين يؤمنون بأنهم إذا دأبوا على ترديد كلمات «التنوع، والشمول، والإنصاف» بالقدر الكافي، فإنّ جميع المشكلات ستُحلّ. لكن، ممّا لا شك فيه أنّ أنواعاً معيّنة فحسب من «التنوع، والشمول، والإنصاف» تتمتع بالأهميّة. فالتنوع المبنيّ على العرق،

(88) Jörg Guido Hülsmann, *Mises: The Last Knight of Liberalism* ميسز: فارس (Auburn, Alabama: Ludwig von Mises Institute, 2007), 668.

والإثنية، والدين، والجنس، والتوجه الجنسي، وهوية النوع الاجتماعي، هي طقوس تأسيسية في عبادة التنوع. ومع ذلك، فالتنوع والشمول والإنصاف (تُعرف اختصارًا بـ DIE) هو المعتقد الزائف الرسمي في الجامعات الغربية التي توظف عددًا ما برح يتزايد من الإداريين الأكاديميين لضمان سيادة عبادة هذه الخصائص الثلاث فيها. وقد قدرَ (مارك جي فلنت) أستاذ علم الاقتصاد في جامعة ميشيغان - فلنت، أن عدد الموظفين المسجلين في قائمة الرواتب في جامعة ميشيغان الذين يتولون مهمة الحفاظ على مبادئ التنوع والشمول والإنصاف يبلغ ثلاثة وتسعين موظفًا بتكلفة كلية سنوية تفوق أحد عشر مليون دولار.⁽⁸⁹⁾ ويستلم المسؤول الإداري الأعلى عن الحفاظ على هذه المبادئ في تلك القائمة أجرًا سنويًا مقداره ثلاثمائة وستة وتسعين وخمسمائة وخمسين دولارًا، أي أكثر من المرتب الذي يتلقاه أربعة من أعضاء هيئة التدريس في أكثرية الجامعات الأمريكية. وقوائم الأجور الإدارية المتضخمة هي حقيقة مالية كارثية أصلًا في أغلبية الجامعات؛ والزيادة المتواصلة في عدد الموظفين البيروقراطيين المكلفين بالحفاظ على هذه المبادئ لا تزيد الوضع إلا

(89) Gad Saad, "My Chat with Economist Mark Perry," "حديثي مع أستاذ" *THE SAAD TRUTH* 1007, January 28, 2020, YouTube video, <https://www.youtube.com/watch?v=QaRsexsT3Qk>;

Mark Perry, "More on My Efforts to Advance Diversity, Equity, and Inclusion and End Gender Discrimination in Michigan," "المزيد عن جهودي لتعزيز التنوع والشمول والإنصاف والقضاء على التمييز المبني على النوع الاجتماعي في ميشيغان" *AEIdeas*, American Enterprise Institute, May 17, 2018, <http://www.aei.org/publication/more-on-my-efforts-to-advance-diversity-equity-and-inclusion/>.

وقد انتفع أعضاء ديانة التنوع والشمول والإنصاف، في ظل الحاجة المتواصلة إلى إمطة اللثام عن العنصريين المخادعين القابعيين في كل شقٍّ وشرح، من استخدام اختبار الترابط الضمني، الذي يُفترض فيه قياس تحيزات الناس الكامنة. وبقولٍ مختلفٍ، حتى لو نفيت صفة العنصرية عنك، وصرّحت بأنك، في حياتك، لم تُضمّر قطّ أيّ فكرة عنصرية، فإنّ هذا الاختبار سيثبت خلاف ذلك. إنه مماثل للمبدأ الشائن الذي اتّبعه (لافريتي بافلوفيتش بيريا) (رئيس جهاز الشرطة السريّة في عهد جوزيف ستالين): «أرني الرجل، وسأجد لك الجريمة». وفي هذه الحالة، أرني الشخص (لا شكّ أنه ذكر أبيض مسيحيّ متخالف جنسيّاً) وسيظهر لك الاختبار أنه عنصريّ بغض. والواقع أن لهذا الاختبار صحّة تنبؤيّة ضئيلة⁽⁹⁰⁾، وأنّ التدريب على التنوع المبنيّ على تحديد التّحيزات اللاواعية المفترضة هو، على الأغلب، تدريب قاصر⁽⁹¹⁾، فضلاً عن أن القيمة العلميّة لهذا الاختبار لا تزال أحد الموضوعات التي يحتمد الخلاف

(90) Frederick L. Oswald *et al.*, "Predicting Ethnic and Racial Discrimination: A Meta-Analysis of IAT Criterion Studies," ميثا- *Journal of Personality and Social Psychology* 105, no. 2 (2013): 171–92.

(91) Mike Noon, "Pointless Diversity Training: Unconscious Bias, New Racism and Agency," التّدريب على التنوع عديم الجدوى: التّحيز غير الواعي، *Work, Employment and Society* 32, no. 1 (2018): 198–209. والعرقية والوكالة

بشأنها،⁽⁹²⁾ ولذا، من الحماقة الفجة أن نستخدمه في البيئات المؤسسية والتعليمية كما لو أنه علمٌ قارٌّ.

مع ذلك، يُصرّ أنصار مبادئ التنوّع والشّمول والإنصاف المتحمّسون على أن جميع من يخضع لسطوتهم يجب عليهم أن يهتدوا إهداءً كاملاً للعقيدة التّقديمية. إذ يطلب عددٌ متزايدٌ من الجامعات في الوقت الحاضر أن يُظهر الفرد التزامًا بهذه المبادئ؛ وهذا الإلتزام هو جزءٌ من عملية توظيف أفراد الكادر التعليمي وترقيتهم. لناخذ، مثلاً، مكتب التنوّع والشّمول والإنصاف في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، الذي أصدر تقريرًا يُبيّن فيه أنّ على أعضاء الطاقم التدريسي أن يقدموا بيانًا (بوصفه جزءًا من التّقييم القياسي للكادر الأكاديمي) يسلّطون فيه الضّوء على «إسهاماتهم الماضية، والحالية، والمستقبلية (التي يُخطّطون لها) للتنوّع والشّمول والإنصاف».⁽⁹³⁾ وبالطريقة ذاتها، يتغنّى الكوريّون الشماليّون علنًا وبحماسٍ منقطع النظر بحبّهم لزعيمهم العزيز الراحل حاليًا، وإن كان مُبجّلًا، كيم جونج - إيل، وعلى غرار ذلك، يجب على الكادر الأكاديمي حاليًا أن يخزّوا ساجدين أمام محراب التنوّع والشّمول والإنصاف. والفشل في فعل ذلك قد يعني القضاء على مسيرة الفرد الأكاديمية. ودعوني

هل "Can We Really Measure Implicit Bias? Maybe Not," Tom Bartlett, *Chronicle of Higher Education*, January 5, 2017, <https://www.chronicle.com/article/Can-We-Really-Measure-Implicit/238807>.

(93) "Equity, Diversity and Inclusion (EDI) Statement FAQs," Office of Equity, Diversity and Inclusion, UCLA, September 5, 2019, <https://ucla.app.box.com/v/edi-statement-faqs>.

أشارككم حكاية شخصية تكشف عن هذا الواقع المتنامي، إذ اتّصلت بي طالبةٌ (توافق أن تكون أحد المعجّين بكتاباتي) كانت عضوًا في مجموعة نساء (جون مولسن) في نادي الأعمال التي أبدت رغبتها في دعوتي إلى التحدّث في إحدى المناسبات بخصوص كيف يُمكن للرجال أن يكونوا حلفاء للنساء في أماكن العمل. وأجريت محادثة عبر تقنية السّكاي بي مع الطّالبة للإستزادة عن الحدث، فأخبرتني أنها تريد منّي أن أشاركهنّ الإستراتيجيات التي ربّما أكون قد إستخدمتها في عملي لدعم النساء وتطويرهنّ.

ذكرتها بأنّي أعامل كلّ شخصٍ بالقدر نفسه من الإحترام بصرف النظر عن جنسه أو أيّ خصائص أخرى ثابتة، وأني دائمًا ما أستند في حكمي على الناس إلى مزاياهم الفرديّة. وأوضحت لها، إضافةً إلى ذلك، أن عميد كليّة الأعمال التي أعمل فيها امرأة، وأيضًا العميد المشارك في قسم الأبحاث (وعين القسم، منذ حديثي معها، امرأةٌ رئيسةٌ له). أعترف أنّ النساء قد واجهن تمييزًا في الماضي، لكنني بيّنت أنّ الوضع الحاليّ مختلفٌ للغاية، إذ تكشف البيانات أنّ النساء حاليًا يُبلين بلاءً حسنًا مقابل الرجال، ويتفوّقن عليهم في العديد من الحقول الأكاديميّة. وبدلًا من تعزيز سرديّة المظلوميّة المغلوطة، عرضت عليها إلقاء محاضرة عن أبحاثي العلميّة عن الفروق الجنسيّة، إلّا أنّ اللّجنة إنّخذت قرارًا بعدم دعوتي.

كان بوسعي مسaire الأمور، وإلقاء المحاضرة المطلوبة عن حاجة الرجال إلى أن يكونوا حلفاء أفضل للنساء. غير أنّ التزامي بالحقيقة

وتمسّكي بالواقع كان معناه عدم تمكّني من فعل ذلك بضمير مستريح؛ لأنّ التّظاهر بأنّ النّساء في حاجة إلى الرّجال ليعملوا بوصفهم حلفاء لهنّ هو أمر مُدَلّ ومتعجرف للغاية. إنه شكّل من أشكال الصّبيانيّة التي لا ينبغي أن توجد في مجتمع الجدارة.

مع ذلك، يُيمن هذا النّوع من الصّبيانيّة، بطبيعة الحال، على المؤسّسات الأكاديميّة. إذ قال (فرانسس كولنز) مدير المعاهد الوطنيّة للصّحة، إنه سوف يتأكّد من التزام المؤتمر بالقضاء على اللّجان التي تقتصر عضويّتها على الرّجال قبل الموافقة على المشاركة في التّحدّث فيها.⁽⁹⁴⁾ وما أثار استيائي وكدر صفوي تأييد (سيمون بارون - كوهن) أحد أبرز علماء الأعصاب المعرفيين، لما صرّح به كولنز.⁽⁹⁵⁾ وهذا التّلوّيح بالفضيلة من «حلفاء» ذكور بارزين مثل هؤلاء يجب أن يُنظر له بوصفه إهانةً للعالمات الإناث اللّاتي لا يحتجن إلى أن يُعاملن بلبينٍ ورفقٍ ويُذاد عنهنّ من معايير الجدارة والاستحقاق. ليس النّساء إلى ما يُعرف بـ «التّمييز الإيجابي».

تُصرّ الأيديولوجيّات الشّموليّة على التّمائل، وثمة وسائل عدّة

(94) Francis S. Collins, "Time to End the Manel Tradition," National Institutes of Health, June 12, 2019, <https://www.nih.gov/about-nih/whowe-are/nih-director/statements/time-end-manel-tradition>.

(95) Simon Baron-Cohen (@sbaroncohen),

"على العلماء وغيرهم من الأكاديميين أن يحذوا حذو هذا المثال الممتاز، ويرفضوا الحديث في اللّجان التي تضمّ في عضويتها الرّجال حصراً في المؤتمرات/اللقاءات البحثيّة. ويشمل ذلك المتحدّثين الرئيسيين أو المشاركين في نقاشات المائدة المستديرة. لا بدّ من أن إحداث تغيير سريع في تنوع النّوع الاجتماعيّ."

لفرض عقلية القطيع على السّكان. خذ على سبيل المثال فرض المعايير الخاصة بالملابس في عهد ماوتسي تونغ في الصّين الشيوعيّة أو ضمن الطّوائف الحسيديّة المغالية في تشدّدها. يبدو الجميع متشابهين. والإعلان عن نفسك بوصفك فردًا يعني أن تُعلن، بشكلٍ صريحٍ وعلنيّ، أنك أكثر أهميّة من الجموع. كيف يفرض البيروقراطيون المسؤولون عن التنوّع والشّمول والإنصاف التّمائل؟ أنت حرٌّ في العالم الأكاديميّ في إرتداء ما تهوى من الملابس، لكنّ أفكارك ومعتقداتك خاضعة للتّمائل الفكريّ للأيدولوجيا التّقدميّة. استطلعت الكثير من الدّراسات الإنتماءات السياسيّة للأساتذة، وتوصّلت إلى نتائج مذهشة حقًّا. إذ كشفت دراسة أُجريت في إحدى عشرة جامعة في ولاية كاليفورنيا في العام 2005 عن نسبة بلغت خمسة ديمقراطيين مقابل واحد من الجمهوريين.⁽⁹⁶⁾ وليس مستغربًا، على الأرجح، تسجيل جامعة كاليفورنيا في بيركلي، النسبة الأقلّ توازنًا فقد بلغت 8.7 إلى 1. وعند تقسيم هذه النسبة على الأقسام في الجامعات، تبين أن تسعة وثلاثين من أصل اثنين وأربعين فرعًا مسجّلًا لديهم نسبة أعلى من الأساتذة الديمقراطيّين. ولا عجب أنّ الفروع المعروفة بكثافة نشاطها في مجال العدالة الاجتماعيّة كانت من أكثر الفروع التي غاب فيها التّوازن في النّسب التي سجّلتها (سجّل قسم علم الاجتماع نسبة 44 إلى 1). في دراسة عن تسجيل الأساتذة

(96) Christopher F. Cardiff and Daniel B. Klein, "Faculty Partisan Affiliations in All Disciplines: A Voter-Registration Study," *الانتماءات المتحيزة للكادر*, Critical Review 17, no. 3-4 (2005): 237-55.

للتصويت في أربعين جامعة أمريكية رائدة شملت خمسة تخصصات معرفية في عام 2016، كانت نسب الديمقراطيين إلى الجمهوريين كالاتي: 4.5 (الاقتصاد)، 33.5 (التاريخ)، 20.0 (الصحافة)، 8.6 (القانون)، و17.4 (علم النفس).⁽⁹⁷⁾ وبلغت النسبة الإجمالية في هذه التخصصات الخمسة 11.5 إلى 1 لصالح الأساتذة الديمقراطيين. ووجدت دراسة مستفيضة لأساتذة القانون في الجامعات الأمريكية أن 15٪ فقط صنفوا باعتبارهم محافظين (بناءً على بيانات خاصة بالتبرعات السياسية)، والميل الليبرالي كان حاداً بشكل تفاضلي في التخصصات الفرعية القانونية.⁽⁹⁸⁾ ومثلما هو متوقع، فقد صُنفت التخصصات القانونية المُحتشدة بالناشطين في مجال العدالة الاجتماعية بأنها الأكثر ليبرالية. وهذه التخصصات وفق الترتيب التنازلي هي: النظرية القانونية النسوية، وقانون الفقر والنساء والقانون والنظرية العرقية النقدية وقانون الهجرة وقانون الإعاقة. وختاماً، كشفت دراسة شملت إحدى وخمسين كليةً من أصل كليات الفنون الليبرالية الستين الأفضل في الولايات المتحدة عن نسبة بلغت 10.4 للديمقراطيين مقابل 1 للجمهوريين.⁽⁹⁹⁾ وإذا استبعدنا

(97) Mitchell Langbert, Anthony J. Quain, and Daniel B. Klein, "Faculty Voter Registration in Economics, History, Journalism, Law, and Psychology," تسجيل الكادر التدريسي على التصويت في فروع الاقتصاد والتاريخ، "Econ Journal Watch 13, no. 3 (2016): 422–51. والصحافة والقانون وعلم النفس

(98) Adam Bonica et al., "The Legal Academy's Ideological Uniformity," Journal of Legal Studies 47, no. 1 (2018): "التمائل الأيديولوجي في أقسام القانون" 1–43.

(99) Mitchell Langbert, "Homogeneous: The Political Affiliations of Elite Liberal Arts College Faculty," متجانس: الإنتماءات السياسية لأعضاء الكادر

الكليتين العسكريتين 'الخارجيتين' ترتفع النسبة إلى 12.7 إلى 1.1. الغريب الذي لا يُصدّق في الأمر هو تسجيل عشرين مؤسّسة نسبة من الأساتذة الجمهوريين بلغت صفراً من وجهة النظر الإحصائية. جدير بالذكر أنه كلّما كانت الكلية مرموقةً أكثر، كانت نسبة الديمقراطيين أكثر انحرافاً (21.5، 12.8، و 6.9 في الفئات 1 و 2 و 3 و 4 على التوالي).

وعن ذلك، قال الإقتصاديّ (ثوماس سوول) الذي توافق أنه أحد أشدّ المنتقدين الأوّلين للمحاربين [من أجل] العدالة الاجتماعية في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، مقولته الساخرة المعروفة: «في المرّة القادمة التي يُحدثك فيها بعض الأكاديميين عن كم هو مهمّ التنوّع، أسألهم عن عدد الجمهوريين في قسم علم الاجتماع الذي يعملون فيه».⁽¹⁰⁰⁾

كتب (صامويل جيّ ابرامز) أستاذ السياسة في كلية سارة لورنس الفائزة في لبراليّتها، مؤخراً مقالة رأي إلى صحيفة نيويورك تايمز ذكر فيها النتائج التي إنتهى إليها مسح الاستقصائيّ لتسعمائة من الإداريين المُكلفين بإدارة حياة الطلبة في حرم الجامعات.⁽¹⁰¹⁾ وجد صامويل أن نسبة الليبراليين إلى المحافظين بين هذه المجموعة بلغت

Academic Questions 31, no. 2 "التدرسيّ في كليات الفنون الليبرالية النخبوية (2018): 186–97.

(100) Thomas Sowell, "Random Thoughts," Jewish World Review, July 31, 1998,

(101) Samuel Abrams, "Think Professors Are Liberal? Try Administrators," New York "هل تظنّ أنّ الأساتذة ليبراليّون؟ أنظر إلى الإداريين"

12 إلى 1 (وهي متناغمة مع نسب منحرفة مماثلة بين الأساتذة) وعبر في الفقرة الختامية عن الرأى الآتى: «هذا التوزيع الأيدولوجيّ المنحرف بين الإداريين في الكلية يجب أن يدفع طلبتنا وأسرهم إلى التفكير بجديّة ومراجعة وضعهم. وأنا أحثّ الطلبة الذين ما زالوا في الفصل الدراسىّ الأوّل في الكلية على تجنب التقبّل الأعمى لما يقوله لهم الإداريون في حرم الجامعات لأنّ تفاوتهم الأيدولوجيّ مضافة إليه قوتهم التي تؤهلهم لوضع جدول الأعمال يُشكّلان تهديدًا للتبادل الحرّ والمنفتح للأفكار، وهو بالضبط ما نحتاج إلى حمايته في التعليم العالي في هذه الأوقات التي يشيع فيها الاستقطاب السياسيّ». ولا شكّ أنّ هذا الموقف معقول. ومع ذلك كان ردّ الفعل الهستيرىّ من الطلبة والكادر في الكلية هو ما بتنا نتوقّعه من هؤلاء الأطفال البالغين، إذ تُركت في خارج مكتب صامويل التعليقات المتوقّعة والمهينة التي كانت تطالبه أن يعتذر أوّلاً ثمّ يُقدم استقالته.⁽¹⁰²⁾ وإتهمه عميد الكلية بعدم التعاطف معهم، وأنه جعل الناس يشعرون «بعدم الأمان» في حرم الجامعة.

ودائمًا ما يُقال لي، عند مناقشتي الدراسات التي توثق التحيز الليبراليّ الشديد في حرم الجامعات: «الأساتذة مثقفون ومتمرسون

(102) Jerry O'Mahoney, "Students, Faculty, Administration Respond Following National Publication of SLC Professor's Op-Ed," الطلبة وكادر الكلية، والإداريون يردون بعد النشر الوطنيّ للمقالة الافتتاحية المقابلة بقلم أستاذ من كلية Sarah Lawrence Phoenix, October 18, 2018, <http://www.sarahlawrencephoenix.com/campus/2018/10/18/students-faculty-administration-respond-following-national-publicationof-slc-professors-op-ed>.

فكريًا وأذكياء. فبديهي أن يكونوا ليبراليين. إنه تحيُّزٌ يختاره الفرد ذاتيًا. الأذكياء ليبراليون. والجامعات مؤلفة من الأذكياء، ولذلك، فأكثريتهم ليبراليون لا محالة». غير أن الاختيار الذاتي ليس هو من يُفعل التحيز الليبرالي في حرم الجامعات، إن ما يُحفزه هو التمييز المنهجي المبني سياسيًا. وقد وثقت دراسة أجراها باحثون من علم النفس الاجتماعي وأيضًا علم نفس الشخصية ندرة أعضاء الكادر المحافظين (بلغت نسبتهم 6٪ فقط من العينة التي شملها الاستطلاع).⁽¹⁰³⁾ جدير بالملاحظة أن عددًا لا بأس به من أعضاء الكادر أترف أنه سيُميّز ضدّ الزملاء المحافظين عند مراجعة أوراقهم البحثية أو طلبات الحصول على المنح التي يتقدمون بها أو عند اتخاذ قرارٍ بدعوتهم إلى ندوةٍ أو توظيفهم. وكلّما كان عضو الكادر التدريسي أكثر «ليبراليّة»، زادت احتمالات تأييده لهذا النوع من التمييز السافر. وفي ظلّ هذا التحيز التمييزي المُستفحل هل من المفاجئ أن يشعر الطلبة والأساتذة المحافظون أنهم غير مُرحّاب بهم في البيئة الأكاديمية، وأن أكثرية الطلبة الحزبيين وأعضاء الكادر التدريسي المحافظين يتكتمون، في الغالب، على ميولهم السياسيّة.

إن فكرة أن «الأكاديميين أذكياء، ولذلك، هم ليبراليون» خاطئةٌ لسببٍ ثانٍ، إذ يتلخّص المعنى الضمني والمغلوط في آني معًا في أن المحافظين هم، إلى حدٍّ كبيرٍ، من الذين يُنكرون العلم مع أن إنكاره

(103) Yoel Inbar and Joris Lammers, "Political Diversity in Social and Personality Psychology," *Perspectives on Psychological Science* 7, no. 5 (2012): 496–503.

شائع بين الليبراليين بالقدر نفسه، على الأقل، الذي يشيع به بين المحافظين. صحيح أن بعض المحافظين يرفضون التطور لأسباب دينية، إلا أن كثيراً من التقدميين يرفضون علم النفس التطوري لوقوفه بالصد من كثير من الأيديولوجيات العلمانية، ومن بينها النسوية الراديكالية. إن الغريزة البشرية لدى الفرد لحماية معتقداته من إذلال التعرض للتحدي تتجاوز ميوله السياسية. (104) إنه أحد مكامن الضعف في النفس البشرية، وتبعاً لذلك، فهو لا يقتصر على الليبراليين أو المحافظين. إن قلة من الناس تحظى بالشجاعة الفكرية للتصريح بمواقفها الأكثر رسوخاً وقيمةً أمام المنظورات المعارضة. إن الأنا البشرية رقيقة وهشة.

ومغالطة «إن الأكاديميين أذكاء، ولذا، هم ليبراليون» خاطئة بنحوٍ مرعبٍ لسببٍ ثالثٍ مُوازٍ في أهميته. فإذا رفض أستاذ في علم البيئة مُحافظ نظرية التطور - وهي حقيقة علمية راسخة ومُسلمٌ بها بقدر التسليم بحقيقة وجود الجاذبية - فهذه مشكلة لا لبس في وضوحها. إن معتقدات المرء السياسية أو الدينية لا يُمكن أن تقوم مقام المعرفة العلمية المقبولة (مع ضرورة تذكّرنا أن هذه المعرفة تبقى مؤقتة ومشروطة وعرضة للدحض). مع ذلك، هناك الكثير من المسائل القابلة للنقاش والاختلاف، إذ تُتخذ بشأنها مواقف

(104) Jeremy A. Frimer, Linda J. Skitka, and Matt Motyl, "Liberals and Conservatives Are Similarly Motivated to Avoid Exposure to One Another's Opinions," "بعضهم" *Journal of Experimental Social Psychology* 72 (September 2017): 1-12.

متعارضة وفي الوقت نفسه معقولة ومشروعةً تمامًا. ما الشكل الذي يجب أن تكون عليه سياسات البلد الخارجيّة والتّقديّة والخاصّة بالهجرة؟ ما فوائد ومساوئ عقوبة الحكم بالإعدام؟ هل تُمثّل الرّعاية الصّحيّة الشّاملة برنامجًا عمليًا ومُستدامًا؟ وهناك من القضايا ذات الأهميّة الفائقة في المستويات السياسيّة والمجتمعيّة والاقتصاديّة ما لا يُعدّ ولا يُحصى؛ ويتوقّع أن ينتفع طلبة الجامعة كثيرًا من التّعرف إلى وجهات النّظر المتباينة. ولذا، فالسّعي إلى تنوّع فكري أكبر لا يُعدّ مثالًا مُجرّدًا نظريًا؛ فالتنوّع الفكري في حرم الجامعات يُسهم في تدريب قادة المستقبل على مراعاة وجهات النّظر والآراء والحقائق المختلفة في التّوصّل إلى حكم مناسب. إن التنوّع الفكريّ هو الآلة التي تسمح بعملية التّنافس الدّاروينيّة على إنقضاء أفضل الأفكار (أي ما يُعرف بالإبستمولوجيا التّطوريّة). وبهذا المعنى، فإنّ الجامعات في الوقت الحاضر قد أضحت بالوعة مجارٍ آسنة مناهضة للدّاروينيّة يتجمّع فيها الإمثال الأيديولوجيّ العقيم.

جديرٌ بالملاحظة هنا أن غياب التنوّع الفكريّ والسياسيّ لا ينحصر في البيئة الأكاديميّة. فالإمثال الأيديولوجيّ متفشٍّ في جميع القطاعات الصّناعيّة الرّئيسة ذات الصّلة بالمعلومات. إذ يكشف تحليل الجهات المتبرّعة للحملات السياسيّة في نطاقٍ واسع من الصّناعات عن أنّ المهن الأربعة الأكثر ليبراليّة، وفق التّرتيب التّنازليّ، كانت صناعة التّرفيه والتّسلية، والعالم الأكاديميّ، والخدمات الحاسوبية الإلكترونيّة، والصّحافة ووسائل الإعلام

المطبوعة.⁽¹⁰⁵⁾ كانت هذه المهن أكثر ليبراليةً بكثير مقارنة بالطابع المحافظ للمهن المحافظة. وبقول مختلفٍ، يتسم التحيز السياسي بأنه عديم التناسق. وهذه النتائج العامة وجدت ما يؤيدها في دراسةٍ أخرى للميول السياسية (استنادًا إلى التبرعات السياسية) في المهن. إذ سجّل قطاع إنتاج الأفلام والمسرحيات، على سبيل المثال، نسبة بلغت 93 من الديمقراطيين مقابل 7 من الجمهوريين؛ وبلغت هذه النسبة بين المحرّرين (العاملين في صناعة نشر الكتب والمجلات) 92 إلى 8؛ وكشف العالم الأكاديمي عن نسبة بلغت 90 إلى 10.⁽¹⁰⁶⁾ وكشفت مراجعةٌ في منتصف المدة الرئاسية للتبرعات السياسية التي بلغ مقدارها مئتي دولار أو يزيد للعاملين في قطاع صناعة التكنولوجيا عن تحيز ليبراليّ كاسح. فالنسبة المئوية للتبرعات التي خصّصت للمرشّحين الديمقراطيين من شبكة نتفلكس كانت 99.6٪، ومن تويتر 98.7٪؛ ومن آبل 97.5٪؛ ومن

(105) Andy Kiersz and Hunter Walker, "These Charts Show the Political Bias of Workers in Each Profession," هذه الرسوم البيانية تُبين التحيز السياسي "Business Insider, November 3, 2014, <https://www.businessinsider.com/charts-show-the-political-bias-of-each-profession-2014-11>.

(106) "Democratic vs. Republican Occupations," هذه الرسوم البيانية تُبين التحيز السياسي "Verdant Labs, 2016, http://verdantlabs.com/politics_of_professions/index.html; Ana Swanson, "Chart: The Most Liberal and Conservative Jobs in America," رسم بياني: "Washington Post, June 3, 2015, https://www.washingtonpost.com/news/wonk/wp/2015/06/03/why-your-flight-attendant-is-probably-a-democrat/?noredirect=on&utm_term=.ad03ace18140.

غوغل/ الفابات 96٪؛ ومن فيسبوك 94.5؛ ومن بيبال (Paypal) 92.2٪ ومن ميكروسوفت 91.7٪. (107) تحييز؟ ما التحييز؟ كثيرًا ما نستمع إلى وسائل الإعلام الرئيسة وهم يسخرون من فكرة أنهم متحيزون بأي شكل من الأشكال. حسنًا، كشفت دراسة صدرت عن كلية الصحافة في جامعة إنديانا في 2013 أن احتمال أن يكون الصحفيون الأمريكيون ديمقراطيين تبلغ أربعة أضعاف احتمال أن يكونوا جمهوريين. (108) وعلى الرغم من تصريح الكثير منهم أنهم مستقلون، يُمكن للمرء أن يفترض، وهو مُطمئن، أن تصريحهم هذا هو شكل من أشكال إدارة الانطباع (حتى لو كان الهدف إستغلال المرء لنفسه بشأن تحييزه الأيديولوجي). خليق بالإشارة أنه في ما عدا الصناعات التي تتعامل مع المعلومات (مثل البيئة الأكاديمية والصحافة ووسائل التواصل الاجتماعي) هناك الكثير من المهن التي يكون فيها للتوجه السياسي تداعيات ملموسة. إذ يُرجح، على سبيل المثال، أن يُقدّم الأطباء علاجات مختلفة تكشف عن ميولهم

(107) Rani Molla, "Tech Employees Are Much More Liberal Than Their Employers—at Least as Far as the Candidates They Support,"
 قطاع التكنولوجيا أكثر ليبرالية من أرباب العمل-على الأقل فيما يتصل بالمرشحين
 الذين يدعمونهم. Vox, October 21, 2018,

<https://www.vox.com/2018/10/31/18039528/tech-employees-politics-liberal-employers-candidates>.

(108) Lars Willnat and David Weaver, "The American Journalist in the Digital Age: Key Findings,"
 "الصحفي الأمريكي في العصر الرقمي: نتائج أساسية"
 School of Journalism, Indiana

University, 2014, <http://archive.news.indiana.edu/releases/iu/2014/05/2013-americanjournalist-key-findings.pdf>.

السَّياسِيَّة. (109) ومَّا يزيدُ الأمورَ تعقيدًا أَنْ تَخَصَّصات طبيَّةً مختلفةً تنتجُ أنماطًا متباينةً من الإلتِماءات السَّياسِيَّة، الأشدَّ محافظةً من بينها هي الجراحة وعلم التَّخدير وعلم المسالك البوليَّة في مقابل قسم الأمراض المُعدية والطَّبِّ النَّفسيِّ وطبِّ الأطفال التي تتَّصفُ بأنَّها الأكثرُ ليبراليَّةً. (110) اختر طبيبك النَّفسيَّ بعنايةٍ لئلاَّ يُلقِي باللائمة في إصابتك بالفصام على التَّغْيير المناخيِّ أو أمك المتغترسة أو دونالد ترامب.

أختتم هذا الفصل بإقتباس مؤثِّرٍ للغاية من كلمة ألقاها (رونالد ريغن) قبل قرابة العقدين، قبل أن يُصبح رئيسًا للولايات المتَّحدة:

ليست الحرِّيَّة بعيدةً أبدًا عن الإنقراض سوى بجيلٍ واحدٍ فحسب لأننا فشلنا في نقلها إلى مجرى الدَّم في أطفالنا. والطَّريقة الوحيدة التي يُمكنهم بوساطتها أن يرثوا الحرِّيَّة التي عرفناها لا تيسَّر إلا إذا قاتلنا من أجلها ودافعنا عنها وسلَّمناها لهم مع الدَّروس الحكيمة التي تُلهمهم فعل الشَّيء ذاته في أثناء حياتهم. وإذا أحجمنا أنا وأنت عن فعل ذلك، فإننا قد نقضي سنوات شيخوختنا في إخبار

(109) Eitan D. Hersh and Matthew N. Goldenberg, "Democratic and Republican Physicians Provide Different Care on Politicized Health Issues," *Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America* 113, no. 42 (2016): 11811–16.

(110) Margot Sanger-Katz, "Your Surgeon Is Probably a Republican, Your Psychiatrist a Democrat," *New York Times*, October 7, 2016, <https://www.nytimes.com/2016/10/07/upshot/your-surgeon-is-probably-a-republican-your-psychiatrist-probably-a-democrat.html>.

أبنائنا وأحفادنا عمّا كانت عليه أمريكا ذات يومٍ عندما كان الرجال
أحرارًا. (111)

دعونا نُرهف السَّمع إلى كلمات الرّئيس ريغن بالغة الحكمة
ونافذة البصيرة. يجب علينا تجديد التزامنا بحرّيّة التعبير والكفاح ضدّ
مسمّات الأفكار اليساريّة التي تسعى إلى إنزالنا إلى منزلة الشّطط
واللاعقلانيّة والإمثال الأيديولوجيّ.

(111) Ronald Reagan, "Encroaching Control," "فقد السّيطة" March 30, 1961,
YouTube video, 42:41, <https://www.youtube.com/watch?v=8gf9Y7UgGi0>.

أنظر أيضًا:

Robert Mann, *Becoming Ronald Reagan: The Rise of a Conservative Icon* أن
تُصبح رونالد ريغن: ظهور أيقونة محافظة (Lincoln, Nebraska: Potomac Books,
2019), 119.

الفصل الرابع

معاداة العلم، معاداة العقل، والحركات غير الليبرالية

«إن من بوسعهم أن يجعلوك تؤمن بالسّخافات والترّهات بوسعهم أيضًا أن يجعلوك ترتكب الفظائع.»

(فولتير)

تتوزّع مسّمات الفكر في حرم الجامعات على بضع فئات أساسية. إذ تفترض ما بعد الحداثة نسبيّة المعرفة كلّها (ليست هناك حقائق موضوعيّة) في الوقت الذي تُنتج فيه كتابات مُبهمّة ومستغلقة مُعادلة للثّرثة الفارغة. وهذا التّهريج المناهض للعلم يُسفر عن مواقف مثل حركة «فليسقط العلم» التي تُطالب النّاس بـ 'إنهاء تبعيّة' عقولهم للعلم الغربيّ «المتحيّز عرقياً». وتقول البنائيّة الاجتماعيّة إن الجزء الأكبر من سلوكنا ورغباتنا وتفضيلاتنا لا تُشكّلها طبيعتنا البشريّة، أو إرثنا البيولوجيّ، بل يُشكّلها المجتمع، وهذا يعني، من جملة ما يعنيه، عدم وجود فوارق جنسيّة مُحدّدة بيولوجيّاً، إنّما محض «أدوار نوع اجتماعيّ» مفروضة ثقافيّاً. وتوكّد

التسوية الراديكالية أن سبب ظهور أدوار النوع الاجتماعي هذه يعود إلى القوى الغامضة والعدوانية للنظام الأبوي. وتدعي نشاطية التحوّل الجنسي أن الجنس البيولوجي و«النوع الاجتماعي» هما بناءان مائعان غير ثنائيين. وهذه الاتجاهات الأربعة: ما بعد الحداثة، والبنائية، الاجتماعية، والتسوية الراديكالية، ونشاطية المتحوّلين جنسياً، مبنية جميعاً، من الناحية العلمية على مغالطات واضحة. لكن عندما تكون لإلتزاماتك الأيديولوجية اليد الطولى، يغدو رفض الحقائق العلمية هو الضرر الجانبي اللازم.

التحرّر من الواقع

تشارك العديد من مسمّات أية فكرة في جانب واحد هو رغبتها العميقة في تحرير الناس من أغلال الواقع. لنضرب مثلاً قاعدة صفحة العقل البشري البيضاء.⁽¹¹²⁾ إذ تفترض هذه القاعدة أننا نولد بلا أيّ مخططات أولية بايولوجية مُطوّرة أو اختلافات فردية فطرية. ويسود الظنّ أن مسارات حياتنا النهائية تتشكّل بالكامل بفعل بيئات مُميّزة قد تعرّضنا لها. وهذا اعتقاد متفائل لكنّه خادع. ذكر (جون واتسن) أحد مؤسسي المذهب السلوكي في مقولة معروفة له:

أعطني مجموعة من الأطفال موفوري الصّحة وجيّد التّكوين، وعالمًا خاصًا بي لتنشئتهم فيه، وسأتعهد باختيار واحدٍ منهم لا على التّعين، فأدرّبه ليصبح أيّ نوعٍ من أنواع المختصّين الذين اختارهم،

(112) Steven Pinker, *The Blank Slate: The Modern Denial of Human Nature* (New York: Viking, 2002). الصّفحة البيضاء: الإنكار الحديث لطبيعتنا البشريّة.

ربما طبيبًا، محامياً، كبير تجار، نعم، وحتى متسوّليّ وسارق، هذا بصرف النظر عن مواهبه وميوله وتفضيلاته وقدراته وكفايته وعرق أسلافه. سأتجاوز حقائقه وأعترف بذلك، لكنّ هذا ما يفعله أيضًا مؤيّدو الرّأي المقابل، وهو ما كانوا يفعلونه لعدّة آلاف من السنين. (113)

هذه مقولة لافته وغريبة حقًا. فهي تفترض، بشكلٍ خاطئ، أن أبويك (أو الدكتور جون واتسن) كان بإمكانها تنشئتك لتصبح النجم العالميّ التّالي في دوري الرّابطة الوطنيّة لكرة السّلة. ضع مايكل جوردن جانبًا، هذا صبيّ جديد في البلدة، إنه مراهق مُمتلئ الجسم وأخرق بطول خمسة أقدام وأربع بوصات اسمه مردخاي غولديبرغ، وقد تلقى تدريبًا مُتقنًا واحترافيًا على يد جون واتسن. رفض واتسن فكرة الوراثة والموهبة السّليقيّة:

والنتيجة التي خلصنا إليها، من ثمّ، هي أننا لا نملك دليلًا حقيقيًا على وراثة الخصائص والسّمات. (114)

كلّ ما اعتدنا على تسميته بـ 'الغريزة' في الحاضر هو محصّلة للتدريب بالدرجة الأساس - إنّه يعود إلى السّلوك المكتسب للإنسان. وأودّ، بوصفها بديهية ترّبت على ذلك، أن أخلص إلى نتيجة تفيد أنه ليس ثمة شيء مثل وراثة القابليّة والموهبة والمزاج والتكوّن العقليّ والسّمات والخصائص. إذ تعتمد هذه الأشياء، مرّة

(113) John B. Watson, *Behaviorism السلوكية* (London: Kegan Paul, Trench, Trubner, 1924), 82.

(114) المصدر نفسه.

أخرى، على التدريب الذي يستمرّ، بنحوٍ أساسيٍّ، من مرحلة الطفولة. (115)

الآباء الأعزّاء، الرّجاء إطمئنّوا وقرّوا عينا إنّ أطفالكم قد يُصبحون ليونيل ميسي القادم (يُمكن القول جدّلاً إنه سيكون لاعب كرة القدم الأعظم في جميع الأزمان) أو ألبرت أينشتاين القادم طالما توفّرون لهم البيئات المناسبة. إنها رسالة متفائلة حقاً متجدّرة في رفض علم البايولوجي (والفطرة السليمة).

ترفض النسويّات الراديكاليّات، بالطريقة ذاتها، الاعتراف بأنّ الرّجال والنساء قد يحظون بقدرات واهتمامات ومواهب متميّزة مبنية تطوّرياً. وبينما يكون الطّفل العاديّ في عمر الثلاث سنوات واعياً لهذه الحقائق البديهية، وبوسعه تحديد الفرق بين الظّهير في دوري كرة القدم الأمريكيّة، ونجمة غناء موسيقى البوب آريانا غراند ضئيلة الحجم، يرفض البنائيّون الاجتماعيّون الفكرة «الذكوريّة» التي تُفيد أنّ الرّجال والنساء مختلفون. لكن لعلّ الوسيلة الأفضل لتحرير النّفس من أغلال الواقع هي البادئة 'trans' (متحول) التي تحوّل جنسك البايولوجيّ أو عرقك، بطريقة ساحرة، إلى أيّ شيء ترغب به (وفقاً لراشيل دوليزال، المرأة البيضاء التي تُعرّف نفسها ذاتياً بوصفها سوداء). لا تُسرّ فهمي. إذ يوجد أشخاص، عددهم قليلٌ لحسن الحظّ، يُعانون فعلاً من اضطراب الهوية الجندرية، مع ذلك، لا ينبغي لوجودهم أن يقودنا إلى رفض

(115) المصدر نفسه، ص 75.

الحقائق البيولوجية التي تُشكّل ما نحن عليه بطريقة لا رجعة فيها. إنه رفضٌ للحقيقة. ربّما ليس مستغرباً، إذن، ذبوع صيت ما بعد الحداثة بين النسويّات الراديكاليّات والبنائيتين الاجتماعيّين والناشطين المتحوّلين جنسياً. إنه المُحرّر الإستمولوجيّ النهائيّ: إنه يُحرّرنا من الحقيقة الموضوعيّة من خلال الإحتفاء بـ 'حقيقتي [أنا]'.

الرجال يحملون والنساء يُحزن أعضاء ذكرية

اشتركت في العام 2002 في دردشة كافكوية (نسبة إلى الكاتب فرانز كافكا) كانت، بالنسبة إليّ، بمنزلة علامة تحذير تنبؤيّة دالّة على الخبل الذي سوف يضرب بأطنابه، في النهاية، فيغمر لا حرم الجامعات فحسب، بل يمتدّ إلى هيئاتنا التشريعيّة أيضاً. دافع أحد طلبة الدكتوراه الذين أشرف عليهم، مؤخّراً عن أطروحته، فأعددنا عشاءً إحتفالاً بالمناسبة. حضر أربعة أشخاص العشاء الشائن: زوجتي وأنا والطالب ورفيقته.⁽¹¹⁶⁾ وكان الطالب قد حذّرني من أن رفيقته هي من الخريجات الملتزمات بما بعد الحداثة، والنسويّة الراديكاليّة، والأنثروبولوجيا الثقافيّة، التي تؤلّف مجتمعة التسونامي المتكامل «للتفكير» المناهض للعلم. والمعتاد، في المناسبات المختلطة، تحاشي الخوض في السياسة والدين، وكانت معتقدات هذه الفتاة

(116) رويت هذه الحكاية، في الأصل، في المقال الآتي:

Gad Saad, "Applying Evolutionary Psychology in Understanding the Representation of Women in Advertisements," في تطبيق علم النفس التطوّري في "Psychology & Marketing 21, no. 8 (2004): 593-612. فهم تمثيل النساء في الإعلانات

شبيهةً بأيدولوجيا سياسيّة أو عبادة دينيّة زائفة، ولهذا، وافقت، على مضمي، أن أحسن التصرف. ومن المؤكّد أن معرفة طالبي الجيدة بي كافيةٌ كي تجعله يُدرك أن ما وافقت عليه كان وعدًا هشًّا في أفضل الأحوال. وبكلمات بيت ديفز الخالدة في الفيلم الكلاسيكيّ، "كلّ شيء عن أيف": «شدّ حزام مقعدك، سوف تكون ليلةً مجنونةً».

تُصرّح ما بعد الحداثة أنه ليس هناك حقائق موضوعيّة. ويُدرك علماء النفس التطوّريّون أمثالي أن السبب في وجود المسلّمات البشريّة يعود تحديدًا إلى أنها تؤلّف عناصر من الإرث البايولوجيّ المشترك. وكان لا بدّ والحال هذه أن ينتهي الأمر بي ورفيقة طالبي إلى الدخول في سجالٍ تبادلنا فيه الإستهزاء بمبادئ بعضنا بعضا، ولذا، خطّطت لتحديّ محاورتي: إذ عرضت عليها ما أعدّه بديهيةً بشريّةً، وانتظرت منها أن تخبرني لماذا كنتُ مُخطئًا. بدأت بما كنت واثقًا أنه مثالٌ مؤكّد مفروغ منه هو: على قدر تعلق الأمر بالإنسان العاقل، فإنّ النّساء فحسب تحمل بالأطفال. قلبت رفيقة طالبي عينيها تعجّبًا من شدة «غبائي»، وأخبرتني عن قبيلة يابانيّة يحمل فيها الرّجال بالأطفال بطريقة «روحيّة» ما، ووبّختني لتركيزي على الجانب المادّي والبايولوجيّ؛ لأنّ هذا هو ما أبقى النّساء حافيات الأقدام، وحوامل، ومنشغلات في المطبخ. ويبدو أنّ المثال الأوّل الذي ضربته كان سُمّيًا ومزعجًا للغاية، لذا، ضربت مثالًا ثانيًا، أقلّ «إثارةً للجدل». قلت لها إن البحّارة يعتمدون دائمًا على حقيقة أن الشّمس تشرق من الشّرق، وتغرب في الغرب، وأن هذه تمثّل حقيقة علميّة موضوعيّة. كيف تظنّ أنها «دحضت» مثالي الثاني؟ استعانت الفتاة

بصندوق معدّات التّرهات ما بعد الحداثيّة، وبسطة أمامي ردّها التفكيكيّ الذي احتجّت فيه على استخدامي «المسمّيات العشوائيّة»: الشرق والغرب والشمس، ثمّ أردفت أن ما أشرت إليه بالشمس يُمكنها أن تُسمّيه الضّبع الرّاقص (لست مازحًا في ما ذكرت). انتهى الحوار بيننا سريعًا. مع ذلك، بدأت هذه التّوعيّة من الحوارات، لا سيما ما يتّصل منها بـ «النّوع الاجتماعيّ» بالتّناسل والتّراكم في السّنوات العشر التّالية. (اقترح أحد الطّلبة عليّ، على سبيل المثال، بعد الإنهاء من محاضرة ألقيتها في كليّة ويليسلي في 2014 أن على الأساتذة أن يجروا استطلاعًا عن الهويّات الجندريّة لطلبتهم في بداية العام الدّراسيّ). وإذا كانت اللّغة تخلق الواقع، مثلما يفترض التّفكيكيّون، فإنّ الخطأ في تحديد النّوع الاجتماعيّ لشخصٍ ما يغدو إهانة لـ «واقع» ذلك الشّخص.

بثّ أستاذ علم النّفس (جوردن بيترسن) في جامعة تورنتو في أواخر أيلول، في العام 2016، فيديو على اليوتيوب انتقد فيه مشروع القانون الكندي C16 الخاصّ بتعديل قانون حقوق الإنسان، والقانون الجنائيّ الذي أضاف هويّة النّوع الاجتماعيّ، والتّعبير عن النّوع الاجتماعيّ أيضًا بوصفها فئات محميّة تحت مُسمّى قوانين جرائم الكراهيّة. صرّح بيترسون، بتحدّ واضح، أنه لن يدع الحكومة تُملّي عليه كلامه حينما يتّصل الأمر بضمائر «النّوع الاجتماعيّ». ومن نافلة القول مطالبة الدّهماء الأكاديميّين التّقديميّين بفصله من وظيفته الثّابتة. ودعوته، بعد أن لفت انتباهي، إلى عرضي في اليوتيوب،

واسمه حقيقة سعد لمناقشة هذه المسألة.⁽¹¹⁷⁾ تقدّمنا أنا و(بيترسن) في أيار من عام 2017 للإدلاء بالشهادة أمام مجلس الشيوخ الكندي في ما يخصّ هذا القانون. ذكرت في شهادتي مكتب حياة الطلبة المثليين، والمثليات، والمتحولين، جنسياً والشواذ في جامعة هارفرد الذي يُجادل: 1- أن هويّة النّوع الاجتماعيّ وأيضاً التعبير عنها خاضعة للتغيّرات اليوميّة (أنا ذكرٌ في يوم الإثنين، وأنثى في الثلاثاء وغير ثنائيّ الجنس في الأربعاء وفي الخميس أنا مُحَايد جنديّاً، وما إلى ذلك) 2- وأنّ التّرويج لـ «الثنائيات الثابتة» (فكرة الذّكر والأنثى) و«الماهويّة البيولوجيّة» (أي الاعتراف بالحقائق البيولوجيّة المُطوّرة) كانت «معلومات مُضلّلة ناتجة عن رهاب التّحوّل الجنسيّ» التي ترقى إلى مستوى «العنف المُمنهج».

وجادلت في شهادتي أن الموضوعات التي أدرّستها وخبرتي البحثيّة التي تدور جميعها حول تطبيق [مبادئ] علم النفس التطوّري في العلوم السلوكيّة يُمكن، بسهولة وسلاسة، تفسيرها بوصفها تنتهك القانون الكندي C160 سخر بعض من أعضاء مجلس الشيوخ «التّقدّميين» وضحكوا على الإحتمال الذي طرحته في حين اتّهمني آخر بأنّي من مؤيّدَي الإبادة.⁽¹¹⁸⁾ وهكذا، في القرن الحادي

(117) Gad Saad, "My Chat with Psychologist Jordan Peterson," "THE SAADTRUTH 265, October 11, 2016, YouTube video, https://youtu.be/Bpim_n0r0z0.

(118) Gad Saad, "Full Testimony at the Canadian Senate," "الإدلاء بالشهادة" "THE SAADTRUTH 421, May 11, 2017, YouTube video, [https://youtu.be/4WqryoE\]qZg](https://youtu.be/4WqryoE]qZg).

والعشرين، كان يجب على أستاذ حاصل على كرسي متخصص في علم السلوك التطوري أن يُدلي بشهادة أمام مجلس الشيوخ الكندي يقول فيها: إن البشر هم أنواع تتكاثر جنسياً وثنائية الشكل جنسياً مؤلفة من الذكور والإناث. ولثلاً يتبادر إلى ذهن القارئ أن هذا النوع من العته هو نوعٌ كنديٌّ خالص، فقد حدث في أكاديمية روكلن في كاليفورنيا أن حُقِّقَ مع طالبٍ في المرحلة الأولى، وأُرسلَ إلى مكتب المدير لأنه أخطأ، براءة وبلا تعمد منه، في تحديد النوع الاجتماعي لأحد زملائه.⁽¹¹⁹⁾ ويُفكر المشرعون في كاليفورنيا في تشريع قانونٍ يُجرّم الخطأ «الواعي والمتكرّر» في تحديد النوع الاجتماعي للأفراد الذين يتلقون خدمات الرعاية طويلة الأمد. وشُرِعَ قانون مماثل سلفاً في مدينة نيويورك، وهو يشمل حالات أخرى كثيرة غير تلك المتصلة بالرعاية الصحيّة. يُمكنني، بثقة، أن أوكد لكم أن الألفاظ السوقيّة التي كان الملعب يشهدها في أثناء اشتراكي في مباريات كرة القدم التنافسيّة كانت ستؤدّي إلى إرسال 90٪ من اللاعبين إلى سجن سان كويتن في ولاية كاليفورنيا لإرتكابهم «جرائم استخدام اللّغة الجارحة». وجدير بالذكر أن تحذيري الصريح والمباشر لأعضاء مجلس الشيوخ الكنديّ في ما يتّصل بالمنزلق الخطر الذي يُضرب به الأمثال قد وجد ما يؤدّيه ويُبرهن عليه بعدما إنقلنا من الكلام القسريّ (لا يجب على 'س' أن يُخطئ في تحديد النوع الاجتماعي لـ

(119) Bradford Richardson, "California First-Grader Sent to Principal's Office for Misgendering Classmate," *Washington Times*, August 23, 2017, <https://www.washingtontimes.com/news/2017/aug/23/california-parents-feel-betrayed-transgender-revea/>.

‘ص’) إلى فرض وجوب ذكر ضمائر النوع الاجتماعي المفضلة لدى الفرد في توقيعات البريد الإلكتروني وبطاقات الأسماء.

لا تفكر للحظة أن تسونامي الخبل هذا قد استنفد نفسه. فهو يستجمع قواه. يُقال حاليًا إن الرجال قادرون على الحيض (دخلت جي ك. راولنغ، المؤلفة والأيقونة التقدمية، مؤخرًا في خلافٍ مع كتيبة ثقافة الإلغاء لتشكيكها في هذه «الحقيقة»)، وهذه «الحقيقة» يجري تدريسها للأطفال بوصفها جزءًا من تربيتهم الجنسية.⁽¹²⁰⁾ وتحدث (جوليان كاسترو) في أول مناظرة للحزب الديمقراطيِّ للتّرشيح للانتخابات الرّئاسيّة في العام 2020، عن ضرورة ضمان الحقّ في الإجهاض للذكور البيولوجيين الذين تحوّلوا إلى نساء حاليًا. لكنّه أردف هذا التصريح بتصحيحٍ في تغريدةٍ لاحقةٍ

(120) Olivia Petter, "JK Rowling Criticized over 'Transphobic' Tweet about Menstruation," جي ك. راولنغ تتعرض للانتقاد بسبب تغريدتها "الكارهة للتحوّل" الخاصة بالحيض June 7, 2020, <https://www.independent.co.uk/life-style/jk-rowling-tweet-women-menstruate-people-transphobiatwitter-a9552866.html>;

Julie Mazziotta, "Transgender Activist Freebleeds to Show Men Can Menstruate Too: It's 'Harmful to Equate Periods with Womanhood,'" متحول جنسيًا يحيض علنًا ليُبين أن بوسع الرجال الحيض أيضًا: من 'المزعج مساواة الدورة الشهرية مع الأنوثة' *People*, July 25, 2017, <https://people.com/bodies/transgender-activist-freebleed-men-can-menstruate/>;

Helena Horton, "Boys Can Have Periods Too, Children to Be Taught in Latest Victory for Transgender Campaigners," "أيضًا، سيُدرس ذلك للأطفال في آخر نصر أحرزه المدافعون عن التحوّل الجنسي" *The Telegraph*, December 16, 2018, <https://www.telegraph.co.uk/news/2018/12/16/boys-can-have-periods-schoolchildren-taught-latest-victory-transgender/>.

له: «شكرًا شارلوت. أسأت التعبير في الليلة الماضية - إن من يحتاج إلى الحق الكامل في الإجهاض والرعاية الصحية الإنجابية هم الرجال المتحولون، والذكوريون المتحولون، والأفراد غير ثنائيي الجنس. وأنا مُمتنّ لجميع المتحولين وغير الثنائيين لجهودهم في توجيهي في هذه المسألة».⁽¹²¹⁾ إن هذه الانحرافات الوهمية عن الواقع مُحيرةٌ حقًا. بالنسبة إليّ كتبت الآتي في تغريدة لي: عزيزي جوليان كاسترو، أنا امرأة متحوّلة أودّ إجراء فحص لعنق رحمي. هل تعرف طبيب نساء جيّد ربّما ترغب في التّوصية به؟⁽¹²²⁾ وتبيّن أن هجائي كان بمنزلة النبوءة بعد أن نظّمت جمعية مرض السرطان الكنديّة حملة إعلانيّة عرضت فيها صورة امرأة متحوّلة (ذكر بايولوجي في الأصل) لتمثيل مجموعة ديمغرافية معرضة لخطر الإصابة بسرطان عنق الرّحم.⁽¹²³⁾ وفي الختام، صرحت عضو مجلس الشيوخ، (إليزابيث وارن) في أثناء محاولتها الفوز بترشيح الحزب الديمقراطيّ للرئاسة أنّها إن أُنتخبت رئيسةً، فإنّ مرشّحها لمنصب

(121) Julian Castro (@JulianCastro), "نص التغريدة تُرجم سلفًا في المتن" Twitter, June 27, 2019, 4:29 p.m., <https://twitter.com/JulianCastro/status/1144341924821852160?s=20>.

(122) Gad Saad (@GadSaad), "نص التغريدة تُرجم سلفًا" Twitter, June 27, 2019, 12:02 a.m.,

<https://twitter.com/GadSaad/status/1144093679969275905?s=20>.

(123) Megan Fox, "Clown World: Canadian Cancer Society Claims Men without Cervixes Can Get Cervical Cancer," عالم مُهرج: جمعية أمراض السرطان الكنديّة تزعم أن الرجال الذين لا يملكون عنق رحم يُمكن ان يُصابوا بسرطان عنق الرّحم PJ Media, September 11, 2019, <https://pjmedia.com/trending/clown-world-canadian-cancer-society-claims-men-without-cervixes-can-get-cervical-cancer/>.

وزير التعليم يجب أن يحظى بالإجازة من طفلٍ متحوّل جنسيًا بعمر التاسعة. (124) إن الاستغراق في خيالات وهمية مثل هذه ليست مؤذية: إنها حرب ضدّ العقل ذاته.

ما بعد الحداثة

الإرهاب الفكري مُتخفيًا وراء ستار عمق التفكير المزيّف

يبالغ الناس أحيانًا في تقدير فهمهم للظواهر المُعقّدة، وهو ما يُسمّيه بعض الباحثين بـ 'وهم العمق التفسيري'.⁽¹²⁵⁾ والمثال الأنسب على ذلك هو الكيفية التي يمنح بها الناس مصداقية هائلة للتفسير العلمي الذي يتضمّن صورًا لأنماط تصوير الدماغ العصبوني الملوّنة على الرّغم من ضآلة القوّة التفسيرية التي تُقدّمها هذه الأنماط.⁽¹²⁶⁾ تزدهر ما بعد الحداثة في الدوائر الأكاديمية لأسباب

(124) Douglas Ernst, "Elizabeth Warren Vows: Transgender Child Must Approve of Secretary Of Education Nominee," "إليزابيث وارن تتعهد: يجب أن " *Washington Times*, يُصادق طفلٌ متحوّل جنسيًا على المرشح لوزارة التعليم, January 30, 2020,

<https://www.washingtontimes.com/news/2020/jan/30/elizabeth-warren-vows-transgender-child-must-appro/>.

(125) Leonid Rozenblit and Frank Keil, "The Misunderstood Limits of Folk Science: An Illusion of Explanatory Depth," "الحدود المُساء فهمها للعلم الشعبي: " *Cognitive Science* 26, no. 5 (2002): 521–62. "وهم العمق التفسيري

(126) David P. McCabe and Alan D. Castel, "Seeing Is Believing: The Effect of Brain Images on Judgments of Scientific Reasoning," "الرؤية هي التصديق: تأثير " *Cognition* 107, no. 1 (2008): 343–52; "صور الدماغ في أحكام الاستدلال العلمي J. D. Trout, "Seduction without Cause: Uncovering Explanatory Neurophilia," "إغواء من دون قضية: الكشف عن الولع بالأعصاب " *Trends in Cognitive Sciences* 12, no. 8(2008): 281–82;

متماثلة، إذ نجح الهراييون ما بعد الحداثيين، من أمثال (جاك دريدا) و(جاك لاكان) و(ميشيل فوكو) في البيئة الأكاديمية بدجلهم وشعوذتهم بسبب الافتراض الذي يُفيد أنه إذا كان من المستحيل فهم شيء ما بنحوٍ تقريبيّ، فلا بدّ أن هذا الشيء عميق (لاحظ الفروق الفرديّة في المدى الذي يتأثر به الناس بالهراء⁽¹²⁷⁾). أقرّ (فوكو) في حوارٍ له مع الفيلسوف الأمريكي (جون سيرل) بهذا العمق المزيف: «في فرنسا، يجب أن يكون 10٪ مما تقوله غير مفهوم، وإلا، فإنّ الناس لن يعتقدوا أنه عميق - لن يعتقدوا أنك مفكّر عميق». وعلى الرّغم من إقراره هذا، رأى (فوكو) أن دريدا مضى بعيداً في هذه

Deena Skolnick Weisberg *et al.*, "The Seductive Allure of Neuroscience Explanations," *Journal of Cognitive Neuroscience* 20, no. 3 (2008): 470–77;

Deena Skolnick Weisberg, Jordan C. V. Taylor, and Emily J. Hopkins, "Deconstructing the Seductive Allure of Neuroscience Explanations," *Judgment and Decision Making* 10, no. 5 (2015): 429–41;

Justin Garcia and Gad Saad, "Evolutionary Neuromarketing: Darwinizing the Neuroimaging Paradigm for Consumer Behavior," *Journal of Consumer Behaviour* 7, no. 4–5 (2008): 397–414;

Gad Saad and Gil Greengross, "Using Evolutionary Psychology to Enhance the Brain Imaging Paradigm," *Frontiers in Human Neuroscience* 8 (2014): 452, <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC4064664/>.

(127) Gordon Pennycook *et al.*, "On the Reception and Detection of Pseudo-Profound Bullshit," *Judgment and Decision Making* 10, no. 6 (2015): 549–63.

الإستراتيجية عبر الانخراط في الإرهاب الظلامي⁽¹²⁸⁾ وقد أشرت، أنا أيضاً، بصورة مستقلة، إلى ما بعد الحداثة بوصفها إرهاباً فكرياً. أحذر ممن يحاول التأثير فيك بِسَلْطَاتِ كَلَامِيَّةٍ مُخَيَّرَةٍ.

وعالم الفنّ، على وجه الخصوص، عرضةٌ للهراء ما بعد الحداثيِّ لأنّه ميدان يتعذّر فيه تحديد المعايير الموضوعية للتّفوّق. إذ بمجرد استخدامك لعصا الذاتية السّحرية، يكون بوسعك أن تجد الجمال المزعوم للفنّ غير المرئيِّ. زرت متحف كارنيج في بطسبيرغ في عام 1996، ولمحت توافقاً، في أثناء تجوالي بين المعروضات، لوحةً بيضاء معروضةً بوصفها عملاً فنياً. وعلى الرّغم من استيعابي للتّحريف ما بعد الحداثي في هذا «العمل الفنيِّ»، غير أنّي سألت ممثلة المتحف عن مسوّغ يبرّر وجود هذه «اللوحة» الفارغة. فقالت لي مُبيّنةً إن مناقشتنا لهذه القطعة هي بمنزلة شهادةٍ على قيمتها.

ونظم (غاليري هيوارد) في لندن معرضاً في العام 2012 حمل عنواناً هو «اللامرئي: الفنّ الخاصّ بالمُضمر 1957-2012»، الذي يُقدّم - حسناً، بوسعك التّخمين - فناً غير مرئيٍّ!⁽¹²⁹⁾ كرّر (رالف راغوف) مدير الغاليري، تأكيداً على أهميّة استخدام المرء لخياله عند

(128) Mike Springer, "John Searle on Foucault and the Obscurantism in French Philosophy," جون سيرل متحدّثاً عن فوكو والظلامية في الفلسفة، "Philosophy", July 1, 2013.

(129) Anthony Barnes, "Blank Canvas: London Gallery Unveils 'Invisible' Art Exhibition," The Independent, May 19, 2012,

<https://www.independent.co.uk/arts-entertainment/art/news/blank-canvas-london-gallery-unveilsinvisible-art-exhibition-7767057.html>.

النّظر إلى القطع غير المرئية. وسأحاول، ربّما، بعد مراعاة ذلك، أن أكتب مخطوطة غير مرئية لمشروع كتابي الآتي. سأزوّد صفحات الكتاب الثلاثمائة الفارغة بغلافين أماميّ وخلفيّ. وسأترك مهمّة ملء محتوياته إلى خيال القارئ الخصب. (الواقع أنّ مدوّناً صوتياً ومعلّقاً أمريكياً ذكياً سبقني إلى ذلك بعدما نشر كتاباً بعنوان *أسباب للتصويت للديمقراطيين*).

مشروع دراسات الشكوى

نشر أستاذ الفيزياء في جامعة نيويورك (آلان سوكال) في العام 1996 مقالةً سخيفةً بعنوان «تجاوز الحدود: نحو هيرمنيوطيقيا تحويلية للجاذبية الكميّة» في مجلة *نصّ اجتماعيّ Social Text*، إحدى المجلّات الأكاديميّة الرائدة لما بعد الحداثة.⁽¹³⁰⁾ وكانت هذه الورقة خديعةً إذ الغرض منها إثبات كيف يُمكن للهراء الظلاميّ الغامض أن يجد طريقه إلى النّشر طالما أنّه يظهر بمظهر الداعم لـ 'التّفكير' ما بعد الحداثيّ. كان محرّرو المجلّة حريصين، بلا أدنى شكّ، على نشر تحليلٍ ما بعد حداثيٍّ للجاذبيّة كتبه أحد علماء الفيزياء. إذ إنّ ذلك من شأنه إسباغ المصداقيّة العلميّة على صروح الهراء التي

(130) Alan D. Sokal, "Transgressing the Boundaries: Toward a Transformative Hermeneutics of Quantum Gravity," *Social Text* 46/47 (Spring/Summer 1996): 217–52.

أنظر أيضاً:

Alan Sokal and Jean Bricmont, *Fashionable Nonsense: Postmodern Intellectuals' Abuse of Science* بعد عصريّ أنيق: استغلال المفكرين ما بعد الحداثيين للعلم (New York: Picador, 1998).

يُشيدونها. وإذا كُنْتَ تظنّ أنّ هذه المحاكاة السّاخرة خلّفت تأثيراً مُدمراً في الفرع المعرفيّ، فأنت واهمٌ. ولأنّ ما بعد الحداثة تدّعي أنّ الواقع ذاتيّ، فإنّ المحاكاة السّاخرة لشخصٍ ما هي منجم ذهب من المعاني بالنّسبة إلى شخصٍ آخر. وبفضل خفّة اليد الإبستمولوجيّة هذه، بوسع ما بعد الحداثيّين أن يستخلصوا المعنى من أشدّ النّصوص تفاهةً وسخفاً. وها نحن نرى، أن ما بعد الحداثة ممائلةٌ لثعبان هيدرا متعدّد الرّؤوس في الميثولوجيا اليونانيّة. اقطع أحد رؤوسه، وستنمو بضعة رؤوس جديدة. اتّصلت، على صعيدٍ شخصيّ، بسوكال في 2010 لتنبّيه إلى مقالةٍ كُنْتُ قد نشرتها في عموديّ في مجلّة علم النفس اليوم (Psychology Today) أُشير فيها إلى خديعته المبهرة.⁽¹³¹⁾ لكنّه أبان، بأسلوبٍ مهذبٍ، أن حديثي عمّا كتبه بوصفه «يحتوي على مقاطع مُنتجة بشكلٍ شبه عشوائيّ» لم يكن صحيحاً. كان سوكال حريصاً كلّ الحرص على اختيار كلّ كلمة من كلمات مقالته الزّائفة. كان هناك، في الواقع، منهجاً إلى الجنون.

ونشر (جيمس لندسي) و (بيتر بوغوسيان) (الذي توافق أنه أحد أصدقائي الطّيبين) ورقة بحثيّة زائفة (بأساء مستعارة) جادلاً فيها أن العضو الذكري البشريّ هو بناء مفاهيميّ، وهو القوّة الدّافعة وراء التغيّر المناخيّ. وتحديث من جانبي القراء أن يمضوا في قراءة الورقة

(131) Gad Saad, "Death of Common Sense Will Spell the End of Free Societies," موت الفطرة السّليمة سيؤدّي إلى القضاء على المجتمعات الحرة، "Psychology Today, May 5, 2010, <http://www.psychologytoday.com/blog/homo-consumericus/201005/death-common-sense-will-spell-the-end-free-societies>.

المعنيّة من دون الانفجار في نوبة ضحك جامحة. حاولت أن أفعل ذلك أمام الكاميرا لكنني فشلت.⁽¹³²⁾ وحال نشر الورقة الزائفة، أصدر مدير تحرير مشارك بيانًا قال فيه: «وافق مراجعان علميان على مراجعة الورقة التي قبلها أحدهم بلا أيّ تغيير في حين طالب المراجع الثاني بتعديلات ثانويّة. وتبيّن، عند التّحقيق في الأمر، أنه على الرّغم من اشتغالات المراجعين المتّصلة بالموضوع، إلا أن خبرتهما لا تتوافق تمامًا مع مضمون الورقة، ولا نظنّ أنّ اختيارهما لمراجعتها كان صحيحًا».⁽¹³³⁾ من الواضح أن النتيجة ربّما كانت لتختلف لو استعانت المجلّة بالخبراء المناسبين لمراجعة ورقة بحثيّة سخيّفة تربط بين الأعضاء الذكريّة البشريّة والتغيّر المناخيّ. ومع أني لا أعرف أيّ خبراء في علم المناخ المبنيّ على العضو الذكري، لكن ربّما فاتني البحث بجديّة في هذا الأمر.

تحدّث منتقدو الورقة البحثيّة الزائفة عن التغيّر المناخيّ المبنيّ على

(132) Gad Saad, "How the Social Construction of the Penis Affects Climate Change," *THE SAAD TRUTH* 433, May 20, 2017, YouTube video,

<https://www.youtube.com/watch?v=IMv8-uPqZ5M>.

(133) بيان تراجع عن الورقة البحثيّة المعنيّة:

Jamie Lindsay and Peter Boyle, "The Conceptual Penis as a Social Construct," *Cogent Social Sciences*, May 19, 2017,

<https://www.cogentoa.com/article/10.1080/23311886.2017.1330439>;

Scott Jaschik, "How the Hoax Got Published," *Inside Higher Ed*, May 25, 2017,

<https://www.insidehighered.com/news/2017/05/25/publisher-explains-how-article-about-viewing-male-organ-conceptualgot-published>.

العضو الذكري عن صعوبة الاقتناع بمصداقية البيان الصادر عن المجلة التي قبلت نشر البحث (Cognet Social Sciences) بالنظر إلى أنها كانت جهة نشر مفترسة تعتمد سياسة الدّفع لقاء النّشر، وكانت بالكاد تتمتع بسمعة أكاديمية رصينة. هذا عادلٌ بما فيه الكفاية. مع ذلك، كان لدى من دبّر الخدعة خياراً صغيراً يدحضون به ما حدث. إذ تحالفوا مع (هيلين بلاكروس) (إحدى المحررات في مجلة Areo) وتقدّموا لتنفيذ ما يُمكن عدّه الأعظم من بين المشاريع من نوع سوكال، فكتبوا عشرين ورقة بحثية تافهة وقدّموها لأغراض النّشر إلى مجلات أكاديمية معتبرة لمعرفة ما سيحدث. أوردت، في الجدول رقم 1 في أدناه، قائمة بعناوين البحوث التي قُبلت قبل أن يُقرّر الباحثون الثلاثة التّخلي عن المشروع والتبرؤ منه (بعد أن كاد أمرهم أن يُكتشف). كانت الأوراق مزيجاً مضحكاً بشكلٍ هستيريٍّ من التّرهات، ومع ذلك، وجدت مجلات معتبرة في الفلسفة النسوية ودراسات النوع الاجتماعي وغيرها من هذا الهراء المماثل أن هذا الأوراق تستحقّ النّشر. حاولت تقديم تغطية لهذه الخدعة الكبرى البارعة في قناتي بينما أحافظ على حياد ملامح وجهي.⁽¹³⁴⁾ ومن أجل

(134) Gad Saad, "The Grievance Studies Exposé" مقال تفصيلي عن دراسات "التظلم THE SAAD TRUTH 739, October 4, 2018, YouTube video, <https://youtu.be/bZ6VyiwpHZg>;

Gad Saad, "The Grievance Studies Papers Are Fantastic!—Part I," "بحوث "دراسات التظلم وهمية-الجزء الأول THE SAAD TRUTH 742, October 7, 2018, YouTube video, https://youtu.be/iUxBJtx_3Y8;

Gad Saad, "The Grievance Studies Papers Are Fantastic!—Part II," "بحوث "دراسات التظلم وهمية-الجزء الثاني THE SAAD TRUTH 743, October 8, 2018, YouTube video, <https://youtu.be/435ZCqFpx7M>.

منح القارئ فكرةً عن مدى تفاهة هذه الأوراق البحثية، نلاحظ أنّ أوّل ورقة مُدرّجة تناقش ثقافة الاغتصاب في حدائق الكلاب عن طريق استخدام علم الإجرام النسويّ الأسود في حين تتضمّن الورقة الثالثة إعادة كتابة لكتاب كفاحي لأدولف هتلر باستخدام التعبيرات النسوية الطنّانة. من الصّعب المبالغة في تقييم مدى الاختبال العبثيّ. كان (بيتر بوغاسيون) وهو الوحيد بين الباحثين الثلاثة الذي يعمل في جامعةٍ، قد خضع للتحقيق في مؤسسته بتهمة «انتهاك الأخلاقيات»⁽¹³⁵⁾ وبدلاً من الإشادة بشجاعته الفكرية بعد عمله بوصفه مُبلّغاً عن النّظم المعرفية المحتالة، كانت جامعته تبحث عن وسائل لمعاقبته.

الحياة هي استكشافٌ لمتاهة تكاليف الفرص البديلة. فإذا كنت ستقضي سنوات في الدّراسة في الجامعة، وتنفق أموال والديك اللّذين كدحا في الحصول عليها في أجور الدّراسة الباهظة، ربّما يجب عليك الامتناع عن دراسة نظرية العرق النّقديّة والنسوية متعدّدة الجوانب ونظرية الشّدوذ وما بعد الحداثة. تجنّب الموضوعات المتجذّرة تجذّراً راسخاً في الرّغبة في تحرير الطّلبة من أغلال الواقع.

(135) Katherine Mangan, "Proceedings Start against 'Sokal Squared' Hoax Professor," "المباشرة باتخاذ الإجراءات ضد أستاذ الورقة البحثية المزيفة 'من نوع 'Sokal'" *Chronicle of Higher Education*, January 7, 2019, <https://www.chronicle.com/article/Proceedings-Start-Against/245431>.

البحوث السبعة المقبولة في دراسات التظلم	
المجلة	عنوان البحث
الجندر، المكان، الثقافة	ردود الأفعال البشرية على ثقافة الاغتصاب والأدائية الشاذة في حدائق الكلاب الحضرية في بورتلاند، أوريغون
الجنسانية والثقافة	الدخول من الباب الخلفي: تحدي شعور الذكر السوي برهاب المثلية ورهاب التحوّل الجنسي عن طريق استخدام دمية الجنس الإلاجي المستقبل.
افيليا: مجلة النساء والعمل الاجتماعي	نضالنا هو نضالي: النسوية التضامنية بوصفها جوابًا متعدّد الجوانب للنسوية الليبرالية ونسوية الاختيار.
دراسات البدانة	من هم ليحكموا؟ التغلب على القياس البشري وإطار للياقة البدن.
هيباتيا	عندما تكون النكتة عنك: منظور نسوي عن كيفية تأثير الموقعية في السخرية.
أدوار الجنس	دراسة أثنوغرافية لذكورية المطاعم التي توظف نادلات بملابس مثيرة: موضوعات التثبيء والفتح الجنسي وسيطرة الذكر والصلابة الذكورية في مطعم مثييء جنسيًا.
مجلة العلاج بالشعر	لقاءات القمر ومعنى الأخواتية: تصوير شاعري لروحانية نسوية مُعيشة.

نشاطية التحوّل الجنسي: استبداد الأقلية

فازت (راشيل مكنون) الذكر البيولوجي الذي يُعرف نفسه بوصفه أنثى، ببطولة العالم لسباق الدراجات على المضمار للأساتذة الذي تنظمه جامعة كاليفورنيا، إرفاين في 2018 (للفئة العمرية 35-44).⁽¹³⁶⁾ ودعوته، بعد فوزها، عن طريق منصّة تويتر للمشاركة في عرضي: «عزيزتي الدكتورة (راشيل مكنون): أقدر رغبتك في النضال من أجل العدالة قدر تعلق الأمر بحقوق المتحوّلين جنسيًا. مع ذلك، هل تظنين أن النساء البيولوجيات اللاتي خسرن السباق أمامك لديهن الحق في الشعور بالظلم عندما يتلقين الهزيمة على يد ذكر بيولوجي في مسابقة للنساء؟ أم هل تظنين أنّ المزايا السلوكية والتشريحية والفسولوجية (تخصّ وظائف الجسد) والمورفولوجية (الشكلية) والهرمونية التي يتفوق بها الرجال على النساء في منافسات مثل هذه هي محض بنى اجتماعية يفرضها النظام الأبوي المناهض للتحوّل الجنسي؟ سأكون سعيدًا بالحديث معك في العرض الذي أقدمه THE SAAD TRUTH.»⁽¹³⁷⁾ هل أنت معنيّ

(136) Alex Ballinger, "Rachel McKinnon Becomes First Transgender Woman to Win Track World Title," راشيل مكنون تُصبح أول امرأة متحوّلة جنسيًا تفوز "Cycling Weekly, October 17, 2018, بلقب عالمي في سباق الدراجات على المضمار <https://www.cyclingweekly.com/news/latest-news/rachel-mckinnon-becomes-first-transgender-woman-win-track-worldtitle-397473>.

(137) Gad Saad (@GadSaad), "الرسالة تُرجمت في المتن" Twitter, October 14, 2018, 6:11 p.m., <https://twitter.com/GadSaad/status/1051596279720087553>; Gad Saad (@GadSaad), "باقي الرسالة من "أم هل تظنين... THE SAAD TRUTH... مترجم في المتن" "

بتخمين ما كان الرد على الدعوة؟ هل انتهزت الدكتورة مكنون الفرصة كي تستخدم منصتي المهمة للدفاع عن مواقفها؟ فبعد كل ذلك، ولأنها أستاذة فلسفة، كان لا بد لها من أن تنتهز الفرصة لتجادلني في هذه المسألة. لكنّها، بدلاً من ذلك، حظرتني وشرعت في شتم كل من يُشكك في انتصارها. يبدو أنها غير قادرة على تخيل كم كان انتصارها مُجحفًا في حق النساء الفعليات اللاتي خسرن السباق أمام منافسهنّ الذكر البيولوجي. وهذا تحديدًا ما اسميته باستبداد الأقلية في خطابي في مجلس الشيوخ الكندي في 2017. إن سردية المظلومية تعني أن حقوق المتحولين جنسيًا تحل محلّ حقوق النساء.

ونشرت، في استجابة مني لانتصار مكنون «البطولي»، مقطع فيديو على قناتي في يوتيوب سخرت فيه من هذا الخبل المُطبق،⁽¹³⁸⁾ وأعلنت فيه، بناءً على استخدام مفاهيم مثل عابر للتفرقة العمرية، وعابر للجاذبية (اختلقت هذه التسميات، مع أنها «حقائق خاصة بي»، وبذا لا يُمكنك نقدي) أنني سأشارك في بطولة للجودو في فئة أقل من ثمانية أعوام بما أنني أعرف نفسي بوصفي طفلًا تحت سنّ الثامنة. ثمّ، وبالاستناد إلى المنطق [الذي يعتمده] مكتب حياة الطلبة المثليين، والمثليات، والمتحولين جنسيًا والشواذ في جامعة هارفرد

Twitter, October 14, 2018, 6:11 p.m.,

<https://twitter.com/GadSaad/status/1051596281456529409?s=20>.

(138) Gad Saad, "Entering World Judo Championship as a TransGravity and TransAgeist Competitor," "المشاركة في بطولة العالم للجودو بوصفك متسابقًا عابر" *THE SAAD TRUTH* 755, October 18, 2018, YouTube video, <https://www.youtube.com/watch?v=DoTeh8EWEP8>.

الذي يقول إن النوع الاجتماعي للفرد خاضع للتقلبات اليومية - أعلنت أنني سأشارك أيضًا في بطولة الجودو لفئة الثمانين عامًا؛ لأن هويتي العمرية تتغير يوميًا. وختامًا، بما أن الجنس البيولوجي والنوع الاجتماعي والعرق والعمر هي محض بُنى اجتماعية، فإنني أجادل أن وزن المرء هو أيضًا بناء اجتماعي خاضع للقوى المحررة لبادئة «المتحوّل trans». وتبعًا لذلك، ومع أن وزني، حسابيًا، قد يزيد على تسعين كيلوغرامًا، يُمكنني أن أقول إنه أقل من أربعة وخمسين كيلوغرامًا، وبوسعي فعل ذلك على وجه الخصوص في الأيام التي أعرف نفسي فيها بوصفي ثمانينيًا، وهكذا، يُمكنني التنافس مع كبار السن النحيفين. ومثلما حدث في العديد من المناسبات، تبين أن هجائي النقدي هذا كان نبويًا، إذ ما كادت تمر ثلاثة أسابيع حتى ذاعت الأخبار عن سعي (أميل راتلباند) الهولندي البالغ من العمر التاسعة والستين، إلى تغيير عمره قانونيًا إلى التاسعة والأربعين (لضمان الحصول على مزايا أكبر في سوقي العمل والمواعدة مضافًا إلى عدّة أمور أخرى).⁽¹³⁹⁾ ومثلما لاحظت في غالب الأحيان في وسائل التواصل الاجتماعي، كان هجائي وتهكمي أمضى من مبضع الجراح في تشريح الرّواسب القارّة من الهراء السّخيف وغير المنطقي. مع ذلك، كثيرًا ما يفشل في فهم مغزاها حتى الخبراء المتمرسين في مواقف

(139) "Dutch Man, 69, Who 'Identifies as 20 Years Younger' Launches Legal Battle to Change Age," رجل هولندي بعمر التاسعة والستين يقول إنه أصغر "بـعشرين عامًا" ويشن معركة قضائية لتغيير عمره" *The Telegraph*, November 7, 2018, <https://www.telegraph.co.uk/news/2018/11/07/dutch-man-69-identifies-20-years-younger-launches-legal-battle/>.

أخرى. نوّه طبيبي المعالج، في أثناء مراجعتي له مؤخراً، إلى عددٍ من تغريداتي التي رثيت فيها وضعي بوصفي فرداً «له وزن مختلف». كان قلقاً، في ما يظهر، على استقرار العقليّ والعاطفيّ؛ لأنّه لم يفهم المغزى من تغريداتي السّاخرة التي تقول إحداها: «ما الذي يمنح الحقّ لطبيبي ليستخدم تصوّرات باليةً ومتحجّرةً عن الوزن في تحديد حاجتي إلى خسارة الوزن. إذ أن العلماء الحقيقيّين يعرفون حالياً أن قراءة مقياس وزنٍ معيّن ليس ثابتاً بل متغيّراً. إضافةً إلى ذلك، ماذا عن الرّاعبين في أن يكونوا بلا وزن؟ أليست لهم حقوق؟»⁽¹⁴⁰⁾

عرضت آلهة المظلوميّة مؤخّراً حالة اختبار لتقاطع أشكال التّمييز التّنافسيّة. إذ رفعت امرأة متحوّلة جنسيّاً من وندسور في اونتاريو الكنديّة شكوى تخصّ حقوق الإنسان ضدّ هام معدنيّ رفض تقديم خدمات إزالة شعر الجسم بالشّمع «لها». ⁽¹⁴¹⁾ كانت العاملة، وهي امرأة مسلمة، متحفّظة، بشكلٍ يمكن تفهّمه، بشأن إزالة الشّع عن جسم ذكر بايولوجيّ. وكانت هذه إحدى قضايا لعبة (بوكر) المظلوميّة المبهرة. من له اليد الطّولى: المرأة المسلمة أم المرأة المتحوّلة جنسيّاً؟ القضاة الخبراء في أولمبياد القمع وحدهم بوسعهم الحكم في قضيةٍ مثل هذه. وقدمت امرأة متحوّلة أخرى خمس عشرة شكوى في

(140) Gad Saad (@GadSaad), "تُرجمت الرّسالة في متن النص"، Twitter, December 5, 2017, 2:05 p.m.,

<https://twitter.com/GadSaad/status/938122074283003904?s=20>.

(141) Claire Toureille, "Trans Woman Files Human Rights Complaint against Canadian Spa That Refused to Wax Her," PinkNews, May 21, 2018, <https://www.pinknews.co.uk/2018/05/21/trans-woman-human-rights-complaint-canada-spa/>.

كولومبيا البريطانية ضدّ الحّمّات التي رفضت إجراء إزالة الشعر بالشّمع البرازيلي «لها». (142) وثمة قضية أخرى حتى أكثر إثارة للغضب والقلق وضعت مركز الإغاثة من الاغتصاب في فانكوفر ومأوى النساء في مواجهة مع الناشطين المتحوّلين جنسيًا بعدما حُرّم الملجأ من تمويل البلدية بسبب رفضه إيواء النساء المتحوّلات. (143) قدم الملجأ، منذ العام 1973، الدّعم لسبع وأربعين ألف امرأة، لكن يبدو أن رفاهية عددٍ غفيرٍ من الضّحايا الإناث السّاعيات إلى الخلاص من أوضاعهنّ المرعبة تأتي ثانيًا بعد منح «حقوق الشّمول» للنساء المتحوّلات جنسيًا (اللاتي يُشكّلن نسبةً مئويّةً لافتةً في صغرهما بين مجموع السّكان الكنديين). جميع الكنديين متساوون، لكنّ بعضهم أكثر مساواةً من غيرهم.

سيّد (زيغلر) ناشطٌ في جمعيّة المثليين والمثليات والمتحوّلين جنسيًا والشّواذ، ومؤسّس لرابطة كرة قدم المثليين الوطنيّة. ظهر (زيغلر) في شباط من العام 2019، على قناة فوكس نيوز وتحدّث عن عدم توفّر

(142) Douglas Quan, "'Not for Men Sorry': Transgender Woman Denied a Brazilian Wax by Spa Files Human Rights Complaint," نعتذر: 'ليست للرجال، نعتذر: امرأة متحوّلة يرفض حمام إزالة شعرها بالشّمع البرازيلي تقدم شكوى في حقوق الإنسان' *Canadian National Post*, August 22, 2018,

<https://nationalpost.com/news/canada/not-for-men-sorry-transgender-woman-files-human-rights-complaintafter-being-denied-brazilian-wax>.

(143) Tristan Hopper, "Canada's Oldest Rape Crisis Centre Stripped of City Funding for Refusing to Accept Trans Women," "أزمة الاغتصاب يُحرم من تمويل المدينة لرفضه إيواء النساء المتحوّلات جنسيًا" *Canadian National Post*, March 19, 2019,

<https://nationalpost.com/news/canada/canadas-oldest-rape-crisis-centre-stripped-of-city-funding-for-refusingto-accept-trans-women>.

أي دليل علمي على احتمال امتلاك الرياضيين المتحولين جنسياً لأيّ امتيازات تنافسية. فوجهت له السؤال الآتي في تغريدة: «عزيزي زيغلر: أشاهدك حالياً على قناة فوكس نيوز. هل تظنّ أنّ النساء المتحوّلات جنسياً (الذكور البايولوجيون في الأصل) يعكسون الفروق الفسيولوجية والتشريحية والمورفولوجية (الشكلية) والهرمونية موازنةً بالإناث البايولوجيات؟ بوصفي عالماً في السلوك التطوريّ، بحثّ ودرست الفروق الجنسية المبنية تطورياً، كان لديّ انطباع عن وجود هذه الفروق. ربّما ترغب في المشاركة في عرضي لتثقيفي بهذا الأمر؟»⁽¹⁴⁴⁾ ومع أنه قبل دعوتي حقاً، إلّا أنّ الأمور تدهورت بسرعة. كُنت أرغب في معرفة هل سيكون الحوار مُثمراً، ولفعل ذلك، سعيت إلى معرفة ما إذا كان لـ (زيغلر) صلة بالواقع إضافةً إلى الحقائق العلمية المُسلم بها أو ما إذا كان محض ناشط عنيد. سألته بشكلٍ خاصّ عما يُفكر فيه بشأن تغريدة نشرتها صحيفة PinkNews الإلكترونية في ذلك اليوم جاء فيها: «النساء المتحوّلات جنسياً هنّ نساء. إذن، أجسام النساء المتحوّلات جنسياً هي أجسام نساء. إذن، الأعضاء الذكورية النساء المتحوّلات جنسياً هي أعضاء

«عزيزي...بوصفي عالم في السلوك التطوري» Gad Saad (@GadSaad) (144)

Twitter, February 18, 2019, 10:58

p.m., <https://twitter.com/GadSaad/status/1097706973297025024?s=20>;

Gad Saad (@GadSaad), "بحث ودرس...تثقيفي؟" Twitter, February 18, 2019,

10:58 p.m.,

<https://twitter.com/GadSaad/status/1097706974186217473?s=20>.

ذكورية نسائية».⁽¹⁴⁵⁾ لم يشعر زيغلر بالراحة لسؤاله. بعد ذلك بوقتٍ قصير، ذكرت اسمه ضمن المعنيتين في تويتر بما يتصل باثنتين من المتحوّلات جنسيًا (ذكران بايولوجيان) اللتين حصلتا على المركزين الأوّل والثاني في بطولة السّاحة والميدان للمرحلة الثانوية للبنات في كونكتيكت.⁽¹⁴⁶⁾ يتّصل هذا الحدث اتّصالًا مباشرًا بادّعائه الأصليّ في قناة فوكس نيوز الذي ذكر فيه أن الرّياضيّين المتحوّلين جنسيًا لا يتمتّعون بأيّ مزايا تنافسيّة. إنّهُ الشّيء الذي جعل معتقداته النّاشطة تُسفر عن وجهها الحقيقيّ، إذ اتّهمني بأنّي مناضل ثقافيّ مناهض للتّحوّل الجنسيّ متنكرًا في زيّ عالم. ولذا، فإنّ التّعاطي معي ليس من مستواه. ولأنّه ليس من عادتي الاستخفاف بالإهانات الشّخصيّة، واصلت مطاردته في منصّة تويتر وأعلنته رئيسًا لبلاد وحيد القرن. لا داعي لإخباركم أنه حظرتني في تويتر. هذه هي حقيقة محاولة إشراك الأفراد الذين يرفضون الوقائع البايولوجيّة الواضحة وضوح وجود

”التفريدة مترجمة في متن النص“ (@PinkNews), (145) PinkNews

<https://twitter.com/PinkNews/status/1098005566268547072?s=20>.

حدث، توافقًا، قبل بضعة أشهر أن اقترحت ساخرًا أنه إذا مارس أحدهم الجنس الفموي مع امرأة متحوّلة جنسيًا (ذكر بايولوجي)، فإن ذلك يعني لعق البظر. جاد سعد، ”لعق البظر عند المتحوّلين جنسيًا- هجائي التنبؤي يتحقق ثانية“،

THE SAAD TRUTH 796, November 28, 2018, YouTube video, <https://www.youtube.com/watch?v=OXmMvetnTTU>.

(146) Pat Eaton-Robb, ”Transgender Sprinters Finish 1st, 2nd at Connecticut Girls Indoor Track Championships,” ”عداءتان متحوّلتان جنسيًا تحرزان المركزين الأوّل والثاني في بطولات السّاحة والميدان المغلقة للفتيات في كونكتيكت

Washington Times, February 24, 2019,

<https://www.washingtontimes.com/news/2019/feb/24/terry-miller-andraya-yearwood-transgender-sprinter/>.

ونشرت (ليزا لتمان) التي تعمل طبيبةً معالجةً وأستاذةً مساعدةً في ممارسة العلوم السلوكية والاجتماعية في جامعة براون، بحثًا في مجلةٍ جادلت فيه أن قلق النوع الاجتماعي الخاطف ينتشر في شبكات التواصل الاجتماعي بوصفه شكلاً من أشكال العدوى يتغذى جزئياً بضغط الأقران.⁽¹⁴⁷⁾ وقد أصدرت جامعة براون، في الأصل، تصريحاً صحفياً يصف نتائج الدراسة، لكنها حذفت القصة من موقعها الإلكتروني بعدما واجهت احتجاجاً نظمه ناشطون متحولون جنسياً حسبوا أن النتائج كانت عدوانية.⁽¹⁴⁸⁾ اتّصلت من جانبي بـ (ليزا لتمان) ودعوته للمشاركة في عرضي في فعل تضامنيّ مني مع زميلةٍ محاصرة. لكنها كانت مترددة في قبول الدعوة لخشيتها المؤكدة بشأن التّداعيات المؤسّساتية المحتملة التي قد تتعرّض لها. وهذه، مرّةً أخرى، حالةٌ تغلب فيها الغضب العام المصطنع على الحرية الأكاديمية. فإذا صرخ الناس «أشعر بالإهانة» بصوتٍ عالٍ بما فيه الكفاية، فإنهم يقودون الخطاب الأكاديمي ويوجّهونه.

(147) Lisa Littman, "Rapid-Onset Gender Dysphoria in Adolescents and Young Adults: A Study of Parental Reports," قلق النوع الاجتماعي الخاطف لدى "المراهقين والبالغين الشباب: دراسة في تقارير الأبوين" *PLOS ONE* 13, no. 8 <https://journals.plos.org/plosone/article?id=10.1371/journal.pone.020233>

(148) Colleen Flaherty, "Journal Looking into Study on 'Rapid-Onset Gender Dysphoria,'" *Inside Higher Ed*, August 31, 2018, <https://www.insidehighered.com/quicktakes/2018/08/31/journal-looking-study-rapid-onset-gender-dysphoria>.

أشركت مؤخرًا الممثلة الفائزة بجائزة الأوسكار، (تشارليز ثيرون) في عرضي في تويتر. وأرى أن (ثيرون) والعديد من الآباء لأطفال متحوّلين جنسيًا حديثًا يُظهرون أحد الجوانب الكلاسيكية لمتلازمة مونشهاوزن بالنّيابة (عن طريق العدوى). يُمكنهم أن يجنوا مكافئات «ابق متيقظًا» التّقديميّة لأنّهم آباء لأطفال متحوّلين. وقد صرّحت ثيرون أن أحد طفلها بالتّبني (ذكر بايولوجي) متحوّل جنسيًا، إذ قد أخبرها وهو في الثالثة من عمره أنه فتاة.⁽¹⁴⁹⁾ وفي النّهاية فإنّ ثيرون تربّي طفلها بوصفه فتاةً لأنّ مسألة تحديد هويّة النّوع الاجتماعيّ لطفلها لا تعود لها على ما يبدو (أو للعلم البايولوجي). تضمّنت بعض من تغريدياتي ذات الصّلة بهذا الموضوع الآتي: «شجاعة للغاية، مُذهلة للغاية، تقديميّة للغاية. أحسنتِ @CharlizeAfrica. ربّيت أطفالي بوصفهم فواعل غير شجريّة ومتعدّدة الخلايا مبنية على الكاربون. لم أفرض عليهم نوعًا مُحدّدًا. يعود الأمر لهم ليقرّروا ما إذا كانوا يرغبون في أن يصبحوا جزءًا من البشر العاقلين أم لا». وواصلت حديثي قائلاً: «أنا أسير على خطي البطولة الأبويّة لتشارليز @CharlizeAfrica. وقد أخبرت فواعلي غير الشّجريّين متعدّدي الخلايا القائمين على الكاربون (أي أطفالي) أنّهم ليسوا بحاجةٍ إلى مناداة زوجتي ومناداتي بـ 'ماما' و'بابا' على

(149) Chelsea Ritschel, "Charlize Theron Says She Is Raising Her Child as a Girl: 'It's Not for Me to Decide,'" The Independent, April 19, 2019, <https://www.independent.co.uk/life-style/charlize-theron-hildrentransgender-jackson-age-girl-boy-a8878686.html>.

التوالي. فنحن مانحو رعاية 1 و 2 محايدين جنسياً وغير ثنائيين». وختمت التغريدات بتقديم مفهوم جديد هو مرونة الجدول الدوري: «لا أريد لأطفالي أن يتقيدوا برؤية أنفسهم بوصفهم قائمين على الكاربون. ولهذا السبب، فإنني أشغلهم حالياً بمرونة الجدول الدوري. وقد طلبت منهم أن يفكروا في جميع العناصر ويحدّدوا أيّاً منها يتماهون معها (من جهة لبنات بنائهم الأساسية)». (150) وليس القصد من هجائي هو الخطّ من قدر حالة قلق النوع الاجتماعي الحقيقي للغاية والنادر للغاية أو الاستخفاف بها. لكنني أدرك حقاً الاحتمالية الإحصائية لعدد الآباء الذين «يظهرون» حالياً بوصفهم آباءً للأطفال المتحوّلين جنسياً. من المفترض حماية الأطفال ورعايتهم في كنف الأسرة. ولا يجب أن يُصبحوا بياق للعدالة الاجتماعية الدالة على الفضيلة لإبهار الأصدقاء التّقديمين.

التّقديمية ذاتها هي نظام معتقد غير متسق معرفياً وغير منطقيّ بديهيّاً. دعونا نفحص كيف أضحى العمر معلماً مائعاً لقابليات المرء المعرفية بوصفها دالة على النّفعيّة الأيديولوجية. فإذا ارتكب الفرد جريمة بشعة مع سبق الإصرار والترصد بعمر السابعة عشر وثلاثمائة وأربعة وستين يوماً، فإن التّقديمين سيكونون أوّل من يُصرّح أنه يجب

(150) روابط التغريدات الثلاث على التوالي هي:

1-Twitter, April 20, 2019, 4:53 p.m.,

<https://twitter.com/GadSaad/status/1119705660365651969?s=20>;

2-Twitter, April 20 2019, 4:59 p.m., <https://twitter.com/GadSaad/status>

3-Twitter, April 20, 2019,5:15 p.m.,

<https://twitter.com/GadSaad/status/1119711318435667969?s=20>.

أن يُحاكم في محكمة الأحداث. فهو «طفل»، بعد كل ذلك، لا يُمكنه أن يُدرك تمامًا عواقب أفعاله. يبدو أنه غير قادر، بسبب شدة اندفاعه وتهوُّره، على التوصل إلى أحكام سليمة لأن قشرة الفص الجبهيّ لديه غير مكتملة النموّ بعد. ولأنّ أدمغة المراهقين تستمرّ في النموّ حتّى العشرينيّات، فإنّ معاقبة قاتلٍ مراهقٍ هي فعل 'قاسٍ' وبالكداد تقديميّ.⁽¹⁵¹⁾ لكن عندما يتّصل الأمر بالعمر الذي يجب فيه السماح للأفراد بالتصويت في الانتخابات الوطنيّة، فإنّ العديد من التقدّميين، ومن ضمنهم رئيسة مجلس النواب، (نانسي بيلوسي) يدعمون فكرة خفض السنّ إلى السادسة عشر.⁽¹⁵²⁾ وبالمثل، عندما يتّصل الأمر بالتجنيد في جيش الولايات المتّحدة وإرسال المُجندين إلى أراضٍ أجنبيّة لقتل الأشرار، تغدو القشرة الجبهيّة، مثلما يظهر، متطوِّرة كفايةً في سنّ السابعة عشرة. على الرّغم من ذلك، وتبعًا للعديد من الآباء التقدّميين، بمن فيهم الممثّلة (تشارليز ثيرون) فإنّ طفلًا في الثالثة من عمره يتمتّع بالنضج المعرفيّ والعاطفيّ الضّروريّ الذي يؤهّله لإبداء رأي قاطع بشأن هويّته الجنسيّة. لا بدّ أنّ جان بياجيه المعروف أنه إحدى الشخصيّات التاريخيّة المهمّة في علم النفس

(151) Sara B. Johnson, Robert W. Blum, and Jay N. Giedd, "Adolescent Maturity and the Brain: The Promise and Pitfalls of Neuroscience Research in Adolescent Health Policy," نضج المراهقين والدماغ: وعود أبحاث علم الأعصاب " *Journal of Adolescent Health* 45, no. 3 (2009): 216–21.

(152) Madeline Fry, "Lowering the Voting Age to 16 Is a Crazy Idea," خفض "سنّ التصويت إلى السادسة عشر فكرةً مجنونةً" *Washington Examiner*, May 18, 2020, <https://www.washingtonexaminer.com/opinion/lowering-the-voting-age-to-16-like-nancy-pelosi-wants-is-a-crazy-idea>.

التطوريّ، يتقلّب في قبره الآن. وعلى النقيض من بياجيه، الذي حدّد في عمله الرائد مراحل واضحة للنموّ المعرفيّ الذي يصدق على الأطفال، يتّصف التقدّميون بأنهم مرنون للغاية بشأن الكيفيّة التي يؤثّر فيها العمر في قدرتنا على التفكير والشّعور والفعل - وهذا هو السبب الذي لأجله تُمنع من انتقاد غريتا ثنبرغ، الناشطة البيئيّة السويديّة ذات السبعة عشر ربيعاً المتبحّرة في نفاقها، إن لم تكن هستيريّة بنحوٍ مرضيّ، التي تحاول إنقاذنا من أساليبنا الشريرة. لا يحظى العلم بقيمة في بلاد وحيد القرن التقدّميّة إلاّ إذا تناغم واتّذذفق مع العقيدة الأيديولوجيّة، وإلاّ فإنّه لا يُمثّل شيئاً خلا حقائق كريمة متعصّبة.

سُمح لطالبة في المرحلة المتوسطة أنثى بايولوجيًا، لكنّها تُحدّد هويّتها بوصفها ذكرًا، في قضيةٍ حديثةٍ في مدينة فلوريدا، بالدخول إلى غرف تبديل الملابس الخاصة بالطلاب دون أن يكون للطلاب الذكور أو آبائهم رأي في المسألة. ورفض أحد المدرّسين مراقبة الغرفة في حضور الفتاة المتحوّلة جنسيًا لشعوره أنه من غير المناسب رؤية طالبة شابة أنثى بايولوجيًا عارية. (153) هل يُعاني المدرّس من رهاب

(153) Chuck Weber, "Teacher's Refusal to Supervise Transgender Student in Locker Room Sparks Debate," رفض مدرس الإشراف على طالبة متحوّلة جنسيًا في "غرفة تبديل الملابس يُشعل فتيل السّجال ABC6 News, December 15, 2018, <https://abc6onyourside.com/news/nation-world/teachersrefusal-to-supervise-transgender-student-in-locker-room-sparksdebate>;

Joy Pullman, "School Punishes Male Teacher for Refusing to Watch a Naked Girl in the Boys' Locker Room," مدرسة تُعاقب مُدرّسًا لرفضه مراقبة فتاة عارية في "غرفة تبديل الطلاب The Federalist, November 14, 2018,

التحوّل الجنسيّ؟ هل للأولاد الحقّ في رفض خلع ملابسهم أمام فتاة بايولوجيّة أم سيكون ذلك مثلاً على رهاب التحوّل الجنسيّ؟ ألا يُعدّ المساس بحقوق الجميع من أجل استيعاب طالبة متحوّلة جنسيّاً فعلاً غير ليبراليّ؟ هذا تعبيرٌ آخر عن استبداد الأقلّيّة. احتف واستوعب هويّتي الذاتيّة المخالفة للواقع البيولوجي، أو خاطر بالتعرّض لغضب الشرطه التقدّميّة، وربّما ما يترتب على موقفك من تداعيات مؤسّساتيّة إن لم تكن قانونيّة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

العالم الأحمق للنسوية الأكاديمية

أسهمت النسويّة، على مدى تاريخها، في تحسين حيوات الكثير من النساء حول العالم، لكنّها تسعى، مثل أيّ أيديولوجيّة أو مؤسّسة، إلى إدامة وجودها، وهذا يتطلّب منها في الوقت الحاضر التمسك بسرديّة مظلوميّة مصطنعة. ما السبيل إلى تحقيق نيرفانا (السعادة القصوى) المظلوميّة الدائمة هذه؟ تُقدّم 'لائحة التّحيّز الجنسيّ المتناقض' (ASI) الإجابة عن هذا السّؤال. فهي مقياس نفسيّ مؤلّف من اثنتين وعشرين فقرة تقيس التّحيّز الجنسيّ العدوانيّ والتّحيّز الجنسيّ الخيّر (بإحدى عشرة فقرة لكلّ منهما). يُشير النوع الأوّل من التّحيّز إلى الأشكال غير المقبولة من التّحيّز الجنسيّ مثل التّحرّش الجنسيّ، أو دفع معدّل أقلّ من الأجور إلى النساء موازنةً بالرجال لقاء أداء العمل

<https://thefederalist.com/2018/11/14/florida-school-district-gags-p-e-teachers-telling-parents-girlwatching-naked-sons/>.

ذاته، لكن قد يُفاجئك أن تعلم أنه إذا أله الرجال النساء، ووضعوهن على قاعدة التمثال، وصرّحوا أن حياتهم لا تكتمل إلا بهنّ، وسعوا إلى حمايتهن، فإنهم متحيّزون جنسيًا تافهون خيرون! وفي أدناه قائمة بالعبارات الإحدى عشرة التي تقيس التّحيّز الجنسيّ الخيّر. (154)

يُطلب من المستجيبين تقييم كلّ عبارة باستخدام مقياس من ستّ نقاط يبدأ بـ 'أرفض بشدّة' إلى 'أوافق بشدّة'. الفقرات 3 و6 و13 معكوسة الترميز لضمان عناية المُستجيبين بالمهمّة، وبالنتيجة، يكونون متّسقين في إجاباتهم.

1- بصرف النّظر عن حجم إنجازهِ، فإنّ الرّجل لن يكون متكاملًا حقًا ما لم يحظ بحبّ امرأة.

3- عند وقوع كارثة، لا ينبغي، بالضرورة، إنقاذ النّساء قبل الرّجال*

6- النّاس، في المعتاد، سُعداء حقًا في الحياة دون أن يرتبطوا عاطفيًا بفردٍ من الجنس الآخر.*

8- تتمتع العديد من النّساء بصفة النّقاء والبراءة التي يحوزها القليل من الرّجال.

9- يجب أن يعتزّ الرّجال بالنّساء ويحمونهنّ.

(154) مقتبسة من:

Peter Glick and Susan T. Fiske, "The Ambivalent Sexism Inventory: Differentiating Hostile and Benevolent Sexism," لائحة التّحيّز الجنسيّ الخيّر: "Journal of Personality and Social Psychology" 70, no. 3 (1996): 491-512.

المقياس في الصّفحة 512.

12- يجب أن يكون لكل رجل امرأة يعشقها.

13- الرجال مكتملون بلا نساء*

17- يجب على الرجل أن يرفع المرأة الطيبة على قاعدة تمثال.

19- تميل النساء إلى التمتع بحساسية أخلاقية فائقة موازنة

بالرجال.

20- يجب أن يكون الرجال على استعداد للتضحية برفاهيتهم

من أجل توفير المال للنساء في حياتهن.

22- تميل النساء إلى التمتع بإحساس راقٍ بالثقافة وبذائقة جيدة

قياساً بالرجال.

البشر من الأنواع التي تتكاثر جنسياً، وأحد أهم دوافع البشرية هو إيجاد شريك وتشكيل اتحادٍ مثمرٍ مع فردٍ من الجنس الآخر. لكن الرجل الذي يُقرّ بوجود هذا الدافع إنما يخضع، وفق 'لائحة التحيز الجنسي المتناقض'، للتحيز الجنسي الخير. لا يستدعي الأمر عالم نفس تطوريّ بارع لإدراك الخبل المطلق لموقفٍ مثل هذا.⁽¹⁵⁵⁾ لاحظ أيضاً

(155) Gad Saad, "The Acronym for 'Benevolent Sexism' Is BS: The Linguistic Irony Is Delicious,"

"التسمية المختصرة للتحيز الجنسي الخير هي 'BS': المفارقة اللغوية رائعة [لأنها أيضاً مختصر كلمة هراء-bullshit-الترجمة]"

Psychology Today, January 7, 2009, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homo-consumericus/200901/theacronym-benevolent-sexism-is-bs-the-linguistic-irony-is-delicious>;

GadSaad, "Exploring the Items Used to Measure Benevolent Sexism," دراسة "الفقرات المستخدمة لقياس التحيز الجنسي الخير" *Psychology Today*, January 8, 2009, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homo-consumericus/200901/theacronym-benevolent-sexism-is-bs-the-linguistic-irony-is-delicious>

أن أي رجل يسعى إلى حماية النساء والاعتزاز بهنّ هو متحيّز جنسيّ تافه. ولذا، ربما ليس مفاجئاً أن تجد دراسة حديثة أنه من غير المحتمل أن يُقدم الناس على إجراء الإنعاش القلبيّ الرئويّ المُنقذ للحياة للنساء.⁽¹⁵⁶⁾ يبدو أن أربعة عقودٍ من غسيل الدماغ النسويّ، ومطاردة السحرة قد لقنت الرجال درساً عميقاً: أن تكون متفرّجاً جباناً «غير متحيّز جنسياً» أفضل من أن تكون بطلاً «متحيّزاً جنسياً». يجب على أحدهم أن ينصح النساء بالكفّ عن تخيّل رجال الإطفاء الشجعان والجنود الباسلين بالزّي العسكريّ. ثمة مأمورٌ جديدٌ في البلدة يُمثل بإيجاز التعريف التقدّميّ للذكور: رجل متفرّج جبان غير مبالٍ. وهناك، قبل أن أنسى، تناقض معرفيّ لافت متأصل هنا. إذ يتلقّى الرجال دروساً متكرّرة بشأن تكثيف الجهد كي يكونوا حلفاء للنساء في أماكن العمل، لكنّهم إن فعلوا ذلك، فإنهم ينخرطون في تحييز جنسيّ خيّر. كلّ الطّرق تؤدّي إلى التّحييز الجنسيّ.

ومن بين العديد من مسمّات الفكرة المروّعة المناهضة للعلم التي

consumericus/200901/exploring-the-items-used-measure-benevolent-sexism.

ما سبب تلقي النساء "Why Women Receive Less CPR from Bystanders," (156) American Heart Association, November 5, 2018, <https://www.sciencedaily.com/releases/2018/11/181105105453.htm>;

Emma Teitel, "When It Comes to Life-Saving CPR, Men Are Too Worried about Touching Women: Teitel," *Toronto Star*, November 14, 2017, <https://www.thestar.com/news/canada/2017/11/14/women-will-consent-to-life-saving-first-aidteitel.html>.

تنبثق من العالم الوهمي لدراسات النوع الاجتماعي، فإن القليل منها يُسبب ما يُسببه المفهوم غير المنطقي للذكورة السامة من تآكل وإتلاف. (157) ألفت كريستينا هوف سومرز كتاباً مهماً قبل قرابة العقدين عن الهجوم المتعنّت وغير المسوّغ على الأولاد. (158) ولم تزد المشكلة إلا سوءاً منذ ذلك الحين. قد لا تكون فكرة جيّدة أن نتعامل مع نصف البشريّة كما لو أنهم مرضى عند تعاطينا مع أنواع تكاثر جنسيّاً. يُقدّم عددٌ لا يحصى من الجامعات المحترمة في الوقت الحاضر مناقشات وحلقات نقاشيّة، إن لم تكن فصولاً دراسيّة كاملةً، عن كيفية نسيان الذكورة السامة ومحاربتها وقهرها. (159)

وبينما استضافت جامعة كورنيل، وهي جامعتي الأم، نقاشاً عن استغلال الأزياء لمحاربة الذكورة السامة، أسست جامعة ليهاي في بنسلفانيا مجموعة الاحتضان العلاجيّة للرجال لمكافحة محنة هذا 'المرض' المروّع. (160) وقد اقترح أحد أساتذة التربية مؤخراً أنه يجب

(157) Gad Saad, "Is Toxic Masculinity a Valid Concept?" *Psychology Today*, March 8, 2018, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homoconsumericus/201803/i-s-toxic-masculinity-valid-concept>.

(158) Christina Hoff Sommers, *The War Against Boys: How Misguided Feminism Is Harming Our Young Men* كيف تُلحق الحرب ضد الأولاد: النسوية المُضللة الأذى بالشباب (New York: Simon & Schuster, 2001).

(159) Anthony Gockowski, "Schools Offer 'Safe Spaces' to Combat 'Toxic Masculinity,'" Campus Reform, January 16, 2017, <https://www.campusreform.org/?ID=8645>.

(160) "Can Fashion End Toxic Masculinity?" هل بوسع الأزياء القضاء على "الذكورة السامة؟" Events, Cornell University, May 1, 2019, http://events.cornell.edu/event/can_fashion_end_toxic_masculinity;

تعليم الأطفال الصغار، حتى في عمر رياض الأطفال، كيفية محاربة الذكورة السامة. (161) إن المؤدجين حريصون على الدوام على تلوين الأطفال الصغار بمسمّات الأفكار الخاصة بهم، لأنّ هذه الفئة العمرية هي الوقت الأنسب للشروع في عملية غسل الدماغ. والواقع أن النسوية الراديكالية هي فيروس متفشّ. (162)

ما الذكورة السامة؟ حسناً، إنه، على ما يظهر، العنصر غير المرغوب فيه لأنك ذكر. قد يشتمل ذلك على القدرة العالية على التنافس وإظهار الهيمنة الاجتماعية أو الجسدية أو الإحجام عن المبالغة في إظهار العواطف في العلن. ويُنسب إلى الذكورة السامة أنها المتسبب في عددٍ لا يحصى من الأمراض الاجتماعية منها: العنف، والحرب، والاعتداء الجنسي. وإذا ما تمكنا من إزالة السموم من الرجال ابتغاء المحافظة على ما هو جيّد من عناصر ذكورتهم - مثلما ناشدت شركة جيليت لشفرات الحلاقة مؤخراً جميع الرجال السامين كي يفعلوا ذلك في إعلانٍ خانعٍ ومُذلّ على نحوٍ مفرّجٍ - فإنّ العالم

"Men's Cuddling Group Aims to Redefine Masculinity and Heal Trauma," مجموعة احتضان الرجال تسعى لإعادة تعريف الذكورة وعلاج الصدمة," News and Events, Lehigh University, March 26, 2019, <https://ed.lehigh.edu/news-events/news/men's-cuddling-group-aims-redefine-masculinity-and-heal-trauma>.

(161) Kathleen Elliott, "Challenging Toxic Masculinity in Schools and Society," "تحدي الذكورة السامة في المدارس والمجتمع," *On the Horizon* 26, no. 1 (2018): 17-22.

(162) Breanne Fahs and Michael Karger, "Women's Studies as Virus: Institutional Feminism and the Projection of Danger," "بوصفها فايروسًا: النسوية المؤسسية وإسقاط الخطر" *Multidisciplinary Journal of Gender Studies* 5, no. 1 (2016): 929-57.

سيكون مكانًا أفضل. اللافت للأمر، مع ذلك، أن الذكورة السامة لا تقتصر على الأنواع الذكورية الفائقة والمفتولة العضلات النمطية في صورتها. يجب الحذر أيضًا من الذكورة المهووسة السامة مثلها تتجسد في الشخصيات الذكورية في البرنامج التلفزيوني نظرية الانفجار العظيم.⁽¹⁶³⁾ لاحظ أن أفراد قوات العمليات الخاصة (البحرية الأمريكية) والمهوسين الأقل هيمنة [beta geeks] الذين ينتمون إلى 'نادي الخوارزميات رائعة' هم تعبير عن الذكورة السامة. كل الطرق تؤدي إلى الذكورة السامة بما فيها نظامك الغذائي المفضل. فالحضرية أو النباتية الصرفة تُعزز الذكورة البيضاء في حين يُعد تناول اللحم تجسيدًا لذكورة سامة ومهيمنة على الأرجح.⁽¹⁶⁴⁾ وأنا أنصح، ابتغاء البقاء في الجانب الآمن، أن يقصر الرجال وجباتهم الغذائية على البيض والحبوب. مع ذلك، يُمكن تلخيص المشكلة الوحيدة المتوقعة هنا في غلبة اللون الأبيض على الجزء الأكبر من قشور البيض

(163) Anastasia Salter and Bridget Blodgett, *Toxic Geek Masculinity in Media: Sexism, Trolling, and Identity Policing*, وسائل الذكورة المهووسة السامة في وسائل الإعلام: التحيز الجنسي والتصيد وضبط الهوية (New York: Palgrave Macmillan, 2017).

(164) Mari Kate Mycek, "Meatless Meals and Masculinity: How Veg* Men Explain Their Plant-Based Diets," كيف "يفسر النباتيون نظامهم الغذائي المبني على النبات Food and Foodways 26, no. 3 (2018): 223–45;

Anne DeLessio-Parson, "Doing Vegetarianism to Destabilize the Meat-Masculinity Nexus in La Plata, Argentina," "لزعة شبكة العلاقة بين تناول اللحوم والذكورة في مدينة لا بلاتا في الأرجنتين Gender, Place & Culture: A Journal of Feminist Geography 24, no. 12 (2017): 1729–48.

والأجبان، وبذا، قد يكون النظام الغذائيّ مظهرًا واضحًا من مظاهر التفوق الأبيض المستوعب داخليًا. والواقع أني لا أرى سوى حلّ واحد هنا: يجب على الرجال أن ينخرطوا في صيامٍ جماعيّ حتى يغشاهم الموت الذي سيسهم إسهامًا مباشرًا في التقليل من الذكورة السامة. أعزائي الرجال، إذا كنتم ترغبون حقًا في أن تعملوا بوصفكم حلفاء للنساء يجب عليكم ، إذن، أن تفكروا جديدًا في الانتحار الجماعيّ أو ربما الإخصاء الجماعيّ.

العديد من النسويّات الأكاديميّات غير راضيات عن تمييز الذكورة السامة عن الذكورة عمومًا. إن موقفهنّ، الشائع نسبيًا في برامج الدّراسات النسويّة، هو أن الذكورة «إشكاليّة» في جوهرها. ولذا لا حاجة إلى المفردة النّعتيّة المعرّفة: 'سامة'. أوضحت ليزا ويد، النسوية وأستاذة علم الاجتماع في كلية أوكسيدنتال، هذا الأمر قائلةً: ذكوريّة ترامب هو ما تُسمّيه بالذكورة السامة. كانت المفردة النّعت في مرحلة ما قبل ترامب تُستخدم لتمييز المثل الذكوريّة الجيدة عن السيئة. يدّعي البعض أن الذكوريّات السامة تقف وراء الاعتداء الجنسيّ وإطلاق النّار الجماعيّ، والموقف الغريب إذ يرفض الرجال استخدام الواقعي الشمسيّ، لكنهم لا يعكسون الذكورة بصورة عامّة، ولذا، يجب ترك هذه الفكرة وشأنها. ومع ذلك، بوسعنا الاستمرار، مدّة طويلة من الوقت، فحسب، في إضافة العديد من النّعوت إلى الذكورة قبل أن نضطرّ إلى مواجهة احتمال أن الذكورة ذاتها قد

ولكونك ذكراً هو شيء سيء في طبيعته، ربّما ليس مفاجئاً أن تكتب (سوزانا دانوتا والترز) أستاذة علم الاجتماع، ومديرة برنامج دراسات النساء والنوع الاجتماعيّ والجنسانية في جامعة نورث إيسترن، ومحررة مجلة دراسات النوع الاجتماعيّ «علامات-Signs» مقالةً في صحيفة واشنطن بوست بعنوان «لم لا نستطيع أن نكره الرجال؟» ختمتها بالآتي:

إذن أيها الرجال، إذا كنتم # معنا حقاً وتريدون منا ألا نكرهكم في جميع السنوات الألف من الأحزان والكوارث التي تسببت فيها وانتفعتم منها، ابدؤوا بالآتي: انحنوا كي نتمكن عملياً من الوقوف من دون أن نتعرض للضرب. تعهدوا بالتصويت للنساء النسويات فقط. لا ترشّحوا المنصب. لا تكونوا مسؤولين عن أيّ شيء. تنحّوا عن السلطة. يُمكننا أن نفعل شيئاً. والرّجاء أعلموا أننا لن نمسح بعد اليوم دموع التماسيح التي تذرّفونها. لدينا كلّ الحق في كرهكم. لقد اخطأتم في حقنا. # بسبب الأبوية. مضى وقت طويل على اللّعب بجدّ لصالح نسوية الفريق والفوز. (166)

(165) Lisa Wade, "The Big Picture: Confronting Manhood after Trump," Public Books, October 26, 2017, <http://www.publicbooks.org/big-picture-confronting-manhood-trump/>.

(166) Suzannah Walters, "Why Can't We Hate Men?" *Washington Post*, June 8, 2018, https://www.washingtonpost.com/opinions/why-cant-we-hatemem/2018/06/08/f1a3a8e0-6451-11e8-a69c-b944de66d9e7_story.html?noredirect=on&utm_term=.af070edc055d.

قالت (هيلاري كلنتون) في مؤتمرٍ عن العنف الأسريّ في السلفادور في 1998: «لقد كانت النساء على الدوام الضحايا الرئيّسات للحرب. إذ يفقدن أزواجهنّ وأبائهنّ، وأولادهنّ في المعارك».⁽¹⁶⁷⁾ قد يحسب المرء بما أن الرّجال هم الذين، تاريخيًّا، يموتون بالملايين من أجل قضايا نبيلة في الغالب مثل الدّفاع عن أوطانهم وبيوتهم وأسرهم، فإنّهم يؤلّفون الضّحايا الرئيّسين، على الأرجح، لكن، كلاً، النساء هنّ الضّحايا على الدوام. إن برامج دراسات النّوع الاجتماعيّ مبنية على عُرْف: «أنا ضحيّة، إذن أنا موجود». كلّ الطّرق تؤدّي إلى المظلوميّة. والواقع أن المستقبل أنثويّ على حدّ تصريح العديد من الأكاديميّات النسويّات والسياسيات الإناث.

وإذا كنت تظنّ أن النسويّة الأكاديميّة مقصورةٌ على العالم الوهميّ لدراسات النّوع الاجتماعيّ، إذن، اسمحوالي أن أحرّركم من هذه الفكرة. فالعلم ذاته يُمكن أن يستنير، ظاهرًا، بالعدسات الفريدة للأبستمولوجيا النسويّة. إن جميع الحقول [المعرفيّة] التي كنت تحسب، على الأغلب، أنها منيعة ضدّ هذا الهراء، قد أُصيبت ببطءٍ بمسمّم الفكرة هذا، إذ لدينا الآن العمارة النسويّة، والبايولوجيا النسويّة، والفيزياء النسويّة، والكيمياء النسويّة، والجغرافيا النسويّة،

(167) Hillary Clinton, "First Ladies' Conference on Domestic Violence, San Salvador, El Salvador," مؤتمر عن العنف الأسري في سان سلفادور, Web Archive, November 17, 1998, https://web.archive.org/web/20010726225357/http://clinton3.nara.gov/WH/EOP/First_Lady/html/generalspeeches/1998/19981117.html.

والرياضيات النسوية، وعلم الجليد النسوي. (168) العبارة الآتية مستقاة من مستخلص من ورقة بحثية عن علم الجليد النسوي: «بعد دمج الدراسات العلمية ما بعد الاستعمارية النسوية وعلم البيئة السياسي النسوي، يُنتج إطار علم الجليد النسوي تحليلاً رصيناً للنوع الاجتماعي والقوة والابستمولوجيات في الأنظمة الاجتماعية - البيئية الدينامية، فيؤدّي ذلك، في النهاية، إلى علم وتفاعلات بين

هل هناك تحليل "Is There a Feminist Analysis of Architecture?" Jos Boys, (168) *Built Environment* 10, no. 1 (1984): 25–34;

Emily Martin, "The Egg and the Sperm: How Science Has Constructed a Romance Based on Stereotypical Male–Female Roles," كيف البيضة والحيمن: *Signs* 16, no. 3 (1991): 485–501;

Whitney Stark, "Assembled Bodies: Reconfiguring Quantum Identities," أجسام مُجمعة: تصور الهويات الكمية ثانية *Minnesota Review* 88 (2017): 69–82;

Ágnes Kovács, "Gender in the Substance of Chemistry, Part 1: The Ideal Gas," النوع الاجتماعي في مادة الكيمياء، الجزء الأول: الغاز المثالي *HYLE—International Journal for Philosophy of Chemistry* 18, no. 2 (2012): 95–120;

Ágnes Kovács, "Gender in the Substance of Chemistry, Part 2: An Agenda for Theory," النوع الاجتماعي في مادة الكيمياء، الجزء الثاني: برنامج من أجل نظرية *HYLE—International Journal for Philosophy of Chemistry* 18, no. 2 (2012): 121–43;

Geraldine Pratt, "Feminist Geography," الجغرافية النسوية *Urban Geography* 13, no. 4 (1992): 385–91;

Leone Burton, "Moving Towards a Feminist Epistemology of Mathematics," الانتقال إلى ابستمولوجيا نسوية للرياضيات *Educational Studies in Mathematics* 28, no. 3 (1995): 275–91;

Mark Carey et al., "Glaciers, Gender, and Science: A Feminist Glaciology Framework for Global Environmental Change Research," الأنهار الجليدية "والنوع الاجتماعي والعلم: إطار جليدي نسوي: لأبحاث التغير المناخي البيئي *Progress in Human Geography* 40, no. 6 (2016): 770–93.

البشر والجليد أكثر عدالةً وإنصافاً». منْ كان يدور بخلده أنْ الجليد يُمكن أن يكون متحيزاً جنسياً وأبويّاً إلى هذا الحدّ؟

صرحت الكاتبة النسوية (شارلوت بيركنز غيلمان) قبل قرابة المائة وخمسة وعشرين عاماً قائلة: «ليس هناك عقل أنثويّ. ليس الدماغ عضواً من أعضاء الجنس. يُمكن الحديث، أيضاً، عن كبد أنثويّ». (169) كان يُمكن لنا أن نظنّ أنّ الآلاف من الدّراسات العلميّة التي وثّقت الفوارق البايولوجيّة، والتّشريحيّة، والفسيوولوجيّة، والمورفولوجيّة، والهرمونيّة، والمعرفيّة، والانفعاليّة، والسلوكيّة، بين الجنسين ربما تكون قد أثّرت في المواقف الرّافضة العنيدة لتقبّل وجود الفوارق الجنسيّة المبنية بايولوجيّاً. وبحسب الحكمة القديمة التي تقول: إذا تغيّرت الأشياء أكثر، بقيت على حالها أكثر. يُغلّف أحدث مثالٍ مُجسّد لهذا الاختبال ويُقدّم تحت مُسمّى 'التّحيز الجنسيّ العصبيّ'. ويبدو أنّ إثبات أنّ الرّجال والنّاس يُظهرون فوارق تّشريحيّة - عصبيّة يُمكن أن يدخل في خانة التّحيز الجنسيّ. وبدلاً من ذلك، يتحدّث المؤمنون بتسطّح العقل البشريّ وغيرهم من منكري الواقع عن بعض الدّراسات العلميّة العصبيّة التي كشفت عن أوجه تشابه بين الجنسين في بعض قياسات الدماغ مثل سُمك مساحة قشريّة مُحدّدة، وهكذا، يُصبح دماغا الذّكر والأنثى متماثلين ويتعذّر التّمييز بينهما. (170) وهذا، منطقيّاً، مساوٍ

(169) Charlotte Perkins Gilman, *Women and Economics* (New York: Cosimo Classics, 2007), 74.

(170) Gina Rippon, *The Gendered Brain: The New Neuroscience That Shatters the Myth of the Female Brain* (London: The Bodley Head, 2019).

للقول إن الرجال والنساء مخلوقات متماثلة يتعدّر التمييز بينهم؛ لأن كل واحد منهم لديه عشر أصابع يد، وعشر أصابع قدم، وعينان، وكتيبتان. وعلى المنوال نفسه، يتعدّر التمييز بين الكلب الدنماركي الضخم وشيواوا (الكلبان الأكبر والأصغر في سلالة الكلاب) بما أن كل واحد منهما لديه عينان وذيل واحد وأربعة أقدام وأذنان. وقد أعلنت مؤخرًا في قناتي في يوتيوب أن أسرتي ستبني زرافة لأنها غير قادرة على تمييزها من الكلب (بما أنهما يجب أن ينتميا إلى النوع نفسه لأن كلاهما يملك ذيلًا وعينين وأسنان إضافةً إلى أوجه تشابه مورفولوجية أخرى).⁽¹⁷¹⁾ وفي الحقيقة هناك عددٌ لا يحصى من الفوارق الجنسية التشريحية - العصبية التي خضعت للتوثيق في الأدبيات.⁽¹⁷²⁾ ومع ذلك، حتى مع تشابه إحدى الخصائص التشريحية بين الجنسين، فإن ذلك لا يدل على

وكتب الأكاديميان الأخران اللذان أيدا وجهة النظر هذه مؤخرًا مقالة رأي في صحيفة نيويورك تايمز:

Daphna Joel and Cordelia Fine, "Can We Finally Stop Talking about 'Male' and 'Female' Brains?" "هل يُمكننا أخيرًا أن نكف عن الحديث عن الأدمغة 'الذكورية' و'الأنثوية'؟" *New York Times*, December 3, 2018, <https://www.nytimes.com/2018/12/03/opinion/male-female-brains-mosaic.html>.

(171) Gad Saad, "I'm Getting a Giraffe as a House Pet!" "سأجلب زرافةً وأعاملها!" *THE SAADTRUTH* 862, March 4, 2019, YouTube video, <https://www.youtube.com/watch?v=W13POJw2KyA>.

(172) Amber N. V. Ruigrok *et al.*, "A Meta-Analysis of Sex Differences in Human Brain Structure," "ميتا تحليل للفوارق الجنسية في بناء الدماغ البشري" *Neuroscience and Biobehavioral Reviews* 39 (February 2014): 34–50;

Stuart J. Ritchie *et al.*, "Sex Differences in the Adult Human Brain: Evidence from 5216 UK Biobank Participants," "الفوارق الجنسية في دماغ الإنسان البالغ:" *Cerebral Cortex* 28, no. 8 (2018): 2959–75.

التشابه في وظيفتها لأنّ بُنى الدماغ تتفاعل مع الهرمونات بأساليب محدّدة جنسيّاً. وما يستفزّ حقاً في هذا الأمر هو التّعطيّة الإيجابيّة التي حظيَ بها التّحيّز الجنسيّ العصبيّ في مجلة Nature، إحدى المجلّات العلميّة الأكثر رصانةً ومكانةً.⁽¹⁷³⁾ ليست هناك منصّة مُحصّنة من مسمّات الأفكار لا سيّما إذا كان من ينشرها ويروّج لها أفراداً مستعدّون للتّضحية بالحقيقة في خدمة أيديولوجياتهم المفضّلة.

والنّسويّات الرّاديكاليّات هنّ من الدّاعمات المُخلصات لعبادة التّنوّع والشّمول والإنصاف عندما يكون في ذلك مصلحة لهنّ، لكنّهنّ يلتزمن الصّمت بشأن الغياب المُحيّر للمساواة في النّوع الاجتماعيّ في أقسام الدّراسات النّسويّة.⁽¹⁷⁴⁾ أفترض أنّه لا أحد يودّ الإضرار بالعمل البحثيّ المهمّ الجاري في أقسام مثل هذه عن طريق ضخ الذّكورة السّامة فيها. لا تشكو النّسويّات الرّاديكاليّات من تشكيل الرّجال الأكثرية العظمى على قدر تعلق الأمر بحالات الوفاة المهنيّة، ولا يكثرن بحقيقة أن الرّجال هم الأكثر ميلاً للانتحار، والوقوع ضحايا لعمليات القتل، والاحتجاز والتّشردّ مُضافاً إلى أن متوسّط العمر المتوقّع لديهم هو أقلّ بكثير. وهذه الحقائق العالميّة تعود، بلا أدنى شكّ، إلى ذكوريّتهم السّامة. بيد أن النّسويّات الرّاديكاليّات حريصات

(173) Lise Eliot, "Neurosexism: The Myth That Men and Women Have Different Brains," أسطورة أن للرجال والنساء أدمغة "مختلفة" *Nature*, February 27, 2019,

<https://www.nature.com/articles/d41586-019-00677-x>.

(174) Gad Saad, "Women's Studies and Diversity: Where Are the Men?" "دراسات النساء والتنوع: أين الرجال؟" *THE SAAD TRUTH* 319, December 23, 2016, YouTube video, https://youtu.be/qLx_be6ZoF8.

للغاية على تعميم فجوة النوع الاجتماعي الوهمية في الأجور على الرغم من دحض هذه القصة المختلفة في مناسبات لا عدد لها. (175) أُقيمت قريباً في فرنسا بطولة العالم لكرة القدم للسيدات ألحق فيها فريق الولايات المتحدة الوطني، الذي فاز بالبطولة، هزيمة مدلّة بالفريق التايلندي بتسجيله ثلاثة عشر هدفاً مقابل لا شيء في مرحلة المجموعات. وأدى نجاح الفريق إلى إثارة غضب طيف واسع من المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية، الذين طالبوا جميعاً بالمساواة في الأجر للاعبات الفريق. ذكرت كريستن غيلبراند، عضو مجلس الشيوخ، أن اللاعبات يجب أن يحصلن على أجر مساوٍ لأجر الرجال لأن ثلاثة عشر هدفاً هو رقم قياسي في بطولة كرة قدم عالمية. (176) وأوضح الموقع الإخباري والإلكتروني، فوكس، أن منتخب السيدات قد سجّل عددًا من الأهداف في مباراة واحدة أكبر مما سجّله منتخب

(175) John Phelan, "Harvard Study: 'Gender Wage Gap' Explained Entirely by Work Choices of Men and Women," دراسة جامعة هارفرد: تفسير فجوة الأجور، المبنية على النوع الاجتماعي بصورة كلية بناءً على اختيارات العمل التي يعتمدها الرجال Foundation for Economic Education, December 10, 2018, <https://fee.org/articles/harvard-study-gender-pay-gap-explained-entirely-by-work-choices-ofmen-and-women/>.

(176) كريستن غيلبراند (@SenGillibrand): "هذه هي الفكرة: إذا فزت بمباراة بثلاثة عشر هدفاً مقابل صفر، وهو العدد الأكبر من الأهداف الذي سُجّل في مباراة واحدة في تاريخ بطولة كأس العالم، يجب أن تحصل اللاعبات على أجر مساوٍ على الأقل لما يحصل عليه اللاعبون في فريق الرجال.تهانينا. #منتخب الولايات المتحدة لكرة القدم للسيدات!"

Twitter, June 11, 2019, 4:59 p.m.,

<https://twitter.com/SenGillibrand/status/1138551389783810049?s=20>.

الرجال في جميع مباريات كأس العالم منذ 2006.⁽¹⁷⁷⁾ وختامًا، أشارت الأمم المتحدة إلى حقيقة أنّ لاعبًا واحدًا هو (ليونيل ميسي) يجني تقريبًا ضعف دخل جميع اللاعبات في فرق السيدات السبعة الكبرى.⁽¹⁷⁸⁾ من الصعب حقًا أن نتخيل أنه يُمكن للناس تقديم مثل هذه «الحجج» المغلوطة التي يستحيل تصوّرها. لقد لعبت الفرق الرئيسة لكرة القدم الوطنية للنساء (ومن بينها فريق الولايات المتحدة) مباريات ضدّ فرق الشّباب المحليّة (كان عمر الأولاد خمسة عشر عامًا أو أقلّ من ذلك) وتعرّضن إلى هزيمةٍ منكرة.⁽¹⁷⁹⁾ إنها الموهبة التفاضليّة بين الجنسين التي

(177) Tara Golshan, "How the U.S. Women's Soccer Team 13–0 World Cup Win against Thailand Became about Pay Equity," كيف تحول فوز منتخب الولايات المتحدة لكرة القدم للسيدات أمام منتخب تايلند بثلاثة عشر هدفًا مقابل لا شيء في بطولة العالم لكرة القدم إلى سجال بشأن المساواة في الأجور" Vox, June 11, 2019, <https://www.vox.com/culture/2019/6/11/18661914/women-soccer-team-world-cup-win-thailand-pay-gap>.

(178) United Nations (@UN), "تُرجم النص سلفًا". During the #WomensWorldCup2019, join @UN_Women in demanding equal pay for #WomenInSport," Twitter, June 23, 2019, 6:03p.m., <https://twitter.com/un/status/1142915986993164293?lang=en>.

(179) Roger Gonzalez, "FC Dallas Under-15 Boys Squad Beat the U.S. Women's National Team in a Scrimmage," نادي دالاس لكرة القدم تحت سن الخامسة عشر يُلحق هزيمة بمنتخب الولايات المتحدة الوطني لكرة القدم للسيدات في "سكريمج" CBS Sports, April 4, 2017, <https://www.cbssports.com/soccer/news/a-dallas-fc-under-15-boys-squad-beat-the-u-s-womens-national-team-in-a-scrimmage/>; James Benge, "Australian Women's National Team Lose 7–0 to Team of 15-Year-Old Boys," الفريق الوطني الاسترالي لكرة القدم للسيدات يخسر سبعة مقابل صفر أمام "فريق من اللاعبين تحت سن الخامسة عشر" *Evening Standard*, May 2, 2016, <https://www.standard.co.uk/sport/football/australian-womens-national-team-lose-7-0-to-team-of-15-year-old-boys-a3257266.html>.

توجّه نسبة المشاهدة في هذه المباريات. وإنه الفصل الدراسي التمهيدي الذي يدرسه طلبة المرحلة الأولى في الجامعة. إن الصلة بين تسجيل منتخب كرة القدم الأمريكي للسيدات ثلاثة عشر هدفاً في مباراة والفجوة في الأجر المبنية على النوع الاجتماعي موازية لحقيقة أن فريقاً لكرة القدم للشبان في دينفر قد هزم توّاً فريقاً آخر بخمسة عشر هدفاً مقابل لا شيء. ربّما يكون (ليونيل ميسي) أعظم لاعب كرة قدم في التاريخ. وهو على الأرجح، الأكثر شهرةً في العالم. في المقابل، ليس في قدرة أكثرية الناس تسمية خمس لاعبات إضافةً إلى العلم بوجود سبعة فرق كرة قدم نسائية. والسبب في ذلك لا يعود إلى النظام الأبوي، بل إلى تفهم حقيقة أنّ الوقائع الاقتصادية تؤثر في العديد من الحالات المُجسّدة للفجوة في الأجور. وهو السبب ذاته الذي يجعل المغنية الشهيرة (الليدي غاغا) تجني أموالاً أكثر بكثير ممّا أجنبيه أنا، مع أن السبب في الأجر المهول الذي تحصل عليه لا يتصل بمعاداة السامية الشائعة ضد لاجئي الحرب (أمثالي) بل هو انعكاس للكيفية التي تعمل بها قوى السوق. ربّما بوسعنا أن نطلب من الكساندريا اوكاسيو-كورتيز أن تستثمر شهادتها في علم الاقتصاد لشرح هذه النقطة لغيلبيراند.

كيف يدافع المؤدلجون عن مسمّات الأفكار التي يستخدمونها بالنظر إلى أنهم مخطئون للنخاع؟ الحلّ مباشر في ظلّ الأنظمة الشمولية. إنها تُجرّم إذا لم تقمع (أو تقتل) بعنف أيّ أصوات منشقة. أمّا في الغرب، فالتلقين الأيديولوجي أكثر براعةً ودهاءً. إذ إنه يتحقق بوساطة عُرف الصوابية السياسية، ويُفرض بشكلٍ أفضل عن طريق

خلق حرم جامعات تفتقر إلى التنوع الفكري. تشبه الصوابية السياسية لدغة زنبور العناكب. تذكر أن العنكبوت الممدوغ يُجرّ إلى كور الزنبور في حالة شبيهة بالغيوبة لتأكلها بعد ذلك حية الزناير الصغار. تُحقق الصوابية السياسية الهدف البشع ذاته؛ إذ إنها تسمح للأفكار الخبيثة والشائنة بأن تستهلكنا ببطء بينما نجلس في سكينه وهدوء في شبه غيوبة، خائفين من التحدث علناً. وتكرّر الصوابية السياسية كلمات محمد عطا الذي خطّط لهجوم الحادي عشر من سبتمبر، التي ألقاها على مسامع المسافرين المنكوبين في الطائرة التي اختطفها: «لا تتحركوا. كل شيء سيكون على ما يرام. إذا حاولتم القيام بأية حركة، ستعرضون أنفسكم والطائرة للخطر. فقط التزموا الهدوء... لا تتحركوا، رجاءً. سنعود إلى المطار. لا تحاولوا القيام بأية حركة غبية».⁽¹⁸⁰⁾ وعلى غرار ذلك، يُلقن إرهابيو الفكر أجيالاً من الطلبة الساذجين التزام بالهدوء في مقاعدهم الدراسية في أثناء تدريسهم الهراء المناهض للعلم. الرجاء امتنع عن طرح الأسئلة. الرجاء لا تستثمر قدراتك في التفكير النقدي. المقاومة الفكرية عبث لا طائل منه. أحفظوا عن ظهر قلب المحتوى الذي أعلمه لكم وكونوا هادئين. تعمل الجامعات بوصفها ميدان تدريب لشرطة الفكر الصّائبة سياسياً ومحاربيها [من أجل] العدالة الاجتماعية.

أظن أننا نتعرض "I Think We're Getting Hijacked," Stephen Kiehl (180) *New York Daily News*, September 10, 2006, للاختطاف
<https://www.nydailynews.com/bs-xpm-2006-09-10-0609100034-story.html>.

الفصل الخامس

خبل الحرم الجامعيّ

ظهور المحارب من أجل العدالة الاجتماعية

«أنا أستاذ ليبراليّ، وطلّبتّي الليبراليّون يشعرونني بالهلع، لقد عدّلتُ، متعمّدًا، أسلوبّي في التّدريس، وملتُ إذ تميلُ الرّياح السّياسية... إن جرح مشاعر طالبٍ، حتّى في سياق التّدريس الملائم والمُحترم للغاية، قد يورّط المُدرّس حاليًّا في مشكلات خطيرة».

(181) إدوارد شلوسر

«إن استبداد الأقلية هو، بما لا يُقاس، الأكثر بشاعةً وتعصّبًا ومدعاةً للخوف من استبداد الأغلبية».

(182) الرئيس وليم مكيني

(181) Edward Schlosser, "I'm a Liberal Professor and My Liberal Students Terrify Me," Vox, June 3, 2015, <https://www.vox.com/2015/6/3/8706323/college-professor-afraid>.

(182) William McKinley, *Speeches and Addresses of William McKinley: From His Election to Congress to the Present Time* من كلمات وليم مكيني وخطبه: من انتخابه للكونغرس إلى الوقت الحاضر (New York: D. Appleton and Company, 1893), 393.

مع أن عدد الطلبة الناشطين من المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية (SJWs) قد يكون قليلاً في حرم الجامعات، إلا أنهم يحكمون بفضل استبداد الأقلية، يساندهم في ذلك أساتذة «تقدميون» وإداريون جامعيون. إنهم يفرضون معاً، مناخاً خانقاً من الصوابية السياسية المقترنة في أذهاننا بأشياء، مثل «التحذيرات المسبقة»، و«الفضاءات الآمنة» و«حالات العدوان المُصغَر»⁽¹⁸³⁾ وترميز الكلام في حرم الجامعات التي تعمل جميعاً على تمكين المستائين والغازبين دائماً.⁽¹⁸⁴⁾ وتعلو المشاعر على الحقيقة من وجهة نظر التّقدميين، والحكم على البيانات التجريبية (الأمبريقية) لم يعد مبنياً على صدقها، بل على ما إذا كانت «متعصبة» بصورة كاملة - ويجب، في هذه الحالة، قمعها باسم الشمول. ونظرًا إلى أن المشاعر هي المحرك المعتمد للتحقق من صحّة وجود المرء، نلاحظ تبلور ثقافة الإساءة حيث يكون مفيداً الانتماء إلى فئة المتضرّرين الدائمين. وهذا من شأنه خلق الدافع الملح التنافسي لإيجاد موقع مُربح في هرمية المظلومية. إن أولمبياد القمع (الذي يُعرف أيضًا بلعبة بوكر علم الضحايا) هو الميدان الذي تقع فيه منافسات المظلومية، باستخدام

(183) العدوان المُصغَر هو مصطلح يُستخدم لوصف الإذلال البيئي واللفظي أو السلوكي اليومي المنتشر المتعمد أو غير المتعمد الذي يوصل موقفاً عدائياً، مُهيناً، أو سلبياً موجهاً للمجموعات الموصومة أو المهتمشة ثقافياً. ابتدع المصطلح الطبيب النفسي من جامعة هارفارد تشيستر بيرس عام 1970 لوصف الإهانات وحالات الرفض التي يوجهها الأمريكيان البيض ضد الأمريكيين الأفارقة (المترجمة).

(184) See also Bradley Campbell and Jason Manning, *The Rise of Victimhood Culture: Microaggressions, Safe Spaces, and the New Culture Wars* (New York: Palgrave Macmillan, 2018).

السّياسة وتقاطع أشكال التّمييز («أنا نسويّة شاذّة بدينة مسلمة من ذوي الهمم عابرة للنّوع الاجتماعيّ وسوداء») لتحديد «الفائزين» بمسرح العبث الهزليّ هذا. أرى أن المحاربين من أجل العدالة الاجتماعيّة يمثلون أحد أشكال (متلازمة مونشهاوزن الجماعيّة) اضطراب نفسيّ يتظاهر فيها الفرد بمعاناته من حالة صحّيّة ما كسباً للتّعاطف). وفي النّهاية، فإنّ المعتقد هو أنا صحّيّة، إذن أنا موجود. ألمح إلى هذا الهوس بالمظلوميّة الفيلسوف البريطانيّ المعروف، برتراند راسل، في مقالته التي اختار لها عنواناً مناسباً هو الفضيلة الفائقة للمضطهدين». (185)

وحتى لو كانت حظوظك عالية في لعبة بوكر الضّحايا، لا تظنّ أن الغوغاء التّقديميّين المتتمين إلى جماعة المحاربين من أجل العدالة الاجتماعيّة سيكفون عن مطاردتك. ف(آيان هيرسي علي) المؤلّفة التي حقّقت أفضل المبيعات، هي امرأة صوماليّة ولدت لأسرة مسلمة، وتواجه مصاعب شخصيّة بسبب عيشها في مجتمع أبويّ، كاره للنّساء، بقوّة. و (ديف روبن) مُعدّ البرنامج السّياسيّ، هو يهوديّ يُصنّف نفسه مثلياً اعتاد أن يكون أحد أعضاء اليسار الفخوريين بانتمائه. والصّحفي (أندي نغو) هو آسيوي مثلي. يفقد هؤلاء دروع الهويّة الحامية لهم حالما ينتهكون المبادئ الجوهريّة للعقيدة التّقديميّة (مثل نقد الإسلام أو اليسار الرّاديكاليّ) إذ يُصبحون هدفاً لهجوم

(185) Bertrand Russell, "The Superior Virtue of the Oppressed," الفضيلة الفائقة للمضطهدين (New York: *Unpopular Essays* غير شعبيّة في "الفائقة للمضطهدين" Routledge, 2009).

وانتقاد ترفع رايته عاصفة الغضب التّقدميّي. تعرّض (نغو) إلى هجومٍ عنيفٍ شنّه المحرّضون من حركة انتيفا، ممّا أدّى إلى دخوله المستشفى. وكان هذا، على ما يبدو، مقبولاً للعديد من التّقدميين؛ لأنّ (أندي نغو) يؤمن بآراء «غير صائبة».⁽¹⁸⁶⁾ وكان على العديد من الأساتذة الليبراليين أن يتعلّموا هذا الدّرس بطريقةٍ صعبةٍ وقاسيةٍ، ومن بينهم (لورا كبنس) من (جامعة نورث وسترن) و(رييكا توفل) من (جامعة رودز) و (بريت صامويل وينشتاين) من (كلية ولاية إيفرغرين) و (مايكل ركتنوالد) من (جامعة نيويورك). تحلّى هؤلاء بالجرأة على تقديم أسئلةٍ تخصّص، على التّوالي، ثقافة الاغتصاب في الحرم الجامعيّ، وحركة التّحوّل الجنسيّ، والنشاط اليساريّ المبني على العرق في الحرم الجامعيّ، وأيضاً اليسار الراديكاليّ. وقد أشعل هذا فتيل غضب الكهنوتيّة التّقدميّة. وعندما لا يعود هناك مؤيّدون لـ (ترامب) من مرثدي قبّعات 'أجعل أمريكا عظيمة ثانية' -MAGA المخيفة ابتغاء ممارسة الإهانة والإذلال في الحرم الجامعيّ، سيتحوّل الدّهماء التّقدميون أعداء لأعضاء الحركة الأقلّ نقاءً. وينتهي الأمر بالتّعبان الراديكاليّ، دائماً، إلى أكل ذيله إذ قتل تنظيم الدّولة الإسلاميّة (داعش) جميع المسلمين الذين ليسوا مسلمين كفايةً. ويؤدّن التّقدميون جميع الذين ليسوا تقدّميين كفايةً.

(186) Valerie Richardson, "Attack by White Mob on Gay Asian Journalist Upends Left's Identity-Politics Script," "الصّحفيّ الآسيوي المثليّ يقلب نص سياسة الهويّة اليساريّ رأساً على عقب" *Washington Times*, July 2, 2019, .

فضاءات آمنة وغرف صدى سيئة التكييف

يؤكد المحاربون من أجل العدالة الاجتماعية سرديّة المضطهد بالقول إن وجهات النظر المتعارضة تُمثل شكلاً من أشكال «العنف» الذي يجب حمايتهم منه، ولهذا السبب يعتقدون أنه من المقبول تمامًا إجبار الإداريين في الجامعة على إلغاء الدّعوات إلى المتحدّثين الذين يختلفون معهم. وفي ظلّ هذا التّلاقي بين النّاشطين الطّلبة من أعضاء النّضال من أجل العدالة الاجتماعية والميول السّياسيّة غير المتوازنة بين الأساتذة، نحصل على الوصفة الكاملة لإنشاء غرف الصّدى الأيديولوجيّة العقيمة التي أصبحت عليها الجامعات. وقد بيّن الطّبيب النّفسيّ العصبيّ (ستيف ستانكيفيسوس) المخاطر المتجذّرة في العقم الفكريّ للبيئة الأكاديميّة عن طريق مقارنتها بالمخاطر التي يواجهها الأطفال إذا نشؤوا في بيئات (معقّمة) تفتقر لمُسيّبات الحساسيّة.⁽¹⁸⁷⁾ سيُصاب هؤلاء الأطفال على الأرجح بأمراض تنفسية؛ لأنّ الجسم البشريّ في حاجة إلى التّعرض لمُسيّبات الحساسيّة لتنشيط دفاعاته المناعيّة. وتقع عمليّة مماثلة بين الجيل الحالي من طلبة الجامعة بينما يتلقّون تعليمهم في داخل أماكن عقيمة فكريًا. إذ إنهم لا يطورون مهارات التّفكير النّقديّ إضافةً إلى النّضج العاطفيّ للإبحار عبر الاختلافات والتّباينات.

(187) Steve Stankevicius, "Intellectually Sterile Universities Are Causing Idea Allergies," "The Daily Banter, البيئات العقيمة فكريًا تُسبب حساسية في الأفكار" March 8, 2016, <https://thedadailybanter.com/2016/03/intellectually-sterile-universities-are-causing-idea-allergies/>.

لقد زوّدنا التطوّر بآليات للتكيّف السلوكي. ويشرح العلماء التطوريّون، مثلاً، أن الناس في المناخات الأكثر دفئاً يميلون إلى الأطباق المشبعة بالتوابل؛ لأنّ التوابل توفر لهم حماية مضادة من الميكروبات تقيهم من الأمراض المنقولة بالأطعمة التي يُحتمل، على الأرجح، شيوعها في هذه المناخات.⁽¹⁸⁸⁾ وهذا يتّضح كيف تعمل الأشكال الثقافية (المطبخ الوطني) بوصفها استجابات تكيّفية للتحدّيات البيولوجية (التعرّض للميكروبات). تفحص علماء البيئة السلوكيين الاختلافات العابرة للثقافات بوصفها استجابات تكيّفية لظروف محلية طارئة مع أن القدرة على التكيّف لا تقع في المستوى الثقافي فحسب، بل أيضاً في داخل جسم الفرد. ونظامك المناعيّ مثالٌ على ذلك. فقد تطوّر ليكون قادراً على التكيّف تحديداً بسبب حاجته إلى محاربة مسببات مرضٍ سريعة التحوّل. فإذا كانت دفاعاتنا المناعية قد أُنقّيت لتدمير مجموعة محدّدة من الأمراض حصرياً، لكان البشر جميعاً قد ماتوا منذ زمنٍ طويلٍ، لذلك فإن نظام المناعة، لدينا مرناً بشكلٍ رائعٍ لقدرته على التوصل إلى حلولٍ «سريعة» عند الدّفاع عن النّسخ المتغيرة من الأمراض المختلفة.

وبأسلوبٍ مماثلٍ، يتألّف نظامنا المناعيّ السلوكي من استجابات

(188) Jennifer Billing and Paul W. Sherman, "Antimicrobial Functions of Spices: Why Some Like It Hot," لم يحب البعض "Quarterly Review of Biology" 73, no. 1 (1998): 3–49;

Paul W. Sherman and Geoffrey A. Hash, "Why Vegetable Recipes Are Not Very Spicy," "لم الوصفات النباتية فقيرة بالتوابل" *Evolution and Human Behavior* 22, no. 3 (2001): 147–63.

تكيّفية لظروفٍ محدّدة.⁽¹⁸⁹⁾ مثلاً، كلما زاد المدى الذي يتعرّض فيه النّظام المناعيّ للمرء إلى المرض في مدّة زمنيّة محدّدة، زادت احتماليّة تفضيله للأطعمة الغنيّة بالتوابل.⁽¹⁹⁰⁾ ووفق ذلك، فقد زوّدنا التّطور بالقبليّة على التّكيّف في مستوى الفرد (النّظام المناعيّ)، وفي مستوى الأفراد (نظام المناعة السلوكي) والثّقافات (استخدام التّوابل المضادّة للبكتيريا) وتتوّع أجسامنا وعقولنا التّعرّض لمواقف جديدة وكاشفة، لكن عندما يتعلّق الأمر بقدراتنا على التّفكير النّقديّ، فإننا نعمل على تعطيل عملها، أي هذه القدرات. واليوم كثيرٌ من خريجي الجامعة غير قادرين على المناقشة والحوار؛ لأنهم لم يتعرّضوا قطّ إلى وجهات النّظر المتعارضة التي يتعاملون معها بسهولةٍ ويسرٍ، بوصفها هرطقات ينبغي التّصدّي لها بالاحتجاج، ونوبات الهستيريا. ولكي تعمل ملكة التّفكير النّقديّ المطوّرة لدينا بالطريقة الأمثل، يتوّع منها أن تواجه التّحدّيات التي تفرضها المواقف المناقضة.

وإنّ إنشاء فضاءات آمنة مُعقّمة لا يقتصر على حرم الجامعة فقط، إذ استضفت مؤخّراً (جاك دورسي) مؤسس موقع تويتر، في

(189) Mark Schaller and Lesley A. Duncan, "The Behavioral Immune System: Its Evolution and Social Psychological Implications," "نظام المناعة السلوكي: التطور، *Evolution and the Social Mind*، في "تطوره ومضامينه الاجتماعية النفسية eds. Joseph P. Forgas, Martie Haselton, and William von Hippel (New York: Psychology Press, 2007), 293–307.

(190) Pavol Prokop and Jana Fančovičová, "Preferences for Spicy Foods and Disgust of Ectoparasites Are Associated with Reported Health in Humans," "تفضيلات الأطعمة الغنية بالتوابل والاشمئزاز من الطفيليات الخارجية" *Psihologija* 44, no. 4 (2011): "يرتبطان بالحالات الصحية المُبلغ عنها عند البشر 281–93.

قناتي على اليوتيوب.⁽¹⁹¹⁾ وقدّمت، في أثناء حوارنا، رأياً مفاده أن مراقبة تويتر للغة التي يتحدّث بها الناس في المنصّة يجعلها دون المستوى الأمثل. فالبشر المعافون السليمون مضادّون للهشاشة. وبقولٍ مختلفٍ، ينبغي للناس أن يتعرّضوا إلى قبح التفاعلات الاجتماعيّة، إذ لا يُمكن حمايتهم في فقاعةٍ مُعقّمةٍ توقّعا منا أن جميع التفاعلات ستتحلّى بالتهذيب والرّقي والقدرة على الإثراء. ومثلما أن العلاج المناعيّ المضادّ لحساسيّة الأغذية يُعرّض الأطفال الصغار إلى التأثيرات الدقيقة لمُسبّبات الحساسيّة بحيث، يعمل الجسم، مع الزيادة التراكميّة في جرعة التّعرّض، على بناء المناعة ضدّ مُثير مُحدّد للحساسيّة، فإنّ الناس في حاجةٍ حقيقيّةٍ إلى التّعرض إلى الحصيلة الكاملة للتفاعلات البشريّة لكي يتمكّنوا من النّموّ بوصفهم أفراداً أصحّاء فكريّاً وعاطفيّاً.⁽¹⁹²⁾ وعلى الرّغم من كلّ ذلك، نحن ماضون حالياً في خلق جيل شابّ لا يقوى على التّعامل مع الآراء المعارضة، وينكمشُ على نفسه مثل جنين في وضعية المظلوميّة الرّائفة عندما يجد نفسه في مواجهة ما يُعرف بـ «حالات العدوان المُصغّرة»، وهو

(191) Gad Saad, "My Chat with Twitter Co-Founder Jack Dorsey," *THE SAAD TRUTH* 843, February 5, 2019, YouTube video, https://www.youtube.com/watch?v=U7u2oj_HX3U.

(192) Bruce J. Lanser *et al.*, "Current Options for the Treatment of Food Allergy," *Pediatric Clinics of North America* 62, no. 6 (2015): 1531–49.

وتتأكد مسألة تعزيز الهشاشة العاطفية بصورة أكبر في استخدام التحذيرات المسبقة التي تهدف إلى حماية طلبة الجامعة من المنبهات المقلقة المفترضة. استحضر هنا تاريخي الشخصي في لبنان. إذ أن عددًا قليلًا من الناس قد عانى ما عانته من الفظائع، غير أنني تعلّمت التغلب على الماضي من دون الحاجة إلى تحذيرات مسبقة تُعيني على السير في مسالك الحياة. ولا نحتاج إلى أن نقول إن تجارب مُفجعة مثل هذه قد تركت تأثيرًا لا يُمحى في نفسيّتي. قد يكون مرّ وقتٌ طويلٌ على مغادرتي لبنان، لكنّ لبنان لم يغادرني قطّ. فأحد الكوابيس المتكرّرة الذي كان يقضّ مضجعي يرادني في شكلين: (1) أنا مُحصّن داخل منزلنا، على وشك الاشتباك بسلاحٍ (أو أنا مشتبك) مع «الأشرار القادمين» عندما أدركت أن ذخيرتي نفذت؛ (2) يتكرّر الحلم ذاته، لكنّ سلاحٍ يَحُشّر، وأنا عاجز عن إطلاق النار. وعلى الرّغم من صدمة الطّفولة هذه، إلّا أنني لم أبق متخبّطًا في الماضي. ولست بحاجة إلى تحذيرات مسبقة قبل مشاهدة فيلم عن الحرب، بل يجب على المرء، مثلما سينصح أيّ طبيب معالج، على نحوٍ مؤكد، أن يتجاوز ويتغلّب على هذه التّجارب السّلبية ويمضي في طريقه إلى الأمام. إن هذه التّحذيرات المُسبقة تستصغر القدرة البشريّة على المقاومة عن طريق دفع الشّباب إلى الاعتقاد أنهم لا يتحلّون بالقوّة

(193) Scott O. Lilienfeld, "Microaggressions: Strong Claims, Inadequate Evidence," *Perspectives on Psychological Science* 12, no. 1 (2017): 138–69.

النفسية اللازمة لمواجهة الحياة. وبالطبع هناك مواقف فريدة تتطلب الرعاية الإنسانية واللطفية، ويتعين على الأستاذ المهذب والعطوف، في حالات مثل هذه، أن يتعامل مع الموضوع بما يستحقه من حساسية. بيد أن التقنين الإجمالي للتحذيرات المسبقة بوصفها سياسة مفترضة هو تجاوز شائه، وغير مألوف. وفي مقالة لي في موقع (هافبوست) (Huffpost) في 2015، شدّدت على المدى المُبهر للموضوعات التي قد تكون «مُنبهة»، وبالتالي تستلزم، في أغلب الظنّ، إطلاق تحذيرات مُسبقة.⁽¹⁹⁴⁾ وتشمل هذه التحذيرات:

- الإساءة أو الانتهاك (الجسديّ، والعقليّ، والعاطفيّ، واللفظيّ، والجنسيّ) واستغلال الأطفال والاعتصاب والاختطاف.
- الإدمان، تعاطي الكحول، تعاطي المخدرات والوخز بالأبر.
- الدّم، والتقيؤ، والحشرات، والأفاعي، والعناكب، والموادّ اللّزجة، والجثث والجماجم والهيكل العظميّة.
- التّمر، ورهاب المثلية، ورهاب التحوّل الجنسيّ.
- الموت والاحتضار، والانتحار والإصابات، والوصفات و/أو صور الإجراءات الطّبيّة.
- أوصاف و/أو صور العنف أو الأعمال الحربيّة والمعدّات

(194) Gad Saad, "Trigger Warning: I Am about to Critique Trigger Warnings," HuffPost, "تحذير مُسبق: أنا على وشك نقد التحذيرات المُسبقة," February 5, 2015, https://www.huffpost.com/entry/trigger-warning-i-am-abou_b_6604686.

والأدوات النازية.

- الحمل والولادة.
- التمييز على أسس العرق والطبقة والجنس والحجم والقدرة وغيرها من الأنواع.
- الجنس (حتى لو كان بالتراضي).
- الشتائم والسباب المهين (يشمل ذلك كلمات مثل 'غبي' أو 'تافه')

• أي شيء قد يؤدي إلى أفكار متطرفة لدى الذين يعانون من اضطراب الوسواس القهري.

الواقع أن القائمة ممتدة لا حد لها، وهو ما جعلني اقترح التحذير المسبق العالمي الآتي: «إن استخدامك لعقلك للتنقل في العالم الحقيقي لا يجب أن يستدعي إطلاق تحذير مسبق؛ لأن هذا المسار سيفترض أنك تتحلّى بالتبصر المعرفي والعاطفي لإنسان بالغ. الحياة هي تحذيرك المسبق».

تقف التحذيرات المسبقة ضدّ أحد المبادئ الجوهرية للعلاج بالتعرض، الذي يؤلّف مقاربة علاجية مدروسة جيّدًا لمكافحة اضطراب القلق العامّ واضطراب القلق الاجتماعيّ، والرهاب (مثل رهاب العناكب) واضطراب الهلع، والاضطراب الوسواسي القهريّ، واضطراب ما بعد الصدمة.⁽¹⁹⁵⁾ يُعرض المرضى، في هذا

(195) "What Is Exposure Therapy?" PTSD Guideline, American Psychological Association, July 2017, <https://www.apa.org/ptsd-guideline/patients-andfamilies/exposure-therapy>.

النوع من العلاج، إلى منبّهاتهم المُحدّرة على أمل تعلّمهم إستراتيجيات للتكيّف مع أنواع الرّهَاب والمخاوف التي يعانون منها. تُبيّن الدّراسات القليلة التي اختبرت تجريبياً كفاية التحذيرات المُسبقة أنها - أي التحذيرات - تزيد من احتمالات تجنّب الطّلبة لـ «المنبّهات»⁽¹⁹⁶⁾ وتُعيق المقاومة العاطفيّة⁽¹⁹⁷⁾ وكانت غير مؤثّرة حتّى مع المصابين بصدمةٍ سابقةٍ.⁽¹⁹⁸⁾ وعلى الرّغم من الدّور المحتمل الذي تؤدّيه التحذيرات المُسبقة في التخفيف المؤقت للمشاعر المؤلمة، إلا أنها لا تدعم تكوين عقليّة صحيّة قادرة على تجاوز الطّابع العشوائي للحياة.

(196) Izzy Gainsburg and Allison Earl, "Trigger Warnings as an Interpersonal Emotion-Regulation Tool: Avoidance, Attention, and Affect Depend on Beliefs," "التحذيرات المُسبقة بوصفها أداة تنظيم-عاطفة بين شخصيّة: التجنب" *Journal of Experimental Social Psychology* 79 (November 2018): 252–63.

(197) Benjamin W. Bellet, Payton J. Jones, and Richard J. McNally, "Trigger Warning: Empirical Evidence Ahead," "التحذير المُسبق: الأدلة التجريبية في" *Journal of Behavior Therapy and Experimental Psychiatry* 61 (December 2018): 134–41.

(198) Mevagh Sanson, Deryn Strange, and Maryanne Garry "Trigger Warnings Are Trivially Helpful at Reducing Negative Affect, Intrusive Thoughts, and Avoidance," "التحذيرات المُسبقة لا تُساعد كثيرًا في خفض الشّعور" *Clinical Psychological Science* 7, no. 4 (2019): 778–93;

See also Payton J. Jones, Benjamin W. Bellet, and Richard J. McNally, "Helping or Harming? The Effect of Trigger Warnings on Individuals with Trauma Histories," "المساعدة أم الإيذاء: تأثير التحذيرات المُسبقة في الأفراد ذوي تواريخ" preprint, submitted July 10, 2019, <https://osf.io/axn6z/>.

ما الغرض من الجامعات؟

قال (ليونهارد أيلور) عالم الرياضيات الكبير من القرن الثامن عشر: «بما أن بناء الكون هو الأكثر كمالاً، وهو عمل الخالق الأكثر حكمةً، فلا شيء إطلاقاً يحدث في الكون لا يتجلى فيه بعض قواعد الحد الأقصى أو الأدنى».⁽¹⁹⁹⁾ ونحتاج في أوقات كثيرة إلى تحديد بعض مسارات الفعل الواقعية الأمثل (مثل: هل نرفع الرّبح إلى الحد الأقصى؟ أم نُقلص وقت الانتظار إلى الحد الأدنى؟). وبحوث العمليات (أو علم الإدارة) هو الفرع الأكاديمي الذي يستخدم التقنيات التحليلية للتوصل إلى مسارات الفعل الأمثل. ويقوم الانتقاء الطبيعي، في حالات معينة، ببرمجة سلوك أمثل في دماغ الكائن العضوي. وهذه هي الفكرة الكامنة خلف نظرية الاعتلاف الأمثل التي تدرس كيف تنتقي الحيوانات 'الأمثل' من بين سلوكها الخاص باختيار الغذاء لتحصل على الحد الأعلى من مقدار السعرات الحرارية بينما تُخفض استهلاك هذه السعرات إلى الحد الأدنى.⁽²⁰⁰⁾

في أثناء دراستي الجامعية لمادتي الرياضيات وعلم الحاسوب، ولاحقاً عندما كنت طالباً في مرحلة الماجستير في إدارة الأعمال، عملتُ مساعدَ باحثٍ في [مركز] مجموعة دراسة وتحليل القرار. المركز مؤلف من الرياضيين التطبيقيين، وعلماء الحاسوب القادمين

(199) W. A. Oldfather, C. A. Ellis, and Donald M. Brown, "Leonhard Euler's Elastic Curves," *Isis* 20, no. 1 (1933): 76.

(200) Eric L. Charnov, "Optimal Foraging, the Marginal Value Theorem," *Theoretical Population Biology* 9, no. 2 (1976): 129–36.

من بضع جامعات في مونتريال، والمتفرّغين لحلّ مشكلات الأمثلية باستخدام مجموعة من المقاربات الخوارزمية. عملت في المركز على حلّ مشكلة قطع الأسهم ثنائية الأبعاد، وهي من التّحديات الكلاسيكية في الأمثلية. لنفترض أنّ شركة أخشاب أو زجاج أو معادن تلقت طلبيةً لقطع عددٍ محدّدٍ من المستطيلات والمربّعات بأحجامٍ مختلفةٍ باستخدام ألواحٍ قياسيةٍ من الموادّ الخام المعنيّة. كيف يجب إعداد القواطع من الحافة إلى الحافة بحيث تُنفذ الطليية في الوقت الذي يُقلل فيه مقدار التالف في الألواح الأصليّة؟ ثمة مسألة أخرى تخصّ تحقيق الحدّ الأدنى هي مسألة البائع المتجول. لنفترض تكليف بائعٍ متجولٍ بزيارة عددٍ محدّدٍ من المدن مرّةً لكلّ واحدةٍ منها والعودة إلى النّقطة التي انطلق منها. ما المسار الأقصر الذي سيسمح للبائع بتحقيق هدفه؟ هذه مسائل تقليل إلى الحدّ الأدنى في مقابل مسائل تخصّ التّضخيم إلى الحدّ الأعلى. لنفكّر، مثلاً، في شركةٍ تنتج أربعة أنواعٍ مختلفةٍ من المنتجات تبيعها بأربعة أسعارٍ مختلفةٍ، وتستخدم موادّ أوليّةً، وآلةً لحساب وقت التّشغيل. يتمثّل التّحدّي هنا في تحديد خلطة تصنيع المنتج الأمثل التي ستضاعف من أرباح الشركة.

والحلّ الأمثل لأيّ مشكلة مثل هذه تتوقّف على المتغيّر الذي تختار تحسينه وإيصاله إلى الحدّ الأقصى. قد يختار المعماريّ خفض الكلفة الإجمالية لنصب المبنى و/ أو مدّة إنجازه. ومن المحتمل أن يؤدّي ذلك إلى تصاميم معماريّة باهتة قريبة الشبه بمشاريع الإسكان في العديد من المدن الأمريكيّة الكبيرة إذ الهدف هو توفير العدد

الأقصى من وحدات السّكن بأقلّ كلفةٍ وأقصى سرعةٍ. في المقابل، قد يختار معماريّ آخر تحسين الطّابع المُحبّ للبيئة في المبنى (أي رفع عدد جوانب التّصميم التي تراعي حُبنا الفطريّ للطبيعة). إن اختيار متغيّرٍ ما لوضعه في الصّورة الأمثل سيثمر تصاميم معماريّة مختلفة جوهريًّا. ومما يزيد الأمور تعقيدًا أن الكثير من مشكلات العالم الواقعيّ المعقّدة تتطلّب التّحسين الأمثل المتزامن لبضعة متغيّرات متنافرة (مثل الالتزام بإستراتيجية استثمار ترفع معدّل العوائد وخفض مستوى المخاطرة في الوقت نفسه، ممّا يؤديّ إلى محفظة استثمار متنوّعة) يتمثّل التّحدي بعد ذلك في تحديد تبادل الأولويّات الأمثل بين المتغيّرات المتضاربة.

وإذا كانت الشّركات تسعى إلى تضخيم أرباحها في حين يسعى البائع المتجوّل إلى تقليص المسافة الكليّة التي يقطعها، فأيّ من المتغيّرات التي يجب على الجامعة أن تحاول رفعها إلى المستوى الأمثل؟ لا يُشكّ في أنّ الجامعات توجد لخلق المعارف الجديدة ونشرها. لكنّ ذلك لم يعد صحيحًا. فالتّقليل من جرح المشاعر بين المجموعات المُفضّلة هو اليوم أكثر أهميّة بكثير (في بعض الفروع المعرفيّة على الأقلّ) من السّعي وراء الحقيقة، وخلق فضاءات آمنة محلّ محلّ حرية التعبير والإثراء الفكريّ، ونشاطيّة العدالة الاجتماعيّة يفوق في أهميته البحث عن الحقيقة. وابتغاء التّعبير عن هذا الجانب بلغة بحوث العمليّات، [نقول] إن الوظيفة الموضوعيّة للجامعة كانت، تاريخيًّا، مضاعفة النّمّو الفكريّ للطلّبة والأساتذة، وخضوع ذلك إلى قيود ميزانيّات الجامعة فحسب. وتحرّك العديد من الجامعات اليوم

مدفوعةً بمشكلة أمثلية تعددية الأهداف، إذ تسعى إلى تحسين النموّ الفكريّ إلى الحدّ الأقصى وخفض مشاعر التآلم والتفجّع إلى الحدّ الأدنى، أو تحسين النموّ الفكريّ ونشاطية العدالة الاجتماعية مقابل خفض مشاعر الألم والأذى.

المثال على ذلك هو (جامعة بالو آلتو) وهي مؤسّسة اقليمية صغيرة برزت على الصعيد الوطنيّ في أثناء جلسات استماع في مجلس الشيوخ تخصّ ترشيح القاضي (بريت كافانو) للمحكمة العليا. إنها الجامعة التي تعمل فيها (كريستين بلازي فورد) أستاذة لعلم النفس؛ فورد التي اتهمت (كافانو) بتحرّش جنسيّ يفترض أنه قد وقع قبل ستة وثلاثين عامًا. قرّرت زيارة الموقع الإلكترونيّ للمؤسّسة لمعرفة مهمّتها الأساسية، ظناً منّي أنها سوف تكون مرتعاً للنّاشطين من المحاربين [من أجل] العدالة الاجتماعية. ولم يخب ظنيّ. ففي أدناه القيم الثلاث الأولى من بين قيمها الأساسية الثمانية المدرجة⁽²⁰¹⁾:

- 1- العدالة الاجتماعية والكفاية الثقافية والتنوّع.
- 2- بيئة متمحورة حول الطالب ومتجاوبة ثقافياً.
- 3- بحوث ومنح دراسية علمية عالية النوعية تطوّر وضعيّة المعرفة والممارسة.

وإذا كنت ترغب في معرفة ما الخطأ في التعليم العالي، فهذا القلب لأوليّات الجامعة التقليديّة هو مكانٌ جيّدٌ للبدء - مع تصدر العدالة

"المهمة والقيم والرؤية الاستراتيجية" "Mission, Values, Strategic Vision,"
About, Palo Alto University, [https:// www.paloaltou.edu/about/strategic-vision-statement](https://www.paloaltou.edu/about/strategic-vision-statement).

الاجتماعية للقائمة وتدني مرتبة المنح الدراسية في سلم الأولويات.

الاستتباب الداخلي لعلم الضحايا

تحمل معي بينما أقدم القليل من المعلومات الأساسية عن الانتشار الكلي للاستتباب الداخلي⁽²⁰²⁾، كيف ندرسه، وما مضامينه؟ لأن ذلك سيساعد في شرح إحدى النقاط المهمة بشأن علم الضحايا. تتحكم في العديد من الأنظمة البيولوجية والاصطناعية عمليات تسعى إلى الحفاظ على درجة أو مستوى استتباب معين. فمنظم الحرارة في الغرفة، مثلاً، ينظم تدفق الهواء الحار أو البارد بحيث يحافظ على درجة حرارة محددة. ويحتوي جسم الإنسان على بضعة أنظمة استتباب داخلي مثل هذه. وهي تؤدي عمليات تضبط درجة حرارته ومستوى السكر وضغطه الشرياني. وأنظمة الاستتباب الداخلي لا تقتصر على العمليات الفسيولوجية. إذ أن بضع نظريات نفسية مؤثرة مبنية على فكرة الاستتباب الداخلي⁽²⁰³⁾.

(202) الاستتباب أو التوازن هو تنظيم جسم الكائن الحي لبيئته الداخلية ابتغاء الحفاظ على استقراره وثباته أمام التغيرات بنوعها الداخلي والخارجي، مثل الإجهاد بسبب ارتفاع درجة حرارة الجو، أو الاستحمام بماء ساخن ثم بارد عدة مرات أو مزاوله رياضة مرهقة ثم الاسترخاء. الاستتباب الداخلي هنا هو مقياس لسرعة استعادة الجسم للقيام بوظائفه المعتادة (المترجمة).

(203) Hans H. Toch and Albert H. Hastorf, "Homeostasis in Psychology: A Review and Critique," *Psychiatry* 18, no. 1 (1955): 81–91; ohn M. Fletcher, "Homeostatis as an Explanatory Principle in Psychology," *Psychological Review* 49, no. 1 (1942): 80–87; Nathan Maccoby and Eleanor

وقد أجرى عالم النفس (جون م. فلتشر) مقارنة بين الاستتباب الداخلي الفسيولوجي والنفسي، ويين: «أن الارتفاع في حدة المزاج عند التعرض لإهانة لا تختلف كثيرًا عن ارتفاع درجة الحرارة عند الإصابة بالتهاب. إذ يُمثل كلاهما محاولتين يبذلها كائن عضوي للحفاظ على الوضع القائم في الجسم في الحالة الأولى، والوضع الاجتماعي في الحالة الثانية».⁽²⁰⁴⁾ وتفترض نظرية تقليل الدافع أن البشر مُلزمون بتقليص حجم التباين بين الوضع الحالي والوضع المرغوب فيه من أجل تلبية حاجة فسيولوجية أو نفسية. فهناك إرادة فردية لإشباع حاجة الجوع، أو إطفاء حاجة العطش، مثلًا، عند الشعور بهما. وبقدرة نظرية تقليل الدافع أن تشرح طيفًا واسعًا للغاية من الظواهر البشرية مُضافًا إلى أن الموازنات الخاصة بالاستتباب الداخلي تُعدّ من العناصر الأساسية في ما يُعرف بنظرية التباينات المتعددة التي تركز على الطريقة التي يقيس بها الناس شعورهم بالقناعة بجوانب حياتهم.⁽²⁰⁵⁾ قد أقيس، في سبيل المثال، التفاوت

E. Maccoby, "Homeostatic Theory in Attitude Change," نظرية الاستتباب *Public Opinion Quarterly* 25, no. 4 (1961): 538–45.

(204) Fletcher, "Homeostasis as an Explanatory Principle," الاستتباب الداخلي 86. "بوصفه مبدأً"

(205) Robert A. Cummins, "The Theory of Subjective Wellbeing Homeostasis: A Contribution to Understanding Life Quality," نظرية *A Life Devoted to Quality* في "الاستتباب والرخاء الذاتي: إسهام في فهم نوعية الحياة" ed. Filomena Maggino, *Social Indicators Research Series* 60, (Switzerland: Springer International Publishing, 2016), 61–78; Alex C. Michalos, "Multiple Discrepancies Theory (MDT)," نظرية *Social Indicators Research* 16 (1985): 347–413. "المتباينات المتعددة"

(إذا كان موجودًا) بين مقدار دخلي الحالي وما كنت أتوقع الحصول عليه في هذه المرحلة من مسيرتي المهنية. أو ربّما أقارن دخلي الحالي بالمداخيل التي يحصل عليها أقراني. وخلاصة القول هو أن هناك عدّة طرق يُمكن بموجبها للمرء أن يُحدّد التّباين بين وضعه الحالي والوضع الذي يرغب فيه، وبالتالي يندفع لردم الفجوة بينهما.

وعمليات الاستتباب ناشطة في الكثير من السياقات التّطبيقية، من بينها علم نفس المستهلك، الحقل الذي أعمل فيه. إذ أن سلوك الأفراد يتميّز بأنه مدفوع، في جزء منه، بالرغبة في تحقيق حدّ العتبة الأدنى من التحفيز في حياتهم اليومية وفق نظرية مستوى التحفيز الأمثل، مع ملاحظة تحديد نمط الشخصية لهذه العتبة. فالمستهلكون الباحثون عن الإثارة الشديدة، في سبيل المثال، هم الأكثر ميلًا إلى استكشاف مدى أوسع وأكثر تنوعًا من المنتجات.⁽²⁰⁶⁾ وبوسع عمليات الاستتباب أن تُسعف في توضيح الاختلافات الثقافيّة في أنماط الاستهلاك. إذ يُمكن، على سبيل المثال، ربط خيارات المستهلك الكليّة (مثل حبّه للقهوة أو الكحول) بمناخ البلد (مثل

(206) Jan-Benedict E. M. Steenkamp and Hans Baumgartner, "The Role of Optimum Stimulation Level in Exploratory Consumer Behavior," دور مستوى *Journal of Consumer Research* 19, no. 3 (1992): 434–48; Roland Helm and Sebastian Landschulze, "Optimal Stimulation Level Theory, Exploratory Consumer Behavior, and Production Adoption: An Analysis of Underlying Structures across Product Categories," نظرية مستوى التحفيز الأمثل، سلوك المستهلك الاستكشافي وتبني المنتج: تحليل للنبي *Review of Management Science* 3, no. 1 (2009): 41–73.

درجة الحرارة وأشعة الشمس) والتعامل مع ذلك بوصفه استجابات توازنية داخلية لبيئات محلية. (207)

وقد يتمخض عن عمليات الاستتباب نتائج غير مرغوب فيها. إذ تقول نظرية استتباب المخاطرة إن الناس سيغيرون سلوكهم للحفاظ على المستوى المرغوب فيه من المخاطرة في حياتهم، وهذا هو السبب في أن ميزات الأمان الإلزامية في السيارات، مثل أحزمة المقاعد والكوابح المضادة للانغلاق والوسائد الهوائية، تجعل بعضهم يقود بأسلوب أكثر تهورًا. (208) وكان قد تواصل معي، قبل أكثر من عشرين عامًا، باحثان لدراسة العلاقة بين أحذية الجري، والإصابات المتنوعة. وقد وجدوا، تحديداً، أن الأحذية الأعلى ثمنًا (المزودة بميزات مانعة للإصابة متفوقة ظاهرياً) أسفرت عن إصابات أشد بسبب أساليب المشي المعدلة. (209) وهذا، على الأرجح، هو أحد مظاهر عمليات استتباب المشي، حيث يرفع العدائون، على نحو غير واع، من القوة التي يضربون بها الطريق بأقدامهم لأن أحذيتهم تتميز ببطانة حماية أكثر سمكًا.

يؤدي الاستتباب، فضلاً عن ذلك، دوراً في ما يُسميه الباحثون

(207) Philip M. Parker and Nader T. Tavassoli, "Homeostasis and Consumer Behavior across Cultures," "الاستتباب الداخلي وسلوك المستهلك في الثقافات" *International Journal of Research in Marketing*, 17, no. 1 (2000): 33–53.

(208) Gerald J. S. Wilde, "Risk Homeostasis Theory: An Overview," "نظرية نظرية" *Injury Prevention* 4, no. 2 (1998): 89–91. مراجعة

(209) Steven Robbins and Edward Waked, "Hazard of Deceptive Advertising of Athletic Footwear," "مخاطر الإعلانات المضللة للأحذية الرياضية" *British Journal of Sports Medicine* 31, no. 4 (1997): 299–303.

‘تأثير تغيير المفهوم المُستحثّ بالانتشار’.⁽²¹⁰⁾ لنفترض أن أحدهم طلب منك تحديد ما إذا كانت نقطة ما زرقاء. لا يجب لهذا الأمر أن يعتمد على عدد النقاط الزرقاء التي تعرّضت لها في الماضي مع أنه يعتمد على ذلك. فعندما يكون هناك عدد أقل من النقاط الزرقاء، فإنّ الناس سيؤشّرون على النقاط الأرجوانية بوصفها زرقاء. كرّر الباحثون هذه النتيجة باستخدام صورٍ لوجوه مُنذرة متوعّدة. وعندما شاهد المشاركون عددًا أقل من الوجوه التي تُبدّي وعيّدًا، حكموا على الوجوه الحياديّة أنها توعدية تهديديّة. وصفوة القول هو أنّي أفترض أنّ ما فعله المشاركون يؤلّف أحد أشكال الاستتباب الداخليّ، إذ يُدفع الناس للحفاظ على تواتر المُحفّز أو المنبه في مستوى محدّد حتّى لو اضطروا إلى الانخراط في تحريفات إدراكيّة - حسيّة ابتغاء فعل ذلك. وهذا بالضبط هو السبب الذي أدّى إلى ارتفاع عدد سرديّات المظلوميّة المبالغ فيها، إن لم يكن الكراهيّة المطلقة والبلاغات الكاذبة عن التحرّش. ويجب حماية سرديّة أننا نعيش في مجتمع مليء بالكراهيّة إذ يخشى أفراد الجماعات المُهمّشة على حياتهم مهما كلف الثمن.

وفكرة عالم النفس (نيك هاسلام) المعروفة بـ ‘تطوّر المفهوم’

(210) David E. Levari *et al.*, "Prevalence-Induced Concept Change in Human Judgment," *Science* 360, no. 6396 (2018): 1465–67, <https://doi.org/10.1126/science.aap8731>.

أندقم بالشكر الجزيل إلى غرغ غتفيلد في وكالة أخبار فوكس لتنبهني إلى هذا البحث المهم للغاية

وثيقة الصلة بحجتي الاستبائية⁽²¹¹⁾ إذ قال (هاسلام) إن ما يؤلف الأذى والباثولوجي (علم الأمراض) قد شهد توسعاً هائلاً، ووظف لشرح ذلك ستة أمثلة (هي: الاستغلال، والتّمتر، والصّدمة، والاضطراب العقلي، والإدمان، والتّحيز).⁽²¹²⁾ حدّر (هاسلام) في مستخلص ورقته البحثية الممتازة قائلاً: «على الرّغم من حتمية التّغير المفاهيمي، ووجود دافع مناسب يقف وراءه في العادة، فإنّ تطوّر المفهوم يُخاطر بتمرّض التّجربة اليومية، وتنمية الإحساس بمظلومية فاضلة وعقيمة في الوقت نفسه». ومع أنه قدّم بعض الشّروحات الافتراضية لهذا التّوجه، إلّا أنّي أرى أنّ [فكرة] استتباب علم الضّحايا التي قدّمها هي الأكثر سهولة. ويجب بلوغ مستوى محدّد من المظلومية. فإذا لم يتوقّر العدد الكافي من حالات المظلومية، إذن، غير تعريفها، وحوّل التّفاعلات اليومية العادية إلى بيانات «مثيرة» تدعم المظلومية الزّائفة.

إن استتباب علم الضّحايا، وتطوّر المفهوم، والصّوابية السّياسية يُمكن أن تؤدّي، أحياناً، إلى نفاق أخلاقيّ مُخبرٍ حقاً. لم يكن رئيس الوزراء الكنديّ (جاستن ترودو) راغباً في الاعتراف بالإبادة التي ارتكبتها تنظيم الدّولة الإسلاميّة، لكنّه كان مُستعدّاً لتقبّل كلمة

(211) أود أن أتقدم بالشّكر الجزيل إلى صديقي الطّيب، أندرو رايدر، أستاذ علم النفس في جامعتي، لتنبهني إلى دراسة هاسلام البحثية (بعد أن تحدثت معه عن نظرتي الخاصة باستتباب علم الضّحايا).

(212) Nick Haslam, "Concept Creep: Psychology's Expanding Concepts of Harm and Pathology," "تطور المفهوم: توسيع علم النفس لمفاهيم الأذى وعلم" *Psychological Inquiry* 27, no. 1 (2016): abstract, 1.

«إبادة» في تقرير يوثق أن النساء من السكان الأصليين يُقتلن بمعدلٍ أعلى من المتوسط الوطني الكندي.⁽²¹³⁾ وعلى الرغم من أن الأغلبية العظمى من النساء من السكان الأصليين لقين مصرعهنّ على يد رجال من السكان الأصليين، إلا أن الجلد الذاتيّ المستشري يُلقى باللائمة على الكنديين 'المتوحّشين'. رفضت حكومة تركيا، بإصرارٍ وثباتٍ، قبول حدوث الإبادة الأرمنية في حين تعترف الحكومة الكندية بإبادةٍ مختلفة. إنّها كليهما يشتركان في عملية قتلٍ عجيبةٍ للحقيقة، وإن كان ذلك لأسبابٍ مختلفة.

وقد يؤدي استتباب علم الضحايا إلى حالاتٍ مُخيرةٍ حقًا من الغضب العارم المُفتعل والمظلومية المصطنعة. إذ ألغى أمين سجلات المركبات الآلية في ولاية (نوفاسكوشا) الكندية في عام 2017 لوحة الترخيص الخاصة بـ (لورني غرابهر) التي دوّن عليها لقبه

(213) Joanna Smith, "Conservative Motion to Label ISIS Actions Genocide Fails as Liberals Vote Against," التحرك المحافظ لوصف أفعال تنظيم الدولة "الإسلامية بالإبادة يفشل بسبب تصويت الليبراليين ضده CBC Canada, June 14, 2016, <https://www.cbc.ca/news/politics/isis-genocide-tory-motion-1.3635632>;

Brian Lilley, "LILLEY: Trudeau Lets Canada Down with Genocide Comment," كاتب العمود بريان ليلي: ترودو يخذل كندا بتعليقه الخاص بالإبادة "Toronto Sun, June 7, 2019, <https://torontosun.com/opinion/columnists/lilley-trudeau-lets-canada-down-with-genocide-comment>;

Jonathan Kay, "The Ultimate 'Concept Creep': How a Canadian Inquiry Strips the Word 'Genocide' of Meaning," تطور المفهوم النهائي: كيف يُجرد تحقيق كندي "كلمة 'الإبادة' من معناها Quillette, June 3, 2019, <https://quillette.com/2019/06/03/the-ultimate-concept-creep-how-a-canadian-inquiry-strips-the-word-genocide-of-meaning/>.

«GRABHER - أمسكها أو أمسكوا بها» بسبب طبيعتها «غير الملائمة».⁽²¹⁴⁾ استمعت المحكمة العليا في المقاطعة إلى القضية، والحكم فيها الآن بيد محكمة الاستئناف التابعة لها.⁽²¹⁵⁾ وأصدرت حكومة المقاطعة (المدعى عليه) تقرير الخبير الذي أعده (كاري رنتشيلر) الذي يعمل أستاذًا مشاركًا لدراسات الميديا النسوية في (جامعة مغل) (إحدى الجامعات الأم التي درست فيها)، مُعلنًا أن لوحة الترخيص تغض الطرف عن العنف ضد النساء وتُديم ثقافة الاغتصاب. بل إن رنتشيلر وجد طريقة لربط المسألة بـ (دونالد ترامب) (وفق مقابله المسربة مع (بيلي بوش) التي قال فيها عبارته المشهورة: «أمسكهن من عضوهن التناسلي»). ليس هذا هجاءً ساخرًا. فاللقب الفعلي لهذا الرجل يُعدّ حاليًا أحد أشكال العنف ضدّ النساء. وعُزلت عميد الدراسات الإنسانية (جودي كيلى) في جامعة سياتل من منصبها الإداري في 2016 بعد تفوّحها بكلمة «زنجي» في حديث [لها مع طالب].⁽²¹⁶⁾ إن قولها هذا يبدو متعصّبًا بدرجةٍ فظيعة،

(214) "Lorne Grabher's License Plate Is Not Offensive or Dangerous,' States Expert Report," صرح خبير "Justice Centre for Constitutional Freedoms, October 25, 2018, <https://www.jccf.ca/lorne-grabhers-license-plate-is-not-offensive-or-dangerous-states-expertreport/>.

(215) "Lorne Grabher's Licence Plate Dispute Headed Back to Court," النزاع CBC News, March 9, 2020, [cbc.ca/news/canada/nova-scotia/lorne-grabher-appeal-licence-plate-1.5490889](https://www.cbc.ca/news/canada/nova-scotia/lorne-grabher-appeal-licence-plate-1.5490889).

(216) Alice Lloyd, "College Dean Ousted for Saying Title of Book," عزل عميد Weekly Standard, June 3, 2016, كلياتها لاستشهادها بعنوان كتاب

وفي غير محله بالمرّة إلى أن نكتشف أنها كانت توصي بكتابٍ عنوانه هذه الكلمة. وقد ألفه الناشط في الحقوق المدنيّة الأسود (دك غريغوري). وكانت (كيلى) تستجيب لطلبٍ يخصّ المزيد من التّنوع في أسماء المؤلّفين في [قائمة] القراءات الموصى بها للطلّبة! إنها صدمةٌ ساحقةٌ للنفس حقاً أن يصل مجتمعنا إلى هذا المستوى من الصّوابيّة السّياسيّة والغضب العارم المُختلق. وبكلمات (فولتير) الخالدة: «الفِطْرَة السّليمة ليست شائعةً تماماً». وقائمة هذا النّوع من الغضب ممتدّةٌ حقاً لا نهاية لها، إذ تشتمل على الإزالة المؤقتة لمقاييس الوزن في صالة الألعاب الرّياضيّة في جامعة كارلتن (لأنّ هذ المقاييس قد تُمثّل علامات منبّهة لمن يعاني من مشكلات مع صورة جسمه)⁽²¹⁷⁾ وإعادة تسمية شطيرة «مُثيرة جنسيّاً» في ظروف أخرى (أعادت أسواق ويتروز البريطانيّة تسمية شطيرة سيزر بالدجاج المدخن ماركة جنتلمان).⁽²¹⁸⁾ ويؤلّف الاقتباس الآتي من النسويّة (أنيتا ساركيسيان) على الأرجح، التّعبير الأفضل عن نظريّتي الخاصّة

<https://www.weeklystandard.com/alice-b-lloyd/college-dean-ousted-for-saying-title-of-book>.

(217) Michelle McQuigge, "Carleton University Faces Backlash Removing Scale from Athletic Facility," إزالة "مقياس من مرفق رياضي Maclean's, March 14, 2017, <https://www.macleans.ca/society/carleton-university-faces-backlash-removing-scale-from-athletic-facility/>.

(218) Jaime Johnson, "Waitrose to Rename 'Sexist' Sandwich after Protest by Feminist Campaigner," أسواق ويتروز تُعيد تسمية شطيرة "مُثيرة جنسيّاً" بعد "احتجاج منظمة حملة نسوية The Telegraph, October 17, 2018, <https://www.telegraph.co.uk/news/2018/10/17/waitrose-rename-sexist-sandwich-protest-feminist-campaigner/>.

باستتباب علم الضحايا: «لأنّ الأمر يبدو أشبه، عندما تبدأ بالتعلم عن الأنظمة، فإنّ كلّ شيء يكون مُثيرًا جنسيًا، كلّ شيء متحيّز عرقياً، كلّ شيء كاره للمثليين، ويجب عليك أن توضح كلّ ذلك للجميع طوال الوقت». (219)

المثال على ذلك هو التيّار المتنامي في حرم الجامعة لتمييز تفوّق العرق الأبيض في الأماكن كافّة، فإذا لم يكن هناك ما يكفي من العنصريين المسعورين حولك، إذن اختلقهم للحفاظ على استتباب علم الضحايا. يضمّ موقع 'إصلاح الحرم الجامعي' الإلكتروني مستودعًا ممتازًا للاختبال في الحرم إذ وجدت، عند بحثي في الموقع عن استخدام مصطلح «تفوّق العرق الأبيض» أن اليقطين، والمرمر الأبيض في الأعمال الفنيّة، والحليب والتّائم الجامعيّة وملابس الهالوين، وديزني، وقبّعات اجعل أمريكا عظيمة ثانية، وتماثيل (توماس جيفرسن) والحزب العظيم القديم (GOP) و (دونالد ترامب) والتصويت لـ (دونالد ترامب) وأداء الامتحانات وقول «كلّ الحيات مهمّة» بدلًا من «حياة السود مهمّة» وإنجاب أطفال بيض، والدّعوة للكياسة، والتّحضر ورفض المشاركة في سياسات الهوية ودعم التّنوع الفكريّ، ونظام الجدارة والرّأساليّة ودستور الولايات المتّحدة، وحرية التّعبير والأدب الغربيّ ودراسات القرون

(219) Anita Sarkeesian, "How to Be a Feminist" panel, All About Women Festival, Sydney, Australia, "كيف تكونين نسوية" كل شيء عن حفل النساء, March 9, 2015, YouTube video, 32:37, https://www.youtube.com/watch?v=jzcs4ti_bdl.

الوسطى، والموضوعية العلمية والعلم والرياضيات، هي من بين الأشياء الكثيرة التي «يربطها» الأساتذة التّقدميون في المعتاد بتفوق العرق الأبيض.⁽²²⁰⁾ وبالمناسبة، إذا كنت شخصاً أبيض غير عرقي لا يعنيه أن يُتهم بدعم التفوق الأبيض، فأنت تُعاني، بلا أدنى شك، من الهشاشة البيضاء (على حدّ تعبير المؤلّف روبن داينغلو، هكذا).

تسليح [متلازمة] مونشهاوزن الجماعية

نشرت في عام 2010 ورقة بحثية في مجلة طبية قدّمت فيها تفسيراً داروينياً محتملاً لـ (متلازمة مونشهاوزن) بالإصابة (MSbP).⁽²²¹⁾ وخلافاً لـ (متلازمة مونشهاوزن) حيث يتظاهر الشخص بالمرض جلباً للاهتمام العاطفي، يقع النوع الثاني (MSbP) في الحالات التي يؤدي فيها وليّ الأمر طفلاً (أو أحياناً شخصاً كبيراً في السن أو حتى حيواناً صغيراً) كي يجعل الضحية يظهر بمظهر المريض، وبالتالي يجلب الاهتمام المتعاطف لوليّ الأمر. وبينما تُشكّل النساء غالبية المصابين بمتلازمة مونشهاوزن (66.2٪)، فإنّ جميع الجناة على وجه

قائمة طويلة من "" Gad Saad, "Long List of Cases of White Supremacy," *THE SAADTRUTH* 538, November 4, 2017, YouTube video, https://www.youtube.com/watch?v=HU5U_qDmgec.

وقد توسعت، منذ ذلك الحين، هذه القائمة المتنامية باستمرار.

(221) Gad Saad, "Munchausen by Proxy: The Dark Side of Parental Investment Theory?" نظرية "Medical Hypotheses" 75, no. 6 (2010): 479–81. الاستثمار الأبوي

التقريب في حالة المتلازمة بالإصابة هم من النساء (97.6).⁽²²²⁾ وبالنظر لمعرفة بهذين الشكلين من (اضطراب مونشهاوزن) صغت تعبيراً جديداً يصور عقلية المظلومية الزائفة التي تجذرت في مجتمعاتنا هو: (مونشهاوزن جماعي).⁽²²³⁾ فبدلاً من التظاهر بحالة طبية أو التسبب في إصابة، يسعى المصابون بالمونشهاوزن الجماعي للحصول على الاهتمام والتعاطف والتقمص من خلال الترويج لمظلوميّتهم المفترضة (التطفل على مظلومية الآخرين، مونشهاوزن جماعي بالإصابة). عندما فاز (دونالد ترامب) بالانتخابات الرئاسية

(222) Gregory Yates and Marc D. Feldman, "Factitious Disorder: A Systematic Review of 455 Cases in the Professional Literature," اضطراب مُصطنع: مراجعة "General Hospital Psychiatry 41 (July–August 2016): 20–28; منهجية لأربعمئة وخمس وخمسين حالة في الأدبيات المهنية

Gregory Yates and Christopher Bass, "The Perpetrators of Medical Child Abuse (Munchausen Syndrome by Proxy)—A Systematic Review of 796 Cases," الجناة في حالات استغلال الأطفال الطبي (متلازمة مونشهاوزن بالإصابة)-, "Child Abuse & Neglect 72 (October 2017): 45–53. مراجعة منهجية لسبعمئة وست وتسعين حالة

(223) Gad Saad, "Gad Saad on Hysteria and 'Collective Munchausen' around Donald Trump, Speaking Out as an Academic, and Evolutionary Psychology 101," جاد سعد عن الهستيريا و'مونشهاوزن الجماعية' حول دونالد ترامب، الحديث "Areo Magazine, January 23, 2017, <https://areomagazine.com/2017/01/23/gad-saad-on-hysteria-and-collectivemunchausen-around-donald-trump-speaking-out-as-an-academic-andevolutionary-psychology-101/>;

"Collective Munchausen': Dr. Gad Saad on What Drives the 'Fake Hysteria Associated with Trump,'" 'المونشهاوزن الجماعية': الدكتور جاد سعد يتحدث عما "The Blaze, February 25, 2019, <https://www.theblaze.com/glenn-beck-podcast/dr-gad-saad-collective-munchausen>.

الأمريكية في 2016، بدأت بملاحظة الشكل الهستيري من المونشهاوزن الجماعي حيث كان الضحايا المزيّفون يتسابقون بصورة محمومة من أجل تصدّر التسلسل الهرمي للمظلومية المحتملة. وقد يظهر منشور افتراضي وإيضاحي في الوقت نفسه على النحو الآتي: «مرحبًا يا أصدقاء، أنا امرأة ملوّنة ثنائية الجنس، والآن ترامب سيصبح رئيسًا، لا أشعر بالأمان في دوامي في الحرم الجامعي في ولاية مين الريفية». وقد يتبع ذلك نشاز الهستيريا المُلَفَّقة حيث يُقدّم أعضاء من جماعات الهويّة المختلفة شهادات على مدى خوفهم وهلعهم من اختفائهم النهائي على يد فرق الموت التابعة لترامب.

إن واحدًا من أرفع طموحات الكثير من التّقدميين هو الجلوس على قمة هرم المظلومية. انس مسألة أن تُصبح جراحًا، أو أستاذًا، أو محامياً، أو رياضياً محترفاً، أو فنّاناً، أو دبلوماسياً. فهذه المساعي مُثقلَةٌ بالاحتمالية المريعة للمسؤوليّة الشخصيّة والعمل الجادّ. دع صرخات المظلومية الزّائفة تفتح الأبواب على مصراعها أمامك. ف (جوسي سمولت) الممثل الأقل شهرةً في مسلسل 'الإمبراطورية' (Empire)، لم يكن سعيداً بالأجر 'الصّئيل' (أكثر من مليون دولار سنويًا) مضافاً إلى شعوره المؤكّد بالاستياء من قلّة شهرته. ولم يتبقّ أمامه سوى حلّ واحدٍ للتّصدي لهذه المظلمة الشخصيّة الفادحة: تنظيم هجوم جريمة كراهية مُلَفَّقة ضدّه، وصعود التسلسل الهرمي للمظلومية. لكنّ حظه العاثر جعله يدفع للنيجيريين-الأمريكيين اللّذين استعان بهما لـ 'مهاجمته' بوساطة صكّ. ولو كان (سمولت) أكثر ذكاءً ودفع لهما نقدًا، لكان ربّما يجني كلّ المكافآت المجتمعيّة التي

استحصلها ضحايا مدينة نوبل بارك. وقد وثق عالم السياسة، (ولفرد ريلي) بضع مئات من بلاغات «جرائم الكراهية» الكاذبة وحلّل [شخصيات] مرتكبيها.⁽²²⁴⁾ ومثلما هو متوقع، يتمتع المخادعون دائماً بحظٍّ وافٍ في لعبة المظلومية والاضطهاد.

دعونا نُغيّر المسار الذي اختاره (سمولت) لبلوغ المجد عن طريق مظلومية مُلْفَقَة مع قصّة شخصيّة مؤلّفة. إذ كنت أحاول، حالما حصلت على الماجستير في إدارة الأعمال، أن أُحدّد برنامج الدكتوراه الذي سأُسجّل فيه. وكانت (جامعة كاليفورنيا-أرفين) التي توافق وجودها بالقرب من مكتب أخي، هي إحدى الجامعات التي قبلتني في برنامجها. كان أخي قد أسّس، في ثمانينيات القرن العشرين، شركة توظيف سوفت وير ناجحة للغاية، واقترح عليّ حينها أن أفكر في إمكانية العمل معه بضع سنوات قبل الشروع في دراسة الدكتوراه. أدركت سريعاً، بعد زيارتي للجامعة ومقابلتي بعض الأساتذة وقضائي وقتاً في مكتب أخي، أن [العمل في] البيئة الأكاديمية هي مساري الوحيد، ولهذا، قرّرت رفض دعوة أخي اللطيفة. وحال عودتي إلى مونتريال، أخذتني والدتي، التي كانت قد سمعت بعرض أخي لكنها لم تكن تعلم برفضه، جانباً للتحدث معي قليلاً. كانت والدتي قلقة للغاية من أنني قد أقرّر عدم مواصلة دراسة الدكتوراه، وذكّرتني بـ «العار» الذي قد يلحق بي إذا ما اكتشف الناس أنني قد تركت الدراسة! أحمل شهادة بكالوريوس علوم في الرياضيات وعلوم الحاسوب وماجستير في إدارة الأعمال (كلاهما

(224) Wilfred Reilly, *Hate Crime Hoax: How the Left Is Selling a Fake Race War* (Washington, D.C.: Regnery Publishing, 2019).

من جامعة مغل، إحدى أهم الجامعات في العالم)، ومع ذلك، قد يُفسّر عدم متابعتي الدكتوراً بوصفه «تخلياً» عن الدراسة. وعلى الرغم من عدم وجود علاقة بين متابعتي لدراسة الدكتوراً وأي تأثيرات أبوية، إلا أن المغزى الأخلاقي من القصة هو عتبة النجاح المتوقعة التي حدّتها والدتي لي. كان الهدف هو الإنجاز الناتج عن المسؤولية الشخصية والعمل الجادّ والجدارة لا التمرغ في «المظلومية» (وقد كان بوسعنا، نظرياً، القيام به بوصفنا لاجئين يهوداً من لبنان). لكننا، بدلاً من ذلك، رحبنا بالفرص التي قدّمها بلدان ليبرالية وديمقراطية مثل كندا والولايات المتحدة.

كل الطرق تؤدي إلى التعصب - أنا ضحية، إذن، أنا موجود

يؤلف الناشطون في مجال تقبل البدانة والناشطون المتحوّلون جنسياً جماعتين تسعيان إلى اكتساب وضع المظلومية عن طريق دعاوى تُسيء إلى العقل والفطرة السليمة، إذ أعدت حركة تقبل البدانة، بمهارة بالغة، سردية مظلومية زائفة عن طريق أكاذيب صارخة في جبهتين، إذ رفع الناشطون، أولاً، شعار «مُعافي في أي حجم»، وأنكروا العلاقة بين البدانة والعدد الكبير من الأمراض الخطيرة؛ وقالوا، ثانياً، إن الكثير من البدينين (النساء على وجه الخصوص) يتعرّضون للتجاهل في سوق المواعدة بسبب المواقف «المتحيزة ضدّ السمّنة» التي توصم البدانة. ويتحلّى بعض الناشطين المتحوّلين بالقدر نفسه من الإبداع في رفضهم للواقع. فقد صرّح اثنان من الناشطين المتحوّلين المشهورين في منصة يوتيوب (رايلي جي دينس وزينا جونز) بأن تقييد الناس لتفضيلاتهم في

التزاوج بالأفراد «التسويين المنسجمين مع جنسهم بالولادة» هو بمنزلة «تعصب ضدّ المتحولين جنسيًا»؛ وبقولٍ مختلفٍ، التّغاير الجنسيّ متعصبٌ. (225) يبدو أن زواجي مُصاب برهاب التّحوّل الجنسيّ لأنّي لم أفكر قطّ في أن أتخذ شخصًا متحوّلًا جنسيًا زوجةً لي في المستقبل. (226)

كلّ الطّرق تؤدّي إلى التّعصب، لا خلاف في ذلك. فإذا كنت رجلًا أبيض غير منجذب جنسيًا لامرأة سوداء، فأنت مذنب بالتمييز العرقيّ الجنسيّ (نعم، يوجد هذا التعبير). وإذا كنت رجلًا أبيض منجذب جنسيًا لامرأة سوداء، فأنت متحيّز عرقيّ يُنمّط صورة النساء السّود بوصفهن شبقات جنسيًا، وتُشيء أجسامهن. ادخِل أيّ جماعة مضطهدة في هذه المعادلة، وستحصل على النتيجة ذاتها. نعلم جميعًا أنّ الفصل العنصريّ المؤسّساتيّ يُمثل تعصّبًا، لكننا نعلم الآن أنّ السّعي للانخراط في ممارسات الآخرين الثقافيّة يُعدّ تعصّبًا أيضًا – إذ إنه يجعلك متهمًا بالتّعصب لـ «الاستحواذ الثقافيّ». إن استتباب المظلومية كفيّل بضمان أن جميع الطّرق تؤدّي إلى التّعصب، وتبعًا لذلك، انتهاك مبدأ القابلية للدحض الذي أسس له فيلسوف العلم، كارل بوبر (ليس هناك أيّ بيانات بوسعها دحض سرديّة المظلومية).

(225) Scott Greer, "SJWs Are Putting Politics Back into the Bedroom," "المحاربون من أجل العدالة الاجتماعيّة يعيدون السياسة إلى غرفة النوم" The Daily Caller, December 8, 2017, <https://dailycaller.com/2017/12/08/sjws-are-putting-politics-back-into-the-bedroom/>.

(226) Gad Saad, "Help Me ... My Marriage Is Transphobic!" "ساعدوني...زواجي" THE SAADTRUTH408, April 26, 2017, YouTube video, https://youtu.be/h_eNsrEk7H4.

إن قائمة الغضب العارم الزائف الناجم عن الاستحواذ الثقافي طويلةٌ. إذ شعرت الممثلة (لينا دنهام) بالقلق من تقديم كليتها الأم، أوبرلين، لطبق الشّوسي في الكافيتيريا، وهو مثال واضحٌ على الاستحواذ الثقافي.⁽²²⁷⁾ وشعرت الطّاهية (مثالي راوات) التي تصف نفسها أنها امرأة ملونة شاذة، بالهلع من أن البيض قد سرقوا إرثها الهندي عن طريق استخدامهم لمرق العظام، وهو ما تراه سرقةً استعماريةً.⁽²²⁸⁾ وحسب كلمات "نازي سوب - حساء نازي"،⁽²²⁹⁾ وهو اللقب الذي يحمله (ييف) كاسم في مسلسل (سينفيلد): «لا حساء لك!» والاستحواذ الغذائي ليس هو الطّريق الوحيد المؤدي إلى التعصب. إذ يُمكن للتعصب الخاص بالملابس أن يطل برأسه القبيح في أية لحظة، مثلما حدث مع المغنية (كاتي بيرى) التي اضطرت إلى الاعتذار لارتدائها ملابس غايشا (مغنية وراقصة يابانية) في عرضها الأدائي في حفل جوائز الموسيقى الأمريكية في 2013.⁽²³⁰⁾

(227) Dave Quinn, "Lena Dunham Says the Oberlin College Food Court Serving Sushi and Banh Mi Is Cultural Appropriation,"
تقول لينا دنهام إن تقديم "كلية أوبرلين الشّوشي والبنه مي هو استحواذ ثقافي
People, July 15, 2016, <https://people.com/food/lena-dunham-oberlin-food-court-cultural-appropriation/>.

(228) Frances Watthanaya, "This Chef Wants to Reclaim Bone Broth,"
هذه "الطّاهية تُرد استعادة مرقة العظام
Vice, October 23, 2018, https://www.vice.com/en_us/article/9k774d/meet-the-woman-decolonizing-bone-broth.

(229) 'حساء نازي' هو الحلقة رقم 16 من المسلسل الهزلي سينفيلد. وكلمة النازي هنا هي تعبير عن مبالغة ييف في الاصرار على نمط سلوك معين عند التقدم بطلب الحساء.

(230) Mehera Bonner, "Katy Perry Admits She's Been Appropriating Black and Japanese Culture,"
كاتي بيرى تعترف أنها كانت تهضم الثقافتين السّوداء "واليابانية"
Marie Claire, June 12, 2017, <https://www.>

وارتدت (كيزيا دوم) وهي طالبة بيضاء في المرحلة الثانوية، لباسًا صينيًا يُعرف بـ «كيباو» في حفلة راقصة، مما أدى إلى تحريك كتيبة الغضب العارم الزائف ضدها.⁽²³¹⁾ كن حذرًا وانتبه إلى طريقة تصفيف شعرك لا سيما إذا كنت أبيض؛ لأن ذلك قد يؤلف علامةً على كونك نازيًا متعصبًا. وارتكبت (كاتي بيرى) خطأ تصفيف شعرها في شكل جدائل مصفورة متوازية، واعتذرت لاحقًا عن ذلك.⁽²³²⁾ وأثارت (كندل جينر) جدلاً بعدما ظهرت بتسريحة شعر شبيهة بتسريحة أفريقية في لقطة لها في مجلة فوغ.⁽²³³⁾ ووبخت امرأة سوداء، بقسوة وغيظ، طالبًا ذكرًا أبيض في جامعة ولاية سان فرانسيسكو لشعورها بالغيظ من تصفيفه لشعره في شكل

marieclaire.com/celebrity/news/a27674/katy-perry-cultural-appropriation/.

(231) Samantha Schmidt, "It's Just a Dress' Teen's Chinese Prom Attire Stirs Cultural Appropriation Debate," "راقصة يشعل فتيل السجال بشأن الاستحواذ الثقافي" *Washington Post*, May 1, 2018, https://www.washingtonpost.com/news/morning-mix/wp/2018/05/01/its-just-a-dress-teens-chinese-prom-attire-stirs-cultural-appropriationdebate/?noredirect=on&utm_term=.526b0f6ce1d9.

(232) Julee Wilson, "Katy Perry Apologizes for Cultural Appropriation, Rocking Cornrows," "كاتي بيرى تعتذر عن الاستحواذ الثقافي: الجداول المصفورة" *Essence*, June 14, 2017, <https://www.essence.com/hair/katy-perry-apologizes-cultural-appropriation/>.

(233) Erin Jensen, "Vogue Apologizes for Kendall Jenner Photo with 'Afro': We 'Did Not Mean to Offend,'" "مجلة فوغ تعتذر عن صورة لـ كندال جينر بتسريحة 'شعر أفريقية': لم نقصد الإساءة" *USA Today*, October 23, 2018, <https://www.usatoday.com/story/life/entertainthis/2018/10/23/vogue-kendall-jenner-photo-afro-apology/1738143002/>.

صفائير.⁽²³⁴⁾ تشتمل الأمثلة الأخرى عن الغضب العارم الزائف بشأن الاستحواذ الثقافي المنبعث من أرض الجنون (حرم الجامعات) كل من إلغاء جامعة اوتاوا صف اليوغا⁽²³⁵⁾، وشعور مساعد مقيم في كلية بتزر بالغضب بسبب ارتداء أشخاص بيض أقراط هوب⁽²³⁶⁾، وأيضًا لن بانج، وهو طالب في جامعة ولاية لوزيانا الذي كتب مقالًا افتتاحيًا مقابلاً في صحيفة (*The Daily Reveille*) الطلابية صرح فيه أن تشخين الحواجب هو أحد أشكال الاستحواذ الثقافي.⁽²³⁷⁾

والهالوين حدثٌ محتشدٌ بالمصائد الخطرة للاستحواذ الثقافي

(234) Hailey Branson-Potts, "San Francisco State Investigating Confrontation over Man's Dreadlocks," ولاية سان فرانسيسكو تحقق في مواجهة بشأن صفائير "LA Times, March 29, 2016, <https://www.latimes.com/local/lanow/la-me-ln-sf-state-dreadlocks-20160329-story.html>.

(235) "University of Ottawa Yoga Class Cancelled over 'Oppression' Concerns Resumes—with Indian Teacher," استئناف صف اليوغا الذي الغته "جامعة اوتاوا بسبب مخاوف بشأن 'القمع' مع مدرس هندي *Canadian National Post*, January 26, 2016, <https://nationalpost.com/news/canada/university-of-ottawa-yoga-class-cancelled-over-concerns-about-oppression-resumes-with-indian-teacher>.

(236) Scott Jaschik, "Hoop Earrings and Hate," أقراط هوب والكرامية" *Inside Higher Ed*, March 15, 2017,

<https://www.insidehighered.com/news/2017/03/15/pitzer-students-debate-free-speech-student-safety-and-cultural-appropriation>.

(237) Lynne Bunch, "Opinion: Eyebrow Standards Makes Women Feel Ostracized, Ridiculed," رأي: معايير [تجميل] الحاجب تجعل النساء تشعر بالعار "والاستصغار" *L.S.U. Daily Reveille*, January 25, 2017, http://www.lsureveille.com/daily/opinion-eyebrow-standards-makes-women-feel-ostracized-ridiculed/article_180863ea-e2ad-11e6-afa8-335d23e10243.html.

والتعصب في الأردنية. وقد أخذت العديد من الجامعات على عاتقها تنبيه طلبتها الشباب إلى [ضرورة] أن يكونوا حساسين ثقافيًا عند اختيارهم للملابس في هذا الحدث - وأفضل دليل على ذلك ما حدث في جامعة ييل في عام 2015. إذ كتبت أريكا كرايستكيس، المحاضرة في علم النفس التطوري، رسالة إلكترونية في غاية الدماعة والتّهذيب إلى مجتمع ييل [الأكاديمي] تتساءل فيها إذا كانت التحذيرات المؤسسية المتعلقة بملابس عيد الهالوين فكرةً جيدةً، الشيء الذي أدّى إلى عاصفة هوجاء من الغضب العام لفشلها في إدراك مدى التعصب الذي قد تكون عليه هذه الملابس، لينتهي الأمر باستقالتها. لكنّ ذلك لم يُشبع الرغبة المدمرة لدى المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية الناشطين في الهالوين. يجب إراقة المزيد من الدماء، إذ تحولوا بعد ذلك إلى زوجها، (نيكولاس كرايستاكيس) الطبيب وأستاذ علم الاجتماع، وقاطعوا حديثه في أحد الحوارات. وعندما بات واضحًا أنه يعترض على موقفهم (لكنه كان راغبًا في المشاركة في الحوار)، شرعوا بشتمه وحاولوا إرهابه. إذ أعلن طالبٌ ساخطٌ في لحظةٍ ما: «إذن، لم، عليك اللعنة، قبلت بالمنصب [مدير قسم إسكان الطلبة في كلية سيليمان]؟ من اللعين الذي استأجرك؟ يجب عليك أن ترفض! إذا كان ذلك ما تظنه بشأن كونك مديرًا، عليك التّحّي! لا يتعلق هذا الأمر بخلق فضاء فكري! كلا، لا صلة له بهذا الأمر. هل تفهم ذلك؟ إنه يتعلق بإنشاء بيت هنا. وأنت لا تفعل ذلك!»⁽²³⁸⁾ إن

(238) Conor Friedersdorf, "The New Intolerance of Student Activism," *The Atlantic*, November 9, "التشدد الجديد للنشاطية بين الطلبة"

الهدف الرئيس للتعليم في جامعة ييل، على ما يظهر، ليس تطوير معرفة الفرد وقدراته الفكرية، بل خلق «فضاءات آمنة». اقتحم رجال شباب شواطئ نورماندي في عام 1944 سعيًا لمحاربة الشر الحقيقي على الرغم من مخاطر وفاتهم شبه المؤكدة. ويواجه المحاربون من أجل العدالة الاجتماعية اليوم شرور ملابس الهالوين والأساتذة الشياطين الذين يسمحون بتعصبٍ في الملابس مثل هذا أن يمر من دون رادعٍ ولا محاسبةٍ.

ولأني لست أبدًا من الذين يفوتون فرصةً للسخرية من المتفصصين طبيعيًا، نشرت مقطعًا في قناتي في اليوتيوب عرضت فيه ترخيصًا مؤقتًا لمن يرغب في الاستحواذ ثقافيًا على الأطباق التقليدية اللبنانية. (239) وناشدت، فضلًا عن ذلك، المتابعين لي كي يرسلوا تراخيصهم الثقافية المحددة مع صورة من جوازات سفرهم للتأكد من انتمائهم فعليًا إلى الثقافة التي يدعونها. وكانت الاستجابات مدهشةً في طابعها المسي والمُشجع من حيث تأكيدها أنه ما يزال هناك عددٌ لا يُحصى من العاقلين والمتزين الذين في وسعهم أن يروا عبر هذه الهستيريا الجماعية من الغضب العارم الزائف. (240) إن بقاء

2015, <https://www.theatlantic.com/politics/archive/2015/11/the-new-intolerance-of-student-activism-at-yale/414810/>.

(239) Gad Saad, "Get Your Lebanese-Jewish Cultural Appropriation Clearance Here!" *THE SAAD TRUTH* 465, June 15, 2017, YouTube video, <https://www.youtube.com/watch?v=aTIDS0sRBTc>.

(240) Gad Saad, "I've Received Global Cultural Appropriation Clearances!" *THE SAAD TRUTH* 464, لقد استلمت تراخيص استحواذ ثقافي عالمي.

الاستحواذ الثقافي مُسلطٌ فوق رأس الفرد يجعل من الصعب عليه تجربة الثراء الكامل الذي يوفره مجتمع متنوع الثقافات وتعددي.

وإذا كان هناك مثالٌ حقيقي قط على الاستحواذ الثقافي، فإنّ عضو مجلس الشيوخ (إليزابيث وارن) متهمَةٌ به. إذ إنها استحوذت حرفياً على الثقافة الأمريكية الأصلية وهضمتها بوصفها ثقافتها عن طريق بناء سردية زائفة عن أسلافها. كشف اختبار لاحق للجينات بأنها كانت في موقع ما بين 64 / 1 و 1024 / 1 أمريكية أصلية، مما يجعل انتماؤها إلى هذا السلف لا يختلف كثيراً عن انتماء أمريكي أبيض عادي. ومع ذلك، انتفعت السيناتورة من هذه السردية الزائفة عدة عقود في مسيرتها الأكاديمية والمهنية. إن حيلة (وارن) البارعة هي أحد مظاهر المونشهاوزن الجماعي بالإنابة. إنه التطفل على التاريخ المأساوي للأمريكيين من السكان الأصليين لكسب التعاطف والحصول على جميع الامتيازات الناجمة عن كونك «ضحية». وتُشكل (راشيل دوليزال) إحدى الحالات الأخرى للاستحواذ (العرقى) الثقافي. تذكر أن (دوليزال) هي امرأة بيضاء دأبت لعدة سنوات في تقديم نفسها بوصفها امرأة أفريقية أمريكية. وعندما انكشفت خدعتها، ذكرت أنها كانت متحولة عرقياً (فهي تعرف نفسها ذاتياً بوصفها امرأة سوداء على الرغم من أنها بيضاء). وأنا أتطلع إلى أن أشرح لطبيبي أنّي متحول جاذبية، أي، أنني أعرف نفسي بوصفي شخصاً نحيلاً على الرغم من الزيادة في وزني، متمنياً أن يكف عن

الإلحاح عليّ بشأن ضرورة إنقاص وزني. ومع الاستمرار في مناقشة موضوع 'التحول'، لدينا حاليًا تعبير القادر [التحول] الراجب بالعووق (tranabled) للإشارة إلى الذين يولدون سليمين وقادرين جسديًا لكنهم يرغبون في أن يكونوا مُعاقين؛ إنهم يستمتون في الظهور بمظهر الضحايا بحيث يُقدمون عمليًا على إحداث إعاقه في أجسامهم بإيذائهم لأنفسهم، وهي حالة ناشئة تُعرف باضطراب هوية سلامة الجسم.⁽²⁴¹⁾ وسواء أصطنع الأفراد سرديّة المظلومية الزائفة أو انخرطوا عمليًا في أفعالٍ تجعلهم معاقين، فهذه ليست مظاهر تدل على عقليات معافاة ومرتنة.

كتب (تال نتران) الذي كان طالبًا في مرحلة الدكتوراه في الجامعة العبرية، ورقة بحثية قبل بضع سنوات، فاز عنها بجائزة، تناول فيها

(241) Sarah Boesveld, "Becoming Disabled by Choice, Not Chance: 'Transabled' People Feel Like Impostors in Their Fully Working Bodies," أن تُصبح مُعاقًا اختياريًا، لا بالصدفة 'القادرون المتحولون الراجبون في العوق' يشعرون "كأنهم محتالين في أجسامهم القادرة والسليمة" *Canadian National Post*, June 3, 2015, <https://nationalpost.com/news/canada/becoming-disabled-by-choice-not-chance-transabled-people-feellike-impostors-in-their-fully-working-bodies>;

Tom Midlane, "Psychologist Blind Woman with Drain Cleaner—Because She Wanted to Be Disabled," طبيب نفسي يُععي امرأة بمنظف الأحواض لأنها "ترغب أن تكون مُعاقّة" *The Mirror*, October 1, 2015, <https://www.mirror.co.uk/news/real-life-stories/psychologist-blinds-woman-draincleaner-6552282>;

Anna Sedda and Gabriella Bottini, "Apotemnophilia, Body Integrity Identity Disorder or Xenomelia?" الولع ببت الأطراف السليمة، اضطراب هوية السلامة "Psychiatric and Neurologic Etiologies Face Each Other," المسببات المرضية النفسية والعصبية في مواجهة إحداها الآخر" *Neuropsychiatric Disease and Treatment* 10 (2014): 1255–65.

حوادث الاغتصاب التي يرتكبها أفراد جيش الدفاع الإسرائيلي ضد النساء الفلسطينيات. وكان الهدف من البحث، بلا أدنى شك، هو الكشف عن وباء الاغتصاب لإثبات كم كان هؤلاء اليهود الأشرار وحشيين وشياطين حقًا. وعندما لم يعثر الباحث على حقيقة تجريبية مثل هذه، خَلَصَ البحث (قد تحتاج إلى الجلوس بهدوء لتفكر بذلك) إلى استنتاج يُفيد أن هذا يُعدُّ دليلًا على المدى الذي يعمل فيه الإسرائيليون على حيونة الفلسطينيين.⁽²⁴²⁾ كانوا بغضين للغاية إلى حد أنهم لم يفكروا في أن المرأة الفلسطينية جديرة بالاغتصاب! وعليه، إذا أُمِيط اللثام عن حوادث الاغتصاب، أو لم يُستدل على حادثة واحدة، تبقى النتيجة واحدة: الإسرائيليون أشرار وشياطين. كل الطُّرق تؤدي إلى الجلد والمقت الذاتيين. إنها العلامة المميزة لأيّ «تقدمي» حقيقي.

وفي وسع تجار الغضب العارم الزائف لا أن يعزو وضع المظلومية للنساء الفلسطينيات لأنهن لم يتعرضن للاغتصاب فحسب، بل في وسعهم أيضًا تفسير التلطف، والعطف بوصفه أحد أشكال رهاب الإسلام. أجرت (أنيسة روحاني) تجربةً في جامعة كوينز: إذ ارتدت

(242) Hillel Fendel, "Heb. U. Paper Finds: IDF Has Political Motives for Not Raping," بحث في الجامعة العبرية ينتهي إلى أن لجيش الدفاع الإسرائيلي دوافع "سياسية لعدم الاغتصاب" Israel National News, December 23, 2007, israelnationalnews.com/News/News.aspx/124674#.Ve20vmC_vdt; Hen Mazzig, "An Israeli Soldier to American Jews: Wake up!" جندي إسرائيلي إلى " Times of Israel, October 10, 2013, "اليهود الأميركيين: أفيقوا! http://blogs.timesofisrael.com/an-israeli-soldiers-call-to-american-jews/.

حجابًا لثمانية عشر يومًا لدراسة ردود أفعال الناس حيالها. (243)
تمثلت الفرضية الفاعلة هنا، بلا أدنى شك، في أن التعصب والتّحيز
سيكونان شائعين للغاية. لكنها فوجئت بحقيقة تعامل الناس
اللطيف والمهذب للغاية معها. وفي محاولةٍ عجيبةٍ منها لإنقاذ سردية
المظلومية، استتجت أنيسة إن تصرفهم هذا يُظهر أن التسامح
والتّلفظ كانا وسيلةً يُبالغ بوساطتها الناس في التعويض عن
تعصبهم المضمّر. إذا كنت فظًا مع امرأة مسلمة، فأنت مُصاب
برهاب الإسلام. وإذا كنت لطيفًا معها، فأنت أيضًا مُصابٌ برهاب
الإسلام. أن تكون لطيفًا ومتسامحًا هو أحد أشكال التّحيز العرقي في
النظام البيئي للحرم الجامعي.

المحاربون من أجل العدالة الاجتماعية الذكور بوصفهم أوغادًا حقيرين

يتبع العديد من المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية الذكور، في
رغبتهم الدائمة في الظهور بمظهر المتقمصين للمشاعر والعطوفين
والحساسين، استراتيجية تزاوج مراوغة وثقتها أدبيات علم الحيوان
تحت مُسمى استراتيجية الوغد الماكر. ويتمثل هذا الوغد، بين حشود

(243) Anisa Rawhani, "Overt to Covert: What Spending 18 Days Covered with a Hijab Taught Me about Racism and Stereotyping," من العن إلى الخفاء: "ما الذي علمني قضاء ثمانية عشر يومًا في ارتداء الحجاب عن التمييز العرقي والتنميط؟" *Queen's University Journal*, March 14, 2014, <https://www.queensjournal.ca/story/2014-03-14/features/overt-overt/>.

البشر العاقلين، في حرم الجامعات على وجه الخصوص، في شخصٍ هو الأكثر لطفًا وتقدميةً إلى حد التباهي بها لأنه يظن أن تحليه بهاتين الصفتين قد تمنحانه فرصةً أفضل في أن يحظى بفتاةٍ جميلةٍ. وهذا الشيء مدعومٌ ببعض [البيانات] العلمية الصارمة والمقنعة.

يكشف الخداع عن وجهه بعدة طرائق مميزة في مملكة الحيوان. دعونا نبدأ بتطور إشارات التحذير الخادعة. فخلافاً لتطور التمويه (لتجنب الحيوانات المفترسة، فالتحذير اللوني أو الإشارة المنفرة هي تكييفٌ يجعل الحيوان مرئيًا تمامًا للمفترسين المحتملين. والأمازون منطقةٌ خطيرةٌ حيث يكون التخفي فعلاً حكيماً وضرورياً، ومع ذلك، طورت بضعة أنواع من الضفادع ألواناً براقاً وزاهيةً للغاية تؤدي وظيفةً معاكسةً تماماً. إذ تُخدم هذه الألوان غرض تحذير الحيوانات المحتمل اقترابها: «إذا كان بوسعك رؤيتي، فربما كان السبب أنك لا تريد العبث معي. أنا سامٌ. أبقى بعيداً عني». وستطور أنواعٌ حيةٌ مُسالمةً تماماً، في بعض الحالات، محاكاةً لهذا التحذير اللوني، وهو ما يُعرف بالمحاكاة الباتيسيانية.⁽²⁴⁴⁾ للأفعى المرجانية وأفعى الملك، في سبيل المثال، علامات متشابهة جداً ثلاثية الألوان هي (الأصفر والأحمر والأسود). وعلى الرغم من هذا التشابه، إلا أن الأولى (أي الأفعى المرجانية) سامةٌ للغاية، في حين تتصف الثانية أنها غير

(244) محاكاة باتيسيان: شكلٌ من أشكال المحاكاة، إذ تطورت أنواعٌ غير ضارة لتقليد الإشارات التحذيرية للأنواع الضارة تجنباً للوقوع ضحيةً للافتراس. سُميت الطريقة على اسم عالم الطبيعة الإنجليزي هنري والتر بيتس بعد دراسته للفراشات في الغابات المطيرة في البرازيل (المترجمة).

ضارة. وقد استُخدمت تقنيات تقوية الذاكرة لتذكر الاختلافات في علامات [اللونية] بين النوعين («الأحمر على الأصفر، يُقتل شخصٌ ما. أحمر على أسود، لا سم يوجد.»)⁽²⁴⁵⁾ وقد جادلت مازحًا إلى حد ما أن الشعر الملون لدى العديد من المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية (وهو الأحمر أو الوردى أو الأزرق المتوهج في الغالب) مشابه لأحد أشكال المحاكاة الباتيسيانية.⁽²⁴⁶⁾ إنه يمثل الشراسة الأيديولوجية.

والأشكال الأخرى من خداع الحيوانات لا حصر لها، من بينها التطفل على الأعشاش، عندما يستغل نوعٌ معينٌ من الحيوانات نوعًا آخر ليحضن ويربي له صغاره كما في حالة طائر الوقواق. وربما ليس مفاجئًا أن يكون التزاوج الميدان الذي يُسجل فيه الخداع القدر الأكبر من الانتشار. إذ ينطوي صراع الحياة العظيم، الذي تنخرط فيه جميع الأنواع التي تتكاثر جنسيًا، على ضرورة البقاء (الانتقاء الطبيعي) والتكاثر (الانتقاء الجنسي). وقد طورت الكائنات العضوية، من أجل التكاثر، عددًا مذهلاً من السمات المورفولوجية (الشكلية) والسلوكية بوصفها وسيلةً لتحقيق التواصل الجنسي مع شركاء محتملين. دعونا نضرب مثالًا الذكور البشر. إذ تُظهر النساء تفضيلًا

(245) Matthew M. Hessel and Scott A. McAninch, "Coral Snake Toxicity,"

"سمية الأفعى المرجانية" in *StatPearls* (Treasure Island, Florida: StatPearls Publishing, 2019). Available from

<https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK519031/>.

(246) Gad Saad, "Why Do Social Justice Warriors Have Colored Hair?" ما "السبب في حيازة المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية شعرًا ملونًا" *THE SAAD TRUTH* 505, September 10, 2017,

عالمياً للرجال الذين يكشفون عن إشارات تقترن بالمكانة الاجتماعية
 الرفيعة من مثل الذكاء والثقة والطموح والقدرة على تأمين المعيشة
 والدفاع عن الموارد والهيمنة الاجتماعية. وقلّة من النساء، على مدى
 تاريخنا التطوري، كُن مدفوعات بالاهتياج الجنسي إزاء احتمالية
 الزواج برجلٍ كسولٍ خاملٍ وكمثيري الشكّل وأخفّ الصوت
 وخانع وجبانٍ ومتدمر. وليس من المستغرب أن يسعى الرجال، في
 جميع الثقافات والعصور المعروفة، إلى الفوز بالمكانة بوصفها وسيلةً
 للتخلي بالجادبية في سوق التزاوج مع فعلهم هذا الشيء باعتماد مدى
 واسعٍ من المسارات التي تُعد دليلاً على مهاراتهم وظروفهم الحياتية
 الفريدة. إذ يغدو بعضهم رجال أعمال ودبلوماسيين ورياضيين
 محترفين وجراحين وأساتذة أو فنانيين ناجحين. وقد يختلف تعريف
 المكانة باختلاف الثقافات والمراحل الزمنية (فشهادة من جامعة
 هارفرد، مثلاً، لا تعني الكثير لقبيلة هادزا التّنزانية في أفريقيا)، بيد أن
 ما هو واضح عالمياً هو أن المكانة مهمةٌ للنساء عند اختيار الرجال.
 وقد يعمل الرجال في الحالات التي لا يتحلون فيها بالسّمات المرغوبة
 بمقولة: «تظاهر بالتخلي بها حتّى يتحقق المراد». وبطبيعة الحال،
 تنخرط النساء أيضاً في أشكالٍ تفوق الحصر من إرسال الإشارات
 الخادعة. فهن أكثر ميلاً إلى الكذب بشأن سنهن ووزنهن وتاريخهن
 الجنسي من أجل الظهور بمظهرٍ أكثر جاذبيةً في سوق التزاوج.
 وتتوفر بضعة منتجات لخداع نظرة الذكر من بينها حمالات الصدر
 الرافعة، والكعوب العالية التي تمنح النساء شكلاً أكثر شباباً عن
 طريق رفع أثدائهن وأردافهن، ومقاومة قوة الجاذبية المتهاوية.

والحقيقة القاسية هي تمثيل الخداع إحدى الإستراتيجيات المتعددة المتوفرة حين السعي للحصول على ميزة في الصراع من أجل الحياة.

ربما ليس هناك شكل، من بين أشكال الخداع في سوق التزاوج، أكثر عبقريةً في قدرته على الخداع من التكاثر بالسرقة (الكلبتوغامية- kleptogamy) (أي سرقة فرص التزاوج تحت ذريعة كاذبة). شهدت سبعينيات القرن العشرين ابتداء مصطلح في أدبيات سلوك الحيوان أكثر وضوحًا في المستوى العامي لغرض تفسير هذه الظاهرة. وهذا المصطلح هو إستراتيجية الوغد الماكر. يحدث ذلك عندما يتشبه بعض ذكور نوع حيواني بالإناث من ذلك النوع أو يقلدونهن في سلوكهن تجنبًا للتعرض للهجوم على يد الذكور المدافعين والمهيمنين، وبفعلهم هذا الشيء يكون بوسعهم سرقة فرص التزاوج.⁽²⁴⁷⁾ تتصف الأنماط الشكلية لنوعي الذكور، في العديد من الحالات، أنها ثابتة نسبيًا (بعضهم كبيرٌ ومُهيمنٌ وبعضهم الآخر أصغر وأكثر دماثةً). وهذا بالضبط ما يجعل الحبار القاعي الهائل الحجم خارقًا في أسلوب تنفيذه لإستراتيجية الوغد الماكر بما أن الذكور قادرون على تعديل الخصائص الطبيعية على الفور لمحاكاة السمات الشكلية للإناث.⁽²⁴⁸⁾ الأكثر غرابةً الذي لا يُصدق هو تغيير الحبار الذكر

(247) Emanuel J. Gonçalves *et al.*, "Female Mimicry as a Mating Tactic in Males of the Blenniid Fish *Salaria Pavo*," *Journal of the Marine Biological Association of the United Kingdom* 76, no. 2 (1996): 529

(248) Mark D. Norman, Julian Finn, and Tom Tregenza, "Female Impersonation as an Alternative Reproductive Strategy in Giant Cuttlefish,"

لشكل جسمه ولونه ليبدو مثل شكل جسمي الأنثى والذكر في آن معًا. وعلى وجه التّحديد، فإن الجزء الظاهر من جسمه للذكر المنافس يُحاكي الجزء المناظر في جسم الأنثى بينما يُرسل الجزء الآخر الظاهر أمام أنثى إشارات مغازلة ذكورية.⁽²⁴⁹⁾ إنه حديث عن خداع رفيع المستوى.

وإحاطتي بهذا الشكل من الخداع في التزاوج أفضت بي إلى تطبيق حيلة الوغد الماكر في سياقٍ بشري محددٍ. أفترض أن العديد من المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية الذكور شبيهون بالحبار القاعي الضخم. إذ أنهم يتسلحون بعُدّة ذكرٍ حساس ومسال لا يُشكل تهديدًا من طريق التزامهم الأيديولوجي الذي ينضح بالتقمص التّقدمي. وهذا، بمعنى من المعاني، مماثلٌ للشخص الحساس الذي يُصادق النساء ويُقدم لهنّ دعمًا عاطفيًا غير محدود على أمل أن يُثمر ذلك عن علاقة عاطفية في نهاية المطاف. كان (جون هيوز) مسؤولًا في ثمانينيات القرن العشرين عن إنتاج العديد من الأفلام الأيقونية التي تدور عن مرحلة المراهقة، من بينها ست عشرة شمعة، ونادي الفطور وإجازة (فريس بيولر) وجميلة في الوردية. (آندي والش) (التي أدت دورها مولي رنغوالد) في الفيلم الكلاسيكي الأخير هي مراهقة من

Proceedings of the Royal Society of London. Series B: Biological Sciences 266, no. 1426 (1999): 1347–49.

(249) Culum Brown, Martin P. Garwood, and Jane E. Williamson, "It Pays to Cheat: Tactical Deception in a Cephalopod Social Signalling System," من المفيد أن نفش: الخداع التخطيطي في نظام إرسال الإشارات الاجتماعي في الحيوانات Biology Letters 8, no. 5 (2012): 729–32.

الطبقة العاملة منجذبة عاطفياً لبلين ماكدونو (أدى دوره أندرو مكارثي)، وهو صبي ثري من الجانب المعروف الأفضل في المدينة. و(داكي) (حقق جون كراير الذي أدى دوره شهرةً متجددةً لاحقاً في المسلسل التلفزيوني رجلين ونصف)، صديق آندي المقرب، هو المثال المجسد للصديق الوغد الماكر. إنه دائبٌ في تقديم الدّعم العاطفي غير المحدود على أمل أن يُمنح في النهاية فرصته المستحقة في العلاقة العاطفية. وبالعودة إلى المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية الذكور، من الواضح أن أكثريتهم لا يشبهون أفراد قوات العمليات الخاصة (البحرية الأمريكية). وبعبارةٍ أخرى، إنهم لا يكشفون عن سمات مورفولوجية مقترنة بالضخامة الجسدية والهيمنة الاجتماعية. وثمة أدلة علمية متنامية تقول إن وجهات نظر الرجال الاقتصادية والسياسية (ما يفكرون به بشأن إعادة توزيع [الموارد] الاقتصادية والتدخل العسكري وغيرها من الموضوعات) ترتبط بقوتهم الجسدية. فالأقوى والأضخم جسدياً هم الأقل ميلاً إلى دعم المساواتية والأكثر ميلاً إلى دعم التدخل العسكري.⁽²⁵⁰⁾ وبصرف

(250) Aaron Sell, John Tooby, and Leda Cosmides, "Formidability and the Logic of Human Anger," *Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America* 106, no. 35 (2009): 15073–8;

Michael Bang Petersen *et al.*, "The Ancestral Logic of Politics: Upper-Body Strength Regulates Men's Assertion of Self-Interest over Economic Redistribution," *Psychological Science* 24, no. 7 (2013): 1098–103;

النظر عما إذا كان المحاربون من أجل العدالة الاجتماعية الذكور يؤمنون حقًا بمواقفهم الأيديولوجية المعلنة أم أنهم يخلقونها فحسب بوصفها إستراتيجية تزواج لدى الوغد الماكر، من الواضح أن خصائص الرجال الشكلية تعمل فعلاً بوصفها انعكاسًا لوجهات نظرهم الاجتماعية السياسية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

جلد الذات على مذبح التقديمية

ثمة دافعٌ آخر أو دافعان خلف التقديمية. فالعديد من المواقف التقديمية التي يتبناها المحاربون من أجل العدالة الاجتماعية هي أحد أشكال جلد الذات الرامية إلى التكفير عن «خطيئة أصلية» مفترضة (الأرجح لأنه غربي أبيض) وإظهار النقاء التقدمي الأيديولوجي التزيه. وبهذا المعنى، يُمكن النظر إلى تقديمية المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية، على الأغلب، بوصفها دينًا بديلًا عن المسيحية.

ما يزال فيلم (اسم الوردة) إلى حدّ هذا اليوم، أحد أفلامي السينمائية المفضلة في جميع الأوقات. إنه يصور (شين كونري)

Michael E. Price *et al.*, "Is Sociopolitical Egalitarianism Related to Bodily and Facial Formidability in Men?" "هل للمساواتية الاجتماعية السياسية علاقة؟" *Evolution and Human Behavior* 38, no. 5 (2017): 626–34;

Michael Bang Petersen and Lasse Laustsen, "Upper-Body Strength and Political Egalitarianism: Twelve Conceptual Replications," "قوة الجزء العلوي" *Political Psychology* 40, no. 2 (2019): 375–94.

و(سليتر) المسيحي الشاب مُحاطين بطاقيمٍ عظيمٍ من شخصيات القرون الوسطى. تقع أحداث القصة في القرن الرابع عشر في دير بينديكتي إيطالي حيث توفي عددٌ من الأشخاص مؤخرًا في ظروفٍ غامضة. إنها حبكة 'من فعل ذلك' كلاسيكية إزاء خلفية من الحماس الديني في القرون الوسطى تحت العيون الساهرة دائمةً لسلطات محاكم التفتيش المتنفذة. أكثر من ثلاثين عامًا انصرفت منذ أن شاهدت هذا الفيلم الرائع أول مرة، ومع ذلك، ما تزال العديد من مشاهد الأيقونية المذهلة عالقةً في ذاكرتي، ومنها على وجه الخصوص المشهد الذي يصور (بيرنغاريو دا أوروندال) مساعد أمين المكتبة، وهو يجلد نفسه كتكفيرٍ عن مثليته الجنسية واقراره ذنب التَّسبب بانتحار (أدلو دا أوترانتو) (الذي مارس معه الجنس للحصول على كتابٍ يرغب به). يوجد المبدأ اللاهوتي الذي يقول إنَّه في وسع المرء أن يُكفر عن ذنوبه بأشكالٍ متنوعةٍ من تعذيب النفس (من بينها جلد الذات) في تقاليد دينيةٍ كثيرةٍ. ينخرط المسوطنون (الذي يضرب نفسه بالسَّوط) الكاثوليك في العصور الوسطى في جلد ذات علني للتكفير عن ذنوبهم وأيضًا بوصفه فعلًا مرئيًا على التَّقوى الفائقة (وأحيانًا لدرء المصائب العظمى مثل الموت الأسود). ورغم أن الإعلان عن النقاء والالتزام الدينيين بهذه الطَّريقة مُكلفٌ ومعوقٌ، إلا أن جلد الذات على مرأى من الناس يُسهم في جعل فضيلة المرء ونزاهته أكثر وضوحًا من ترديد صلاة السَّلام الملائكي أو السَّلام عليك يا مريم

والمحاربون من أجل العدالة الاجتماعية ومن لف لفهم من إخوتهم التّقدميين هم إجمالاً من الغربيين البيض المحظوظين والتميزين. وهذا في ضوء رؤيتهم الشّائهة للعالم، شبيهة بأن تولد حاملاً الذّنب الأصلي مثلما تفترض العقيدة المسيحية. ويجب عليهم أن يكفروا عن خطيئة أنهم لم يولدوا فقراء وملونين في العالم الثالث؛ ولهذا، فإنهم قد يسعون للتكفير عن الذّنوب في حياة جلدٍ أيديولوجي للذات. وبدلاً من استخدام سوطٍ أو زنجيلٍ لإيقاع الأذى بالنفس، فإنهم يتبنون عقلية تقدمية مؤذية لهم ولمجتمعهم في النّهاية. خذ مثلاً أخلاقيات التّسامح غير المحدود. وقدم الفيلسوف العظيم كارل بوبر ما يُمكن عدّه التّعبر الأفضل عن عقلية مثل هذه.

مفارقة التّسامح أقلُّ شهرةً: لا يُشك في أن التّسامح غير المحدود سيؤدّي إلى تلاشيه، أي التّسامح. فإذا تعاملنا بتسامحٍ غير محدودٍ حتّى مع عديمي التّسامح، وإذا لم نكن مستعدين للدفاع عن مجتمعٍ متسامحٍ ضدّ هجوم المتعصبين وغير المتسامحين، فإنّ المتسامحين سيُدمرون ويُقضى عليهم، وسينتهي التّسامح معهم. إنني، في قولي هذا، لا ألح، مثلاً، إلى أننا يجب أن نقمع دائماً الإفصاح عن الفلسفات غير المتسامحة، فطالما بقدرتنا التصدي لها بالحجة العقلانية وإبقائها

(251) Richard Sosis, "Why Aren't We All Hutterites? Costly Signaling Theory and Religious Behavior," نظرية إرسال هوتريتيين: إرسال الإشارات "المكلفة والسلوك الديني Human Nature 14, no. 2 (2003): 91-127.

ختان الذكور هو طقس ديني آخر يمثل إرسال إشارة مُكلفاً

تحت السيطرة عن طريق الرأي العام، فإن المؤكد هو أن القمع سيكون [إجراء] غير حكيم. لكن علينا المطالبة بـ 'الحق' في قمعها ولو بالقوة إذا اقتضى الأمر ذلك؛ لأنه قد يتبين، بسهولة ويسر، أنهم غير مستعدين لمواجهةنا في مستوى الحجة المنطقية؛ ولذا، يبدووا بإدانة جميع الحجج؛ وقد يمنعون أتباعهم من الإصغاء إلى الحجة العقلية، لأنها مخادعة، ويعلمونهم الرد على هذه الحجج باستخدام قبضات أيديهم أو مسدساتهم. ولذا، علينا، باسم التسامح، أن ندعي الحق بعدم التسامح مع المتعصبين والمتحجرين. (252)

إن التسامح اللامتناهي يؤدي بالحكومات الغربية إلى إظهار التحفظ في مطاردة مقاتلي الدولة الإسلامية العائدين ومعاقتهم في نهاية الأمر. بل إنها تسعى إلى إعادة إدماج هؤلاء المتوحشين في مجتمعاتنا بتقديم فرص العمل لهم وتسجيلهم في برامج «التخلص من نزعة التطرف». وبكلمات (آيان هرسبي علي) التي كافحت للتشدد الإسلامي: فإن «التسامح مع التعصب والتشدد هو جبن».

كان (بيتو أوروك) من بين عددٍ هائلٍ من المرشحين الساعين للترشح عن الحزب الديمقراطي في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في 2020، وهو يُمثلُ خير تمثيلٍ عقلية المحارب من أجل العدالة الاجتماعية الذكر. إذ تشكلت حملته الانتخابية أساسًا من جولة اعتذار مضحكة لجلد الذات، إذ اعتذر لكونه ذكرًا وأبيض وفي وضع

(252) Karl Popper, *The Open Society and Its Enemies*, المجتمع المنفتح وأعداؤه, rev. ed. (New York: Routledge, 2002), 668.

متميز. وأعلن أن بعضًا من أسلافه كانوا يملكون العبيد، وهو اعتراف بالذنب ناجم عن الرابطة المشتركة بين الأجيال. وبينما كنا نُشاهد واحدًا من اعترافاته بـ «الذنب» المنتجة في البرنامج التلفزيوني ثقيل الظل (The View)، استدارت زوجتي نحوي وقالت إنها لا تستطيع أن تفهم السبب الذي يجعل أي شخص يصوت لصالح «بيتو الأقل هيمنة». وهنا يكمن الاختلاف بين المُسوّطين (جالدي الذات) التّقدميين وبقية الناس. فما يحسبونه فاضلاً وتقياً بتأملٍ وتعمقٍ ذاتيين، نحسبه ضعيفاً وكارهاً للذات. لا يجب على أي قائد يُظهر سمات جبانة ورخوة مثل هذه - وبالتأكيد لا يجب على أي أحد يأمل في تولي أحد أقوى المناصب في العالم - أن يفعل ذلك.

المقتُ الذّاتي بلاء يجتاح الكثير من الناس، وهو فكرةٌ متكررة الحضور في العلاج النفسي حيث الهدف هو تغيير عقلية الناس بطريقة تجعلهم يطورون إحساسًا سليماً بالجدارة الذّاتية. هناك عددٌ يفوق الحصر من كتب المساعدة الذّاتية تتصدى لهذا المرض بأساليبٍ متنوعة. يتتقد برنامج المنوعات التّلفازي (ساتردي نايت لايف) Saturday Night Life وباء المقت الذّاتي في العرض السّاحر التّوكيدات اليوميّة مع ستيوارت سمولي الذي يقدمه آل فرانكن (السّيناتور من ولاية مينوستا الذي استقال في 2018 في خضم هستيريا حركة #أنا أيضًا). وتُعد «أنا جيد بما فيه الكفاية، أنا ذكي بما فيه الكفاية، وتبًا لذلك، الناس يحبونني»، على الأغلب، العبارة الآسرة الأكثر شهرةً في هذا المسلسل. وعلى الرّغم من الطّابع الهزلي لهذه الفقرة، ليس لطبيب نفسي سريري كفاء في عمله أن يفترض أن

المقت الذّاتي حالةٌ مستحسنةٌ ومرغوبٌ بها. وهذا يقع في قلب التناقض المذهل الذي يواجهه الغرب: فبينما يعلم الليبراليون أن قهر المقت الذّاتي في المستوى الفردي هو من الفضائل، إلا أنهم يظنون أن التمرغ فيه في مستوى الجماعة هو من الفضائل كذلك: (أكره هويتي البيضاء؛ «أكره ثقافتي الغربية؛ أكره أصولي المسيحية»). يُمكن النظر إلى سياسة فتح الحدود العجيبة التي تبنتها المستشاراة الألمانية (أنجيلا ميركل) وحصل بموجبها قرابة المليون مهاجر مسلم على الأذن بدخول ألمانيا بوصفها جلدًا للذات على ما ارتكبه البلاد من انتهاكات تاريخية. هل ثمة وسيلة أمثل، [لا سيما] إذا كانت متداخلة مع اختبار تقدمي نموذجي، للتعويض عن الهولوكوست من السماح «لللاجئين» الذين كانوا يظهرون كراهية وحشية لليهود؟⁽²⁵³⁾ وثمة شكلٌ مشابهٌ من جلد الذات في أوساط التّقدميين الأمريكيين عندما يتصل الأمر بأزمة الهجرة غير الشرعية الحالية في حدود الولايات المتحدة. ما الذي يدفع الناس في أمريكا الوسطى إلى القدوم إلى الولايات المتحدة؟ لأنّ الولايات المتحدة، وفقًا للمحاربين من أجل العدالة الاجتماعية ومن على شاكلتهم، تسببت في انهيار مجتمعاتهم بتدخلها الإمبريالي [في شؤونهم]. ولذا، وفي تعويض جالدٍ للذات، نحن مدينون للمهاجرين غير المسجلين النبلاء بالدخول الحر إلى

(253) لمناقشة الجالدين للذات في العالم الغربي، أنظر:

Pascal Bruckner, *The Tyranny of Guilt: An Essay on Western Masochism* (Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 2010). مقالٌ في المازوخية الغربية

الولايات المتحدة.⁽²⁵⁴⁾ وخطى (بيتو أوروك) خطوة أكثر نجاحًا من ذلك، إذ ذكر أن الناس من أمريكا الوسطى كانوا يفرون من العواقب المدمرة للتغير المناخي - والولايات المتحدة هي المجرم الرئيس المفترض. كل الطرق تؤدي إلى الجلد الذاتي. إنه المسار التقدمي الوحيد للخلاص والتكفير عن الذنوب.

وتؤدي الاستجابة للجلد الذاتي الجماعي إلى دفع العديد من المرشحين للانتخابات الرئاسية لعام 2020 عن الحزب الديمقراطي إلى الإعلان عن دعمهم لتقديم التعويضات للأمريكيين من أصل أفريقي، وتذللهم أمام مُحكمين أخلاقيين عظماء من أمثال آل شاربتن. وسعت عضو مجلس الشيوخ (إليزابيث وارن) من نطاق نقاش التعويضات ليشمل الأزواج المثليين. وقد انتهز بعض التجار المستثمرين للمظلومية هذه الفرصة. إذ نظم كامرون وتن ساعة التعويضات السعيدة في بورتلاند، ولاية أوريغون (هل هناك مكان أفضل؟)، حيث يدفع البيض كلفة الشراب للسود والسممر والأفراد من السكان الأصليين مع أنهم لا يحضرون هذه المناسبة؛ لأن

(254) قد يؤدي استخدام عبارة مهاجر غير شرعي عَرَضًا في مدينة نيويورك إلى غرامة تبلغ مئتين وخمسين ألف دولار.

Christopher Brito, "New York City's Anti-Discrimination Policy Warns against Terms Like 'Illegal Alien,'" سياسة مكافحة التمييز الجديدة في مدينة نيويورك تُحذر "من استخدام عبارات مثل مهاجر غير شرعي October 1, 2019, <https://www.cbsnews.com/news/new-york-illegal-alien-city-law-fine-hatred-freedom-of-speech/>.

وجودهم الأبيض قد يكون مزعجًا للغاية.⁽²⁵⁵⁾ وإذا لم يُكفر دفع تكلفة الشراب عن ذنبك الأبيض، يُمكنك التّسجيل في برنامج السّباق إلى العشاء الذي يجب عليك بموجبه أن تدعو امرأتين ملونتين، (رجينا جاكسن) و (سايرا راو) إلى العشاء كي تشهد شعورهن بالألم.⁽²⁵⁶⁾ وإذا ظهر أن تقديم الأشربة ووجبات العشاء لا تكفي في التّخفيف من شعورك بالذّنب الأبيض، يُمكنك التّسجيل في حلقة نقاشية عن اليوغا في سياتل لتطهير نفسك من لون بشرتك الأبيض.⁽²⁵⁷⁾ فرت عائلتي من القتل في لبنان، وهربنا من العبودية في مصر القديمة. ما مقدار التّعويضات التي استحقها؟

وابتغاء مناصرة مواقفهم غير العقلانية الدائمة وفي الوقت نفسه المحافظة على التّجهم في وجوههم، يجب على المحاربين من أجل العدالة الاجتماعية أن يتجاهلوا الواقع ويُنكرونه أو يرفضونه. أضحت التّقدمة عدوًّا للعقل.

(255) Daniel Victor, "Reparations Happy Hour' Invites White People to Pay for Drinks," *New York Times*, April 26, 2018, <https://www.nytimes.com/2018/05/26/us/reparations-happy-hour-portland.html>.

(256) Regina Jackson and Saira Rao, "White Women: Let's Talk about Your Racism and Your Complicity," *Mission, Race2Dinner.com*, <https://race2dinner.com>.

(257) "Undoing Whiteness," Rainier Beach Yoga, <https://www.rainierbeachyoga.com/undoing-whiteness/>.

الفصل السادس

التخلي عن العقل

متلازمة النعامة الطفيلي

«يُفضلُ أكثريةُ النَّاسِ إنكارَ حقيقةِ مؤلَّةٍ على مواجهتها».

(جورج ريموند ريتشارد مارتن) (258)

«الطريقة الأسهل لحل مشكلةٍ هي في إنكار وجودها».

(إسحاق أزيروف) (259)

«بوسع الدماغ البشري أن يحمينا من رؤية ما، والشعور بما، يتصور أنه قد يكون مزعجًا للغاية بحيث يتعذر علينا تحمله. بقدرة الدماغ أن يقودنا إلى إنكار شيء ما لا يتوافق مع وجهة نظرنا في العالم أو الدفاع عنه أو التقليل من شأنه أو تبريره عقلاً».

(باندي أكس لي) (260)

(258) George R. R. Martin, *A Game of Thrones: Book One of a Song of Ice and Fire* (New York: Bantam Books, 2019), 105, 222, 647.

(259) Isaac Asimov, *The Gods Themselves* (New York: Bantam Books, 1990), 239.

(260) Bandy X. Lee, *The Dangerous Case of Donald Trump: 27 Psychiatrists and Mental Health Experts Assess a President* (New York: Basic Books, 2017), 7.

يجب أن يدور العلم حول السعي إلى الحقيقة، لا الدفاع عن الأيديولوجية السياسية المفضلة لدى المرء أو معتقداته الشخصية. كان (ريتشارد ليونتن) والراحل (ستيفن جي غولد) وهما من علماء جامعة هارفرد المعروفين، من النقاد المتشددين لعلم الأحياء (البايولوجيا) الاجتماعي، المُبشر بعلم النفس التطوري؛ والسبب في جزء منه يعود إلى مخالفته لوجهات نظرهم الماركسية. وبات موقفهم العدائي نحو زميلهم في هارفرد، إداورد أوزبورن ولسن، أحد الشخصيات البارزة في البايولوجيا الاجتماعية، جزءاً من حربٍ ثقافيةٍ أعظم سُنت على حرم الجامعات في سبعينيات القرن العشرين.⁽²⁶¹⁾ مع ذلك، من المحتمل أن الصدام الأكبر بين الماركسية والعلم حدثَ بتدبيرٍ من الخبير الزراعي تروفم ليزنكو⁽²⁶²⁾ الذي أنكر الآليات المعروفة للوراثة (الوراثة المندلية-نسبة إلى عالم الأحياء، جورج مندل)، واقترح، بدلاً عنها، نظرياته العلمية الزائفة التي نُظر إليها بوصفها متوافقة مع مبدأ الجماعية أو المشاعية. وبفضل مقترحه

(New York: St. Martin's Press, 2017), 273. وعشرون من علماء النفس وخبراء الصحة العقلية يُقيمون حالة الرئيس

اللافت أن المعالجة النفسية المعنية هنا تعاني، على ما يبدو، من [متلازمة] مونشهاوزن جماعية فيما يتصل بدونالد ترامب.

(261) Ullica Segerstråle, *Defenders of the Truth: The Sociobiology Debate* (New York: Oxford University Press, 2001). المدافعون عن الحقيقة: سجل علم الأحياء الاجتماعي

هل هناك (262) Dominique Lecourt, *Proletarian Science? The Case of Lysenko* (London: NLB, 1977); علم بروتيتاري؟ قضية ليزنكو

Valery N. Soyfer, *Lysenko and the Tragedy of Soviet Science* (New Brunswick, New Jersey: Rutgers University Press, 1994). ليزنكو ومأساة العلم السوفيتي

هذا، نال (ليزنكو) في ظل حكم (ستالين) نفوذًا سياسيًا وعلميًا هائلًا منحه القدرة على إنزال عقوبات شديدة بالعلماء السوفيات المعارضين الذين تجرؤوا على نقد دجله وزيفه. إن إنكاره للنظريات الراسخة في الوراثة تجاوزت حدود قتل الحقيقة. إذ أدت إلى ممارسات زراعية في الاتحاد السوفيتي والصين، يُمكن القول إنها أسهمت في هلاك ملايين من البشر.

وتمثل النشاطية المناهضة للقاح نسخةً حديثةً من (الليزنكوية) فقد نشر (أندرو ويكفيلد) في 1998، ورقةً بحثيةً في مجلة (The Lancet) الطبية الرائدة (سُحبت الورقة منذ ذلك الحين) يُفترض أنها تظهر صلةً ما بين لقاح الحصبة والنكاف، والحصبة الألمانية من جهةٍ والتّوحد من جهةٍ أخرى. وقد شكلت هذه الورقة حافزًا قويًا للحركة المناهضة للقاح التي برزت [بعد ذلك] وتزعمها عددٌ من مشاهير هوليوود، منهم على وجه الخصوص الممثلة (جينى مكارثي) الذي يعاني ابنها من التّوحد. قليل من الآباء مستعدون لتقبل أن طفلهم قد يكون ولدًا بميلٍ أو قابليةً للتّوحد. وإلقاء اللوم على عاملٍ بيئي مريحٌ أكثر من النّاحية النفسية. وهذا الشّيء مغوٌّ للغاية لا سيّما في حالة التّوحد التي تُشخص غالبًا في الوقت نفسه تقريبًا الذي يتلقى فيه الأطفال لقاح الحصبة والنكاف والحصبة الألمانية، مما دفع بعض الآباء إلى تخيل وجود صلةٍ وهميةٍ بين الحداثين، وحتى استنتاج، وهذا ما يأملونه، أنه إذا كان اللقاح «يُسبب» التّوحد، فقد تكون هناك طريقة سهلة لإصلاح هذا الوضع.

كان طبيبُ الأطفال وعالم الفيروسات (بول أ. أوفت) في صدارة من تصدى للمناهضين للقاح، إذ ألف بضعة كتبٍ تناول فيها مخاطر إنكار علم اللقاح والاعتماد على المشاهير والسياسيين في الحصول على التوصيات الصحية.⁽²⁶³⁾ وقد وجد الباحثون أن قرابة النصف من النصائح المقدمة في برامج مثل برنامج الدكتور (أوز) وبرنامج الأطباء إما لا أساس علمي لها، وإما مناقضة للأدلة العلمية المتوافرة.⁽²⁶⁴⁾ وتناولت واحدة من أكثر المقالات البحثية شهرةً في مجلة علم النفس اليوم مشكلة المشاهير الذين يخوضون في المسائل العلمية.⁽²⁶⁵⁾ وإذا قررت شريحة كبيرة من السكان الامتناع عن تلقيح

(263) Gad Saad, "My Chat with Infectious Diseases Specialist Paul Offit," "حديثي مع الاختصاصي بالأمراض المعدية," *THE SAAD TRUTH* 1030, April 9, 2020, YouTube video, https://youtu.be/xY_oO31Gfu0;

Paul A. Offit, *Deadly Choices: How the Anti-Vaccine Movement Threatens Us All* (New York: Basic Books, 2011);

Paul A. Offit, *Autism's False Prophets: Bad Science, Risky Medicine, and the Search for a Cure* (New York: Columbia University Press, 2008);

Paul A. Offit, *Bad Advice: Or Why Celebrities, Politicians, and Activists Aren't Your Best Source of Health Information* (New York: Columbia University Press, 2018).

(264) Christina Korownyk *et al.*, "Televised Medical Talk Shows—What They Recommend and the Evidence to Support Their Recommendations: A Prospective Observational Study," *British Medical Journal* 349, no. 7346 (2014).

(265) Gad Saad, "The Narcissism and Grandiosity of Celebrities," *Psychology Today*, June 15, 2009,

أطفالها؛ لأنّ جيني مكارثي قد شاركتهـم «الحقيقة الخاصة بها»، فنحن أمام مشكلةٍ. لدينا حكايات شخصية بإزاء العلم، بعواقب وخيمة ومميّـة على الأغلب، إذ يُعرض الأطفال، بلا معنى ولا فائدة، إلى فيروسات خطيرة. وبوسعنا، عن طريق التّشديد على الإجماع العلمي ضد الجدل المناهض لللقاح، أن نعكس هذا التّجسيد الخطر لإنكار العلم. (266)

مـلازمة النّـعامـة الطّـفـيليـة

تمتدّ الرّغبة في إنكار الواقع، بلا شكّ، إلى ما هو أبعد من العلم. فقابلية البشر على الخداع (وخداع الذات) هائلة، والواقع أن بعض العلماء يظنّون أن أحد الأسباب التي جعلت الذّكاء يتطور بالطّريقة التي تطور بها هو كي نتمكن، بنجاح، من التّلاعب بالآخرين. (267)

<https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homo-consumericus/200906/the-narcissism-and-grandiosity-celebrities>.

(266) Sander L. van der Linden, Chris E. Clarke, and Edward W. Maibach, "Highlighting Consensus among Medical Scientists Increases Public Support for Vaccines: Evidence from a Randomized Experiment," "تأكيد الاتفاق العام" *BMC Public Health*, 15, no. 1207 (2015),

<https://bmcpublikealth.biomedcentral.com/articles/10.1186/s12889-015-2541-4>.

(267) Richard W. Byrne and Andrew Whiten, ed., *Machiavellian Intelligence: Social Expertise and the Evolution of Intellect in Monkeys, Apes and Humans* الذكاء الميكافيلي: الخبرة الاجتماعية وتطور الذكاء عند القروود والسعادين (Oxford: Clarendon, 1988);

وقد طوّرنَا، ابتغاء خدمة مقصد تلاعبي مثل هذا، نزوعًا موازيًا إلى خداع الذات الذي يجمينا من الكشف عن غشنا وتدليسنا. (268) والخطوة الأولى لكي تكون كاذبًا بارعًا هو أن تُصدّق الكذبة. وبينما تُثمر هذه الأسباب المبنية تطوريًا المُعللة للخداع مزايا تكيفية، ثمة شكلٌ واحدٌ من أشكال خداع الذات يبدو متفردًا نسبيًا. إذ إننا نُنكر، في بعض الأحيان، حقائق واضحة مثل وضوح وجود القمر. وقد لحظ (سيغموند فرويد) مؤسس علم النفس، قدرة البشر على قمع المعلومات المُزعجة وأشار إليها بوصفها «سياسة النّعمة». (269)

ووثق تأثير النّعمة البشري هذا - المبني على الصّورة المُضحكة لنعماء تدفن رأسها في الرّمْل لتجنّب الحقائق المؤلمة (وهو سلوك لا تسلكه النّعمة فعليًا في الطبيعة) - في العديد من السياقات، بما فيها الاستشارات المالية. (270) عندما علمت، قبل بضع سنوات، أن

Andrew Whiten and Richard W. Byrne, eds., *Machiavellian Intelligence II: Extensions and Evaluations* (Cambridge, United Kingdom: Cambridge University Press, 1997).

(268) Robert L. Trivers, *Social Evolution* (Menlo Park, California: Benjamin/Cummings, 1985);

Robert L. Trivers, *The Folly of Fools: The Logic of Deceit and Self-Deception in Human Life* (New York: Basic Books, 2011).

(269) Sigmund Freud, *The Interpretation of Dreams* (rev. ed., trans. James Strachey (1955; repr., New York: Basic Books 2010), 596.

(270) Thomas L. Webb, Betty P. I. Chang, and Yael Benn, "The Ostrich Problem: Motivated Avoidance or Rejection of Information about Goal Progress," *Social and Personality Psychology Compass* 7, no. 11 794-807;

مسمّات الفكرة كانت تؤدّي بالمزيد من الناس إلى رفض الواقع،
ابتدعت مصطلح متلازمة النّعمة الطّفيّلي (OPS). وفي أدناه طريقي
في تعريف هذا الهجوم المفزع على العقل:

يتسبّب هذا الاضطراب في رفض الشّخص للوقائع الواضحة
وضوح وجود الجاذبية في الحالات الأخرى. إن المصابين بمتلازمة
النّعمة الطّفيّلي لا يصدقون عيونهم الكاذبة. بل إنهم يشيدون واقعا
بديلا يُعرف بمملكة وحيد القرن Unicornia. في عالم مثل هذا،
يكون الرّفص التّام هو نصيب العلم والعقل، وقواعد السّببية
والعتبات الاستدلالية وكمية البيانات غير المحدودة نسبيا،
وإجراءات تحليل البيانات والإحصائيات الاستنتاجية، والقواعد
المعرفية (الايستمولوجية) المتجذرة في المنهج العلمي، وقواعد المنطق
والأنماط التّاريخية والفِطرة السّليمة. بدلا من ذلك، تتجذر
الهلوسات الوهمية للمصاب بهذه المتلازمة في ارتباطات مُضلّلة
وصلات سببية غير موجودة وترهات تقديمية مُبهجة. يتحقق منطق
النّعمة دائما عن طريق الشّعور بالتّفوق الأخلاقي الفارغ.⁽²⁷¹⁾

Niklas Karlsson, George Loewenstein, and Duane Seppi, "The Ostrich Effect: Selective Attention to Information," "تأثير النّعمة: العناية الانتقائية بالمعلومات," *Journal of Risk and Uncertainty* 38, no. 2 (2009): 95–115;

Dan Galai and Orly Sade, "The 'Ostrich Effect,' and the Relationship between the Liquidity and the Yields of Financial Assets" "تأثير النّعمة والعلاقة بين السيولة النّقديّة وعوائد الموجودات الماليّة" *Journal of Business* 79, no. 5 (2006): 2741–59.

(271) Gad Saad, "Most Dangerous Global Virus: Ostrich Parasitic Syndrome," "الفايروس العالمي الأكثر خطرا: متلازمة النّعمة الطّفيّلي" *THE SAAD*

زرتُ ذات مرّة طبيباً لإصابتي بنوبات متكررة من التهاب القصبات الشعبي. وكان الطبيب يدخن بشراهة في أثناء وجودي في عيادته، فسألته فيما إذا كانت فكرة جيدة أن يُدخن في أثناء علاجه لمُصابٍ بالرّبو يُعاني من التهابٍ في القصبات؛ لكنه حاول أن يُغير الموضوع بالمزاح. أسردُ هذه القصة لتذكير النَّاس أن الخبراء ليسوا مُحصنين أمام سوء التّقدير، والخطأ في التّفكير. وبغضّ النظر عن صياغتي لمصطلح متلازمة النّعامة الطّفيلي، فقد استسلمتُ شخصياً لمنطق النّعامة؛ لأنني فكرت أنّي إذا تجاهلت الزيادة في وزني، فإنّ هذا الأمر سينتهي من تلقاء نفسه (بدلاً من جعلني أثقل وزناً بثلاثين رطلاً).

ستُ درجات من السّبيّة الزائفة

يستسلمُ المصابون بمتلازمة النّعامة الطّفيلي لنطاقٍ واسعٍ من التّحيزات المعرفية متخذين منها وسيلةً لحمايتهم من الواقع. ويتمثل أحد هذه التّحيزات في عزو شبكة وهمية من التّرابط بين المتغيرات. تنتظم العديد من الظواهر المهمة في حياتنا اليومية بوصفها شبكات⁽²⁷²⁾، سواء أكانت ظواهر عالمية صغيرة (التّواصل بين

TRUTH104, December 6, 2015, YouTube video,

https://www.youtube.com/watch?v=1eXGj_RnGS4.

(272) Albert-László Barabási, *Linked: How Everything Is Connected to Everything Else and What It Means for Business, Science, and Everyday Life* مترابط: كيف ترتبط الأشياء جميعاً فيما بينها وما يعنيه ذلك للأعمال والعلم والحياة اليومية (New York: Plume, 2002).

البشر)،⁽²⁷³⁾ أم الأعصاب في أدمغتنا (المتصلة بإحداها الآخر عن طريق الوصلات العصبية) أم شبكة الإنترنت العالمية، أم شبكات القوة الكهربائية أم شبكات التواصل الاجتماعي (مثل الفيس بوك) أو الأنظمة الأحيائية.⁽²⁷⁴⁾ إن تشكل عالمنا من عددٍ لا حصر له من العناصر المترابطة قد أدى إلى ما يُعرف بتأثير الفراشة، أي فكرة أن اضطرابًا صغيرًا في الظروف الأولية لنظامٍ ما يُمكنها أن تؤدي إلى تأثيرات جوهرية بعيدة المدى.⁽²⁷⁵⁾ وبينما لا خلاف على حقيقة أن عالمنا مؤلفٌ من شبكات تفوق الحصر من الأجزاء المترابطة، إلا أن المشكلة تنشأ عندما يُشيد الناس شبكات من السببية الزائفة لتفسير ظاهرة معينة.

إذ وجد بيل ناي (الذي يصف نفسه بـ «رجل العلوم») في عام 2015، مثلًا، وسيلةً لربط هجوم إرهابي إسلامي في باريس بالتغير المناخي، إذ قال:

من المنطقي للغاية [أن نستنتج] أن المشكلة الأخيرة في باريس هي

(273) Jeffrey Travers and Stanley Milgram, "An Experimental Study of the Small World Problem," *Sociometry* 32, "دراسة تجريبية لمشكلة العالم الصغيرة", no. 4 (1969): 425–43.

أنظر أيضًا:

Duncan J. Watts, *Six Degrees: The Science of a Connected Age*: ست درجات: علم عصر مترابط (New York: W. W. Norton, 2003).

(274) Edwin Wang, ed., *Cancer Systems Biology* السرطان أنظمة الأحياء (Boca Raton, Florida: CRC Press, 2010).

(275) "Chaos at Fifty," "فوضى عند الخمسين," *Physics Today*, May 1, 2013, <https://physicstoday.scitation.org/doi/10.1063/PT.3.1977?journalCode=pt> o.

نتائج للتغير المناخي. ثمة نقصٌ في إمدادات المياه في سوريا - هذا مبني على حقيقة - إذ هجر صغار المزارعين، وذوو المستوى المتوسط، مزارعهم لعدم توفر الماء الكافي، وعدم سقوط القدر الكافي من الأمطار. ولا سيما الشباب الذين لم ينشؤوا هناك، ولم يستثمروا سنين حياتهم كلها في العيش على ما تجود به الأرض، لقد توجه الشباب إلى المدن الكبيرة بحثًا عن العمل. لكن العمل لم يكن متوفرًا للجميع، ولذا، يُمكن للمنظمات الإرهابية أن تُشرك وتُجند الشباب السّاخط، مثلما نقول، بسهولة أكبر - الشباب الذي لا يؤمن بالنّظام، الذي يؤمن أنّ النّظام قد فشل، الذي لا يؤمن بالاقتصاد - ثم ينتهي بهم الأمر بعيدًا حول العالم في باريس يطلقون النار على الناس. بوسعك أن تُقدم حجة معقولة تمامًا على أن التّغير المناخي يرتبط مباشرةً، بطريقة ما، بالإرهاب. إنه يرتبط بالإرهاب. وهذه هي بداية الأشياء فحسب. وكلما سمحنا لهذا الأمر بالاستمرار، واجهتنا المزيد من المتاعب. يُمكنك أن تقول: «سنقضي على الإرهابيين»، لكنّ الجميع يغادرون مزارعهم بسبب نقص المياه. وهذه مشكلة أكبر نسبيًا. (276)

وللمرء أن يتساءل لم لم يخرج من تشيلي عددٌ أكبر من الإرهابيين في ظلّ تمثيل صحراء اتاكاما واحدة من أكثر الأماكن جفافاً في العالم. مع ذلك، بوسعك، بفضل سحر العلاقة المفترضة، أن تربط أيّ شيء،

(276) Bill Nye, "Bill Nye The Science Guy Explains the Connection between Climate Change and Terrorism in Paris," رَج العلم يفسر العلاقة بين "HuffPost, December 1, 2015, <https://www.facebook.com/HuffPostLive/videos/834171176702548/?fref=nf>.

بأي شيء آخر إذا لم تكن ملتزمًا بالمنطق وقواعد السببية المبنية على الحقائق.

ما الذي يجعل الأفراد يستسلمون لتفكير رثّ وزائفٍ مثل هذا؟ كتب الفيلسوف (إبراهام كابلان) في إجراء الاستقصاء: «إضافةً إلى الضغوط الاجتماعية من المجتمع العلمي، هناك أيضًا سمة فاعلة إنسانية للغاية لدى العلماء الأفراد. والتسمية التي اخترتها لهذه السمة هي قانون الأداة، الذي يُمكن صياغته على النحو الآتي: إعطِ صبيًا صغيرًا مطرقةً، وسيجد أن كل شيء يقابله في حاجةٍ إلى التّحطيم. وليس مفاجئًا تمامًا أن نكتشف أن عالمًا يصوغ المشكلات بطريقةٍ تستلزم، ابتغاء حلها، تلك التقنيات التي يُتقنها هذا العالم على وجه التّحديد». (277) وأضاف عالم النفس الإنساني، (إبراهام ماسلو) الآتي في كتابه علم نفس العلم: «أفترض أنه من المغربي أن تتعامل مع كل شيء كما لو أنه كان مسمارًا إذا كانت المطرقة هي الأداة الوحيدة التي بحوزتك». (278) ولهذا صلةٌ وثيقةٌ بفكرة الهوس المنهجي الذي يقع عندما يُصبح الباحثون متعصبين بشأن توظيف مجموعة بيانات معينة، أو تبني إجراءات تخصّ تحليل البيانات بصرف النظر عن مدى ملاءمتها لمشكلةٍ بحثيةٍ معينة. (279) فإذا كنت ناشطًا مناخيًا، فإنّ جميع

(277) Abraham Kaplan, *The Conduct of Inquiry: Methodology for Behavioral Science* (San Francisco: Chandler Publishing Company, 1964), 28.

(278) Abraham Maslow, *The Psychology of Science: A Reconnaissance* (New York: HarperCollins, 1966), 15.

(279) Robert J. Sternberg and Elena L. Grigorenko, "Unified Psychology," *American Psychologist* 56, no. 12 (2001): 1069–79.

الكوارث ناجمة عن التّغير المناخي الذي يصطنعه الإنسان. وإذا كُنْتَ نسويةً راديكاليةً، فإن اللوم [في مشكلات النّساء] يقع على النّظام الأبوي والذكورة السّامة. (وربما ليس مستغربًا إلقاء اللوم على الذكورة السّامة في حدوث التّغير المناخي⁽²⁸⁰⁾). وإذا كُنْتَ أحد أعضاء عبادة التنوع والشّمول والإنصاف، فمن الطّبيعي، بالنّسبة لك، أن تنبع جميع الشّور والعلل من الافتقار لهذه الخصائص. وإذا كُنْتَ عضوًا في الحزب الديمقراطي، فالأصل في كل المشكلات هو دونالد ترامب.

المقصود بـ «شفرة أوكام» أو «قانون التّقتير»، في فلسفة العلم، هو بما أن جميع الأشياء متساويةً، فإنّ التّفسيرات اليسيرة يجب أن تُفضل على التّفسيرات المُعقدة والملتوية (تحذيرٌ مفيدٌ من الإبستمولوجيا المغلوطة للسببية الزّائفة). صرح إسحاق نيوتن في المبادئ الرّياضية للفلسفة الطّبيعية: «لا ينبغي أن نسمح بأسباب للأشياء الطّبيعية تتجاوز تلك الأسباب الصّحيحة والكافية لتفسير مظاهرها. وابتغاء تحقيق هذه الغاية، يقول الفلاسفة إن الطّبيعة لا تفعل شيئًا عبثًا، والكثير سيكون بلا طائل عندما يؤدي القليل الهدف؛ لأنّ الطّبيعة تُسعد بالسهولة واليسر ولا تُلقِي بالألخلاء المُسببات الفائضة». وتتلخص مشكلة الذين يقعون في مصيدة

(280) غير الكاتب في مجلة ذا فوربس الجاني من "الذكورة السامة" إلى "التحيز غير الواعي" (وهو سبب سخيّف وغير معقول آخر) بعد أن تلقى بنحو لا يقبل الشك، الكثير من ردود الأفعال السلبية. في أدناه رابط المؤرشف الأصلي. الإنترنت لا ينسى أبدًا:

<http://archive.is/lvNem>.

الدّرجات السّت للسببية الزّائفة في إنتاجهم سلاسل طويلةٍ من المسارات السّبية الوهمية. قد يكون ذلك ضروريًا إذا كُنْتَ تُطلق ترهات تقديمية لا خلاف على زيفها.

حدودٌ مفتوحةٌ - في التّنوع قوتنا

من بين جميع الشّعارات التّافهة والمبتذلة التي تفوه بها رئيس الوزراء الكندي، (جاستن ترودو) يُعد «في التّنوع قوتنا»، بلا أدنى شكّ، الشّعار الذي أشتُهر به ولطالما استحضره مرارًا وتكرارًا. يبدو أن جاستن يؤمن بإمكانية حل أي مشكلةٍ عن طريق التّكرار السّهل واليسير لشعاره هذا لعددٍ كافٍ من المرات، وعندها ستختفي المشكلة.

إنّ الزّيادة في التّنوع هي الحل لجميع التّحديات، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم بيئية أم متعلقة بالأمن. ضاعف، بسلاسةٍ وسهولةٍ، من رهانك على التّنوع الثقافي، والأثني، والديني للحشود الهائلة المتدفقة من المهاجرين إلى كندا، وشاهدنا بينما نُمسك جميعًا بأيدي بعضنا في اتحاد أخوي، في النّهاية، ونحن نُنشد أغنية «تخيل» لـ (جون لينون) وهذا هو ذلك النّوع من منطق النّعمة الذي يُدمّر مستقبل الغرب. إنّ أشكال الإثراء الثقافي تفوق الحصر، من بينها مطاعم تقدم مأكولات متنوعة ناتجة من العيش في مجتمعٍ مختلطٍ ومتعدّد، إلا أن القيم الثقافية والدينية التي يجلبها معهم بعض المهاجرين إلى الغرب لا تُضيف شيئًا إلى قوتنا، مثلما هو واضحٌ. إنهم

لا يبذرون سوى الكراهية والتعصب والتشردم. شهد صديقي الطيب، الأستاذ سالم منصور، بفصاحة، على ذلك أمام اللجنة الدائمة للمواطنة والهجرة في مجلس العموم الكندي في الأول من تشرين الأول عام 2012:

إن تدفق المهاجرين إلى كندا من أنحاء العالم أجمع، ومن البلدان المسلمة على وجه التحديد، يعني تدفق حشودٍ من الناس من ثقافات غير ليبرالية في أحسن الأحوال، إلى داخل مجتمع ليبرالي. لكننا نعلم، بفضل دراستنا وملاحظتنا، أن الخليط غير الليبرالي للثقافات يطرح واحدةً من أعظم المضلات، ويؤلف تحدياً غير مسبوق لمجتمعات الليبرالية مثل مجتمعنا إذ لم تعد هناك متطلبات مفروضة على المهاجرين للاندماج، واستيعاب القوة الليبرالية المؤسسة للبلد الذي هاجروا إليه. وبدلاً من ذلك، تشجع سياسة التعددية المضللة والخاطئة تماماً على فعل العكس...

قد نرغب في الاستمرار بمستوى هجرة سنوي إلى كندا يكون مشابهاً إلى حدٍ ما للمستوى في الوقت الحاضر. لكن ليس بوسعنا الاستمرار باستقبال تدفقٍ مثل هذا للمهاجرين في ظل التخطيط الحالي للسياسة الرسمية للتعددية الثقافية المبنية على قاعدة أن الثقافات جميعاً متساويةٌ في حين أن ذلك غير صحيح. هذه السياسة هي اختبار صعبٌ، وربما حتى مُهلك، لديمقراطية ليبرالية مثل ديمقراطيتنا...

لا يجب أن نسمح للجمود البيروقراطي أن يُحدد لا السياسة

فحسب، بل المستوى القائم من عدد المهاجرين الذين تجلبهم كندا إليها سنويًا، والدول التي تسمح لأفرادها بالقدوم منها. لدينا مثال سابق حول الإغلاق الانتقائي للهجرة من بلدان الكتلة السوفياتية في سنوات الحرب الباردة، ونحن بحاجة إلى التفكير بفعل الشيء نفسه فيما يتصل بالهجرة من البلدان المسلمة لمدة من الوقت بالنظر إلى الطبيعة المقلقة للحمولة الثقافية من القيم غير الليبرالية التي تدخل بلادنا نتيجة لذلك.

إننا، بكلمات أخرى، نُذكي نار الكثير من المتاعب في بلدنا، مثلما لحظنا مؤخرًا في أوروبا.

وللحيلولة دون أن يرغب أيّ عضو في المجلس في إخباري أن وجهات نظري غير صائبة سياسيًا، بأية حال من الأحوال، أو أسوأ من ذلك، أتمنى من الأعضاء ملاحظة أنّي أمثلُ أمامكم بوصفي مُسلمًا ملتزمًا يعرف بحكم التجربة، ومن قلب المسألة، كم هي مندفعةٌ ومُقلقةٌ وعنيفةٌ وكارهةٌ للنساء ثقافة الإسلام اليوم ولطالما كانت كذلك في حياتي، وكيف تُشكل تهديدًا كبيرًا على ديمقراطيتنا الليبرالية التي أعتز بها، لأنني أعرف ما التقيض لها. (281)

من الصّعب القول إن منصور متعصب وعنصري أبيض ومناهض للإسلام، لأنه رجلٌ أسمر البشر من أصول هندية ومسلم

(281) Salim Mansur, "Evidence," Standing Committee on Citizenship and Immigration, House of Commons Canada, اللجنة الدائمة للمواطنة والهجرة, October 1, 2012, <http://www.ourcommons.ca/DocumentViewer/en/41-1/CIMM/meeting-51/evidence>.

ملتزم. إنه رجل صادقٌ أدرك أنه ليست الثقافات كلها متساوية في ليبراليتها.

إن الفكرة القائلة بأن التنوع الجامح هو إكسير الحياة السحري حينما يتعلق الأمر بإنشاء مجتمعات مستقرة ومسالمة هو تصورٌ معتوهٌ للغاية. يُخبرنا العلم، على وجه العموم، أن الهوموفيليا (الانجذاب إلى الشبيه [والخوف من الوحدة]) قد وثقت ودُرست في عددٍ لا حصر له من السياقات الاجتماعية.⁽²⁸²⁾ فإذا كان النجاح في الحياة الزوجية، في سبيل المثال، هو غايتك النهائية، فإن البحث واضحٌ ومباشرٌ: اختر شخصًا يشبهك. ونحن نختار أيضًا أصدقاءنا، جزئيًا، بالاستناد إلى الهوموفيليا الوراثية،⁽²⁸³⁾ ونختار كلابنا بناءً على الهوموفيليا الشكلية،⁽²⁸⁴⁾ وشركاءنا في التجارة العالمية بناءً على

(282) Miller McPherson, Lynn Smith-Lovin, and James M. Cook, "Birds of a Feather: Homophily in Social Networks," *Annual Review of Sociology* 27 (2001): 415–44.

(283) Jason D. Boardman, Benjamin W. Domingue, and Jason M. Fletcher, "How Social and Genetic Factors Predict Friendship Networks," *Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America* 109, no. 43 (2012): 17377–81.

(284) Christina Payne and Klaus Jaffe, "Self Seeks Like: Many Humans Choose Their Dog Pets Following Rules Used for Assortative Mating," *Journal of Ethology* 23, no. 1 (2005): 15–18;

Michael M. Roy and Nicholas J. S. Christenfeld, "Do Dogs Resemble Their Owners?" *Psychological Science* 15, no. 5 (2004): 361–63.

الهوموفيليا الثقافية.⁽²⁸⁵⁾ ويتبع ذلك أنه حينها يتصل الموضوع بالهجرة، فإن الأفراد الذين يشتركون في القيم التأسيسية سيكونون أكثر ميلًا إلى الانسجام من الذين لا يشتركون. وإذا كان مجتمعك ليبراليًا وحديثًا ومتعددًا وعلمانيًا تقليديًا، فإن فتح بابه أمام عددٍ هائلٍ من المهاجرين الذين يحملون إرثًا ثقافيًا ودينيًا متجذرًا في التفوق الديني ورهاب المثليين، وكرهية النساء، والتعصب حيال الأقليات الدينية مع كراهية خاصة لليهود، ورفض لحرية التعبير وحرية الضمير لن يُسفر عن نتائج جيدة. وهذا ليس «تعصبًا»؛ بل هو إدراك للواقع الواضح الذي لا خلاف فيه.

الإيثارية المتبادلة هي آليةٌ مطورةٌ (يمنح الغرب سمة دخول إلى عددٍ يُمكن التحكم به من المهاجرين متوقعًا منهم أنهم سيبادلونه كرمه هذا عن طريق تبني قيمنا العلمانية والليبرالية والحديثة)؛ [لكن] التقمص الانتحاري ليس كذلك. يجب أن لا نساوم أبدًا على نسيج مجتمعاتنا الحديثة من أجل الانخراط في ممارسةٍ ورعةٍ للجلد الذاتي الحضاري. أقول ذلك بوصفي مهاجرًا كنديًا فخورًا. إن الذين يصرون على أن يرموا أي شخص يسعى إلى مناقشة سياسات الهجرة العقلانية بـ «العنصرية» مصابون بأحد الأشكال الخبيثة من متلازمة النعامة الطفيلي.

(285) Min Zhou, "Intensification of Geo-Cultural Homophily in Global Trade: Evidence from the Gravity Model," في "ازدياد الهوموفيليا الجغرافية-الثقافية في Social Science Research 40, no. 1 (2011): 193-209. أدلة من نموذج الجاذبية التجارية العالمية: أدلة من نموذج الجاذبية (2011): 193-209.

لا علاقة للأمر بالإسلام

لقد ارتكب الإرهابيون الإسلاميون أكثر من خمسة وثلاثين هجومًا في أرجاء العالم منذ الهجمات الإسلامية الإرهابية على الولايات المتحدة في الحادي عشر من أيلول عام 2011.⁽²⁸⁶⁾ وقعت هذه الهجمات في بلدان تتنوع وتختلف في جميع الجوانب التي يُمكن تصورها بما فيها العرق والأثنية والثقافة والدين واللغة والقوة الاقتصادية والنظام السياسي. وليس هناك دينٌ آخر مائل للإسلام، ولو من بعيد، في تشكيله مصدر إلهام للإرهاب وتبريره أو دعمه. مع ذلك، تُصر النُخبة المثقفة ألا واحدة من هذه الهجمات الموثقة لها علاقة بالإسلام. بل يُقدم، بدلًا من ذلك، عددًا مذهلاً من «الأسباب» الأخرى.⁽²⁸⁷⁾ وقبل أن أستقصي بعضًا من هذه الأسباب المفترضة، من الجدير باللحظ أن الإبهام بدأ باستخدام تعبيرات مُلطفة خيالية والتضليل في الإحالة إلى هجمات الإرهاب. والظاهر أن هذه الهجمات هي أفعالٌ عقيمةٌ من العنف العشوائي؛ فهي عمليات قتل جماعية لا مبررٌ يسوغها وغير أيديولوجية؛ وهي تعبيرٌ عن تطرفٍ محلي؛ إنها تجسيدٌ للإجرام أو عنف في مكان العمل؛ ومثلما تُذكرنا جميعًا إدارة باراك أوباما، إنها كوارث يصطنعها البشر.

ويُفترض أن ما دفع مرتكبي هذه «الكوارث المُصطنعة» إلى شنِّ

(286) The Religion of Peace, دين السلام <https://www.thereligionofpeace.com>.

(287) Gad Saad, "50+ Reasons to Explain Terrorism in 67 Countries," "خمسون سببًا لتفسير الإرهاب في سبعة وستين بلدًا," THE SAAD TRUTH 103, December 5, 2015, YouTube video, https://www.youtube.com/watch?v=ZX2ORcaj_wQ.

هذه الهجمات الشنيعة هو أنهم محرومون، ومهمشون، ومتغربون، ومنعزلون، ويائسون، أو مهانون إضافةً إلى انعدام الأمل والغرض أو العلاقات المثمرة لديهم. إنهم خاسرون اجتماعيًا ومبوزون عائلًا. والعديد منهم «ذئابٌ مفردة»، والكثير منهم، أيضًا، من الشباب (من منا لم يتوجه إلى الرّقة في شبابه للانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ورمي المثليين من على أسطح المنازل؛ إنه طيش الشباب). أما «الأسباب الأساسية» الأخرى فتتأرجح من تغير المناخ إلى الذكورة السامة وألعاب الفيديو العنيفة والحركة الاستعمارية الغربية إلى الحملات الصليبية (يبدو أنّ الانتقام هو طبقٌ يُفضل تقديمه باردًا تمامًا). والواقع أن أي شيء يُمكن أن يؤلف سببًا رئيسًا للتشدد الإسلامي - باستثناء الشيء الواضح، أي العقائد الإسلامية.

كيف يحمي المصابون بمتلازمة النعامة الطفيلي الإسلام؟

ثمة عددٌ هائلٌ من التّحيزات المعرفية التي يدعن لها المصابون بمتلازمة النعامة الطفيلي في محاولاتهم اليائسة لرفض أيّ نقدٍ صادقٍ للإسلام. لقد طوّر البشر تفضيلًا للثقة بصدق الحكايات الشخصية على البيانات الإجمالية «الباردة». نحن حيوانات حكواتية، ولهذا السّبب، تحظى تجاربنا الشخصية بأهمية كبيرة في تشكيل آرائنا بالعالم. والآن تخيل أني مُسلم تولى تنشئتي أبوان مُحبّان ولطيفان ومتساحان، ولم يسبق لهما في حياتهما أن أضرما شعورًا واحدًا بكرهية اليهود. إنهم من مرتادي الجامع المحترمين. [ولهذا كله] يغدو من السهل أن يقول

شخصٌ مثل هذا إن والديه يُجسدان الإسلام الحقيقي. ويتمخض عن هذا شكلاَن من منطق النّعام، أي أكذوبة # ليس جميع المسلمين («أبي/ أخي/ عمي/ صديقي أحمد مسلم، وهو لطيف ومسالِم ومتسامح للغاية وأيضًا ليبرالي»). ومغالطة الإسلام الخرافي («لكن الإسلام الحقيقي هو دينٌ نسوي يُحب اليهود والمثليين وأيضًا يُساند حرية الضمير»). الإسلام نظام معتقدات. وكثيرٌ من المسلمين يعصّون القرآن، إي يختارون الأجزاء التي يرغبون في الالتزام بها، ويتركون ما يجدونها لا توافق هواهم. إن تناول صديقك للحم الخنزير وشربه الويسكي لا يقولان شيئًا بشأن هل الإسلام يسمح بهذه السلوك أم لا. وعلى شاكلة ذلك، فإن فرضك لأخلاقك الشخصية على دينك لا تُغير من محتوياته. وإن تعليم والديك المسلمين إياك حب اليهود واحترامهم لا تخبرنا شيئًا بخصوص هل يحتفي الإسلام باليهود أم يحتقرهم.

أرسلت لي صديقة يهودية كندية رسالةً إلكترونيةً في 2010 تسألني مساعدتها في فهم الإسلام (وعلى وجه التّحديد إذما كان يحتوي على عقائد كراهية). وكان لديها، في ذلك الحين، صديقة كانت تبدو امرأةً مسلمةً لطيفةً، وأيضًا طالبة في مرحلة الدكتوراه في إحدى الجامعات الكندية. ومثلما يحدث في العادة مع المصابين بمتلازمة النّعام الطّفيلي، كانت صديقي أمام محنة التّوفيق بين علاقتها الشخصية بمسلمة ليبرالية ومُسالمة، والأدلة المتزايدة على الفوضى والأذى العالمي المتواصل الذي يقع باسم الإسلام. أرسلت لها، من بين الكثير من الأشياء الأخرى، مجموعةً من المقاطع الفيديوية المُبينة

لكراهية اليهود العميقة في المجتمعات المسلمة. ويا للأسف، كان رد هذه الصديقة إلى جانب صديقتها [المسلمة] عاصفةً من العبارات التقليدية المبتذلة التي تصل حد الدِّفاع غير المنطقي - من مثل أن في الأديان جميعًا متطرفين عنيفين، وأن الإنجيل يحتوي على مقاطع عنيفة، وأن أكثرية المسلمين لطفاء وطيبون - وأنهت إحدى رسائلها المتشنجة بـ «أصبحت نفسك أشبه بمتعصبٍ، جاد». المؤسف بالأمر أن هذه الصديقة ليست اليهودية «التقدمية» الوحيدة التي تنخرط في تفكيرٍ مختلٍ مثل هذا عندما يتصل الأمر بالإسلام.

وإستراتيجية التهرب، أو اللف والدوران التي وظفتها صديقتي هي أحد أشكال الدِّفاع التَّقدمية الشَّائعة عن الإسلام. يأمل التَّقدميون، عن طريق الإشارة إلى الحقائق البشعة في الأماكن الأخرى، إلى إعفاء الإسلام من التَّقد. ومغالطة أن جميع الأديان تضم متطرفين خادعة بدرجةٍ يتعذر قياسها. صحيح أن عددًا صغيرًا من المسيحيين قد استثمروا عقيدتهم بوصفها مسوغًا يُبرر الهجوم على مقدمي خدمات الإجهاض في الولايات المتحدة في الخمسة وعشرين عامًا السَّابقة.⁽²⁸⁸⁾ بيد أن الأفراد ذوي العقول الفاعلة يدركون أن حجم الظاهرة مهمٌ. فعلى الرَّغم من أن الإسلام لا يحتكر العنف المبني على الأيديولوجيا، إلا أن المؤكد هو أنه أكثر مؤاتاةً وتشجيعًا

(288) Liam Stack, "A Brief History of Deadly Attacks on Abortion Providers," New York Times, November 29, 2015, <https://www.nytimes.com/interactive/2015/11/29/us/30abortion-clinic-violence.html>.

على العنف من معتقدات الجاينيين أو اليانين المتطرفين (الذين يواظبون على استخدام المكنسة لئلا يدوسوا بأقدامهم النمل). (289) وتندرج كل من الملاكمة ولعبة البولنغ في خانة الألعاب الرياضية، غير أننا لا نفترض، مع ذلك، أنها متساويتان لجهة احتمالية التسبب بالإصابات. إن جميع الأديان ليست متساويةً في قدرتها على توزيع العنف والكرهية المميتة. وقولك خلاف ذلك يعني إما أنك مخدوع بنحوٍ لا رجاء فيه وإما أنك مخادع بارعٌ للغاية. وثمة شكلان أخريان من أشكال التهرب واللف والدوران، هما: لكن ماذا عن الحملات الصليبية؟ ولكن الإنجيل يحتوي أيضًا على مقاطع عنيفة. كانت الحملات الصليبية ردًا على مئات السنين من العدوان الإسلامي مضافًا إلى وقوعها ضمن زمان ومكان محدودين للغاية، قبل قرابة الألف عام. أما بخصوص الإنجيل، فيمكنك، من جهة، حساب عدد الأفراد الذين استغلوا المقاطع العنيفة من سفر التثنية لتسويغ أفعال الإرهاب في القرن الحادي والعشرين. ومن جهة أخرى، يستغل عددٌ لا يُحصى من الجهاديين حول العالم العقائد الإسلامية لتسويغ أفعالهم العنيفة. المقدار مهمٌ.

الذريعةُ الأخرى التي يستثمرها المدافعون هي مغالطة الإسكتلندي غير الحقيقي التي تقول إنَّ بلدانًا وحكومات إسلامية بأكملها، وباحثين إسلاميين بارزين هم تمثلات «مزيفة» للعقيدة

(289) الجاينية أو اليانية، وتُعرف أيضًا باسم جاين دارما، هي ديانة هندية قديمة. وتعني الكلمة، المشتقة في الأصل من السنسكريتية، المنتصر، وتُشير إلى طريق النصر بعد تجاوز الحياة والانبعاث من جديد في حياة أخلاقية وروحية (الترجمة).

الحقيقية. إن الإنكار مصيدةٌ قويةٌ للغاية.

يوظفُ المصابون بمتلازمة النعامة الطفيلي كذلك إستراتيجية «سلب الشرعية المتواصلة» التي ترمي إلى سلبك حقك الشرعي في نقد الإسلام. لا يحتاج الأمر سوى إلى سؤال واحدٍ بالنسبة إلى أكثرية الغربيين: هل تتحدّث العربية؟ مع أن الأسئلة الأخرى قد تتضمن: هل نشأت في الشرق الأوسط؟ هل أنت مسلم؟ هل تفهم فقه اللغة القرآني؟ هل أنت حافظ (الذي يحفظ القرآن بأكمله)؟ هل درست في جامعة الأزهر (المؤسسة التي يُفترض أنها الأهم في الإسلام السنّي)؟ هل أنت إمام؟ أو، إذا فشل كل شيء آخر: هل أنت من أتباع مُحَمَّد المُخلصين؟ كلا؟ حسنًا، أسكت، إذن. ليس لديك الحق في نقد العقيدة النبيلة. ولأن العربية هي لغتي الأم، ولأني من لبنان، استغرقت مسألة «نزع الشرعية» عني وقتًا أطول. ليس للغربيين فرصة للنجاة.

وثمة إستراتيجية سلب شرعية أكثر وضوحًا تتلخص في التّملص من أي مراجعة نقدية للإسلام بالاستعانة بالتّعابير المتبدلة التاريخية. في سبيل المثال: «كيف تُفسر التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين واليهود في بلاد الأندلس في القرن الخامس عشر؟» يتلخص أحد الأجوبة - وهو جوابٌ مقبولٌ تمامًا - في: «حسنًا. كانت تلك بلاد الأندلس في القرن الخامس عشر. دعنا نتكلم عن الحاضر». غير أن أكثرية الأقاويل المتبدلة التاريخية التي يرددها التّقدميون زائفة أيضًا، والعصر الأندلسي عن التعايش السلمي

المزعوم هو أسطورة تاريخية.⁽²⁹⁰⁾ كان أهل الكتاب (اليهود والمسيحيون) يحظون أحيانًا بالتسامح في المعاملة بوصفهم مواطنين من الدرجة الثانية إن لم يكن الثالثة، بيد أنهم كانوا بحاجة إلى معرفة موقعهم في النسيج الشامل للمجتمع الإسلامي. إنهم يحملون صفة أهل الذمة، التي تتطلب منهم أن يلتزموا بأحكام محددة مثل دفع الجزية (ضريبة تُفرض مقابل حمايتهم). يحظى غير المسلمين في المجتمعات المسلمة بالتسامح حتى اللحظة التي يُجرمون فيها من هذه الميزة - وعندها من الأفضل لك الهرب سريعًا. لا تعرف أبدًا متى سيحدث ذلك، لكنك تعرف أن النوبة القلبية المجازية الوشيكة هي قاب قوسين أو أدنى. عاشت عائلتي في لبنان بأمانٍ نسبي حتى اليوم الذي اضطررنا فيه إلى الفرار للإفلات بحياتنا.

سيفترض بعض الأكاديميين، في مسعى منهم لكي يبدووا دقيقين، أن ظاهرة معينة (مثل الجهاد العالمي) هي نتيجة لمدى واسع من العوامل المتداخلة والمتسلسلة التي تمثل مشكلةً معقدةً متعددة الأوجه. وأنا أسمى ذلك إستراتيجية السلسلة أو التوصيل التعاقبي.

(290) Darío Fernández-Morera, *The Myth of the Andalusian Paradise: Muslims, Christians, and Jews under Islamic Rule in Medieval Spain* أسطورة الفردوس الأندلسي: المسلمون والمسيحيون واليهود في ظل الحكم الإسلامي في إسبانيا (Wilmington, Delaware: ISI Books, 2016);

أنظر أيضًا:

حديثي مع داريو ""، Improved Audio، "My Chat with Dario Fernandez-Morera, THE SAAD TRUTH 461, June 9, 2017, فرناندز-موريرا، تسجيل صوتي مُحسن YouTube video, <https://youtu.be/Y-9oPo-brl8>.

وقد دأبت في هجاء هذا الشكل من التّضليل الفكري كلما يقع هجوم إرهابي آخر يصرخ فيها المعتدون بعبارة الله أكبر. أذكر الناس (بأسلوبٍ ساخر) أن الدّوافع الحقيقية للإرهابيين قد تبقى مجهولةً إلى الأبد، مع أنها ربما تكون، على الأرجح، نتيجة لالتقاء عوامل نباتية قديمة واجتماعية ثقافية وأحيائية سياسية وعصبية فسيولوجية ونفسية اقتصادية ومتخالفة تاريخية وجغرافية عضوية وأثنية كيتونية. وكلما زاد عدد المصطلحات غير المنطقية التي يُمكنك جمعها، كان وهم العمق التّفصيري أكبر.

يُجب أعداء العقل «الدّقيقون» أيضًا استخدام التّعيرات التّلطيفية للتغطية على الحقائق غير الصّائبة سياسيًا إلى حدّ الحيلولة دون تسميتها. وتبعًا لذلك، فالغرب لا يُحارب التّشدد الإسلامي؛ بل إننا نقاتل تعصبًا راديكاليًا مسلحًا عنيفًا متطرفًا مصطنعًا (سنشير إليه اختصارًا بأيدولوجيا التّعصب المتطرف العنيف المُخيف). وسيُدرّك الذين يتوخون قدرًا أكبر من الصّدق إن هذا التّعصب مرتبطٌ بالإسلام، لكنهم سيستخدمون خوازية الـ «ية-ism» لتعقيم الواقع. وبذلك، فهذا التّعصب ليس نتيجةً للإسلام، بل الإسلامية. ليس الإسلام السّبب، بل الحركات الجهادية والوهابية أو السّلفية. أم هل سيضعون صفة للتمييز بين الإسلام والإسلام الرّاديكالي أو الإسلام المتطرف. يشعر الكثير من النّاس بنفورٍ شديدٍ من إلقاء اللوم على الإسلام مباشرةً؛ لأنّ ذلك يبدو فعلاً يفتقر الحصافة والمقبولية. إنهم يفضلون التّغاضي عن الإسلام وإلقاء اللوم على نسخةٍ «مُحرّفةٍ» مفترضةٍ من العقيدة. لكن الحقيقة هي أنه ليس

هناك كتب مقدسة مُقننة تخص الإسلاموية مختلفة عن الكتب المقدسة الخاصة بالإسلام. والإسلاموية، وهي الوجه السياسي للإسلام، هي أحد عناصر الدين الأساسية. ولحسن الحظ، تتعامل الغالبية العظمى من المسلمين بموضوعية مع هذه الجوانب في دينهم. ولا يعني هذا أنهم يمارسون إلى حد ما إسلامًا حقيقيًا مهذبًا أحاديًا. وإذا اختار موردخاي روبنشتين أن يأكل لحم خنزير وسمك الجمبري، فإن ذلك لا يعني أنه يُمارس شكلاً من اليهودية أكثر ليبراليةً. بل إنه، بسهولة، يتجاهل تلك العناصر في قوانين كوشر⁽²⁹¹⁾ الغذائية التي يجد الالتزام بها صعبًا.

يقول التّقدميون، عند مواجهتهم بالطبيعة البغيضة أخلاقياً للعديد من العقائد الإسلامية، إنه لا يُمكن التّعامل بجديّة مع هذه العقائد؛ لأن تأويل النّصوص (المهرمنوطيقيا) هو ممارسة ذاتية، وكثيراً من التّعالم الإسلامية الواضحة للغاية، هذا ما يجبرونا به، قد أسوء ترجمتها وتأويلها وفهمها (أيمكنني تسمية ذلك الإساءات الثلاث المقدسة للدفاع⁽²⁹²⁾). ويمتنع المصابون بمتلازمة النّعمة الطّفيلي، عبر استخدامهم الفلسفة السياسيّة للتعددية الثقافيّة، وتحت غطاء النّسبية الأخلاقيّة والثقافيّة عن نقد ممارسات ثقافية ودينية ممقوتة حقاً، مثل: ختان الفتيات، وتزويج الأطفال (القاصرات)

(291) الكوشر أو كشروت هو الطعام الكوثر (الحلال) حسب أحكام الدين اليهودي. أما غير الكوشر فيُسمى طريفه (المترجم).

(292) Gad Saad, "The Holy 3M of Apologia: Mistranslated, Misinterpreted, and Misunderstood," THE SAAD TRUTH 192, June 9, 2016, YouTube video, <https://youtu.be/XH9WAMvsE50>.

وجرائم الشرف. ويبدو أنه من الخطأ تطبيق المبادئ الأخلاقية العالمية عند الحكم على مبادئ مجتمعٍ محددٍ. ولذا، يلتزم النقاد الغربيون الصّمت، هذا إن لم يكونوا داعمين، للممارسات الثقافية والدينية التي يجب إدانتها عالميًا في حالات أخرى، كما لو أن مساءلة تقاليد الآخرين هو فعلٌ «متحيز عرقيًا ومتعصبٌ». الواقع أن (جاستن ترودو) قبل أن يُصبح رئيسًا للوزراء في كندا، بدا أكثر غضبًا من احتمال وصف هذه الممارسات بالوحشية من غضبه من الممارسات ذاتها. (293)

وتُقدم النسويات الراديكاليات الغربيات غطاءً لانتهاكات مرعبة للنساء مثل هذه تحت تصورٍ مُضللٍ مماثلٍ عن النسبية الثقافية. يغدو البرقع والنقاب والحجاب، في ظل رؤيةٍ للعالم ملتوية مثل هذه، رموزًا لتمكين الأثني، في حين يُفسر لباس البكيني بوصفه رمزًا للقمع الذكوري. ويرفض المصابون بهذه المتلازمة أيضًا، بفضل استخدامهم لتراتبية المظلومية، نقد الإسلام؛ لأنّ ذلك سيكون فعلاً «غير مهذب ومتحيز عرقيًا» (باستعارة كلمات الممثل بن آفلك المشهورة). وبدلاً من ذلك، فهم يُمجّدون جميع المسلمين بوصفهم نبلاء ومسلمين ولطفاء في الأصل، وممثلين لشكلٍ جديدٍ من أسطورة المتوحش النّيبيل (جميع الأفراد ذوي البشرة السمراء محبوبون في حين تقع اللائمة على الرّجل الأبيض في جميع العلل والشّور). شاركت

ترودو "Trudeau Retracts 'Barbaric' Remarks," Meagan Fitzpatrick, (293) CBC, March 15, 2011, "يسحب الملاحظات 'الوحشية' <https://www.cbc.ca/news/politics/trudeau-retracts-barbaric-remarks-1.985386>.

ذات مرةً مقطّعةً على صفحتي الشخصية في الفيسبوك لفلكي عراقي يقول فيه إن الأرض مُسطّحة في الواقع وفق النّصوص الإسلامية. واستلمتُ ردًّا غاضبًا من عالمة أنثى بيضاء غربية «تقدمية» وبّختني فيه على مشاركتي قصة كهذه. إذ يجب علينا، من وجهة نظرها، أن نكون أكثر لطفًا مع المسلمين. إذن، لم تشعر العالمة الزميلة بالغضب للترهات التي تقيأها هذا الرّجل العراقي المهذب، بل كانت منزعجةً من مشاركتي لقصته الحمقاء. كانت راغبةً في قتل الحقيقة في سعيها للالتزام بالصّوابية السّياسية.

وناقش ستيفان كولني، في كتابه *هذا مُهين!* الرّغبة التّقدمية الخاطئة في حماية بعض الجماعات من مراجعةٍ موازيةٍ.

تصدق حججٌ مماثلة على المحاولات الرّامية إلى استثناء آراء أو أذواق أي جماعة من التّقييم المتعقل والبناء والحكم المدروس. وجميع هذه المحاولات، مهما كانت صادقة النوايا، هي في النّهاية محاولات مُتدللة وتعاطفية. إنهم يفترضون، قدر تعلق الأمر بموضوع معين، أن من ينتمي إلى «أقلية» محرومةٍ ومتضررة (ننتمي جميعًا إلى أقليات عندما يتصل الأمر بموضوع معين) في حاجة - إضافةً إلى بذل الجهود لمعالجة تضررهم - إلى حماية إضافية تخص عدم تعريض معتقداتهم العزيزة عليهم إلى المراجعة والتّفحص النّقديين. ويفترض هذا عمليًا وجود مجتمع بمستويين من النّاحية الفكرية مؤلف من بالغين لا يكتفون بتقرير ما يُمكن أو ما لا يُمكن أن يُقال أمام الأطفال فحسب، بل أيضًا من يُمكن عدّهم أطفالًا في المقام الأول.

وهذا، في نهاية المطاف، يُفرز وضعا يُعدّ فيه مقبولا أن تنتقد من يُحسبون أنهم من أصحاب الامتيازات، وأن تسخر منهم أو توجه لهم الإهانة، لكنك لا تفعل الشيء ذاته مع من يُعدون من بين الأقل حظًا وتمتعًا بالامتيازات - إنه اختلال أخلاقي من شأنه أن يعمل، في النهاية، على تقويض الاحترام والمساواة الحقيقية. (294)

هل الشريعة متوافقة مع المعايير القانونية الغربية؟

إذا كان على المرء أن يُحدد النظام القانوني الأكثر تعارضًا مع النظام القانوني الأمريكي، فإن الشريعة الإسلامية ملائمةٌ لهذا الوصف، ومع ذلك، يقول كثيرٌ من المصابين بمتلازمة النعامة الطفيلي خلاف ذلك. قد يشعر الكثير من الغربيين بالاشمئزاز من العقوبات الجسدية القاسية للغاية في حالة السرقة (قطع اليد) والزنا (الرجم). وقد تتصور أن المكانة المتدنية للنساء عندما يتصل الأمر بمصادقة الشهادة القانونية أو حقوقهن بالإرث (نصف نصيب الرجال) عجيبةٌ وبشعةٌ بالنسبة للحساسيات الغربية. ومن المؤكد أن أكثرية الغربيين سيجدونه أمرًا قاسيًا وظالمًا بدرجةٍ مرعبةٍ وحتى غير منطقي أن تحتاج ضحية الاغتصاب الأنثى إلى شهادة شهود عيان رجال أربعة كي يُصدق ما حدث لها. لكن الشريعة تتعارض تعارضًا أشد جوهريةً مع المعايير القانونية الغربية، لأن الإسلام له رؤية خاصة للعدالة الموضوعية التي تُطبق بالتساوي بصرف النظر عن هوية

هذا مُهين! Criticism, Identity, Respect! Stefan Collini, (294) هذا مُهين! Criticism, Identity, Respect! Stefan Collini, (294) London: Seagull Books, 2010), 46-47. النقد والهوية والاحترام

الفرد. إذ تُطبق العقوبات، بموجب الشريعة، بوصفها دالاً على هوية الضحية والمعتدي. فاليهودي الذي يقتل مسلماً يُحاكم بأسلوب يختلف عن محاكمة رجل مسلم يقتل يهودياً.⁽²⁹⁵⁾ تذكر الشريعة، على وجه الخصوص، أنه ليس هناك قصاص في حال قتل مسلم فرداً من غير المسلمين مع اعتماد التعويضات على هويات الأطراف المعنية.

بالنسبة إلى الأحكام في أدناه، نُضاعف القيمة المحددة بالدية الموافقة لنوع القصدية المفضية إلى الموت أو الإصابة وغيرها من الظروف ذات الصلة التي تُحدد مقدار دية المسلم الذكر.

دية موت أو إصابة امرأة هي نصف دية الرجل.

دية اليهودي أو المسيحي هي ثلث دية المسلم.

دية الزرادشتي هي خمس دية المسلم.

هذا ما تفعله سياسات الهوية بالنظام القانوني - وهذا تحديداً هو المعيار الذي يتمسك به التّقدميون. قد يكون الرّجال متحيزين جنسيّاً، لكن ليس النّساء. قد يكون البيض متحيزين عرقيّاً، لكن ليس السّود. الهوية والولاء السّياسي يتحكم أيضاً بالكلام المسموح به. إذ يجب على الرّجل السوي الأبيض المسيحي المحافظ أن يغلق فمه ويترك السّاحة لامرأة تقدّمية مسلمة من السّكان الأصليين

(295) Reliance of the Traveller: A Classic Manual of Islamic Sacred Law, ed. and trans. Nuh Ha Mim Keller (Beltsville, Maryland: Amana Publications, 1994), 584, 590.

أحمد ابن النّقيب المصري، عمدة السالك وُعدة النّاسك (1368).

متحولة. أعرف موقعك، أيها الرجل الأبيض. لا تتحدث من دون إذن. وتبعًا لذلك، إنها حقيقة أن كلاً من الشريعة وسياسات الهوية التقدمية تلتزم بالمبدأ ذاته. وتداعيات هذا الهجوم الجوهري على الحقوق الفردية تتجلى بطريقة مختلفة في النظمين البيئيين، مع بقاء العقلية ذاتها نسبيًا. الاختلاف الوحيد هو دعم التقدميين لفكرة المساواة، وهو الشيء الذي لا تفعله الشريعة. مع ذلك، فالمساواة التقدمية هي نوعٌ خاصٌ من أنواع المساواة، حظيت بأفضل تمثيل لها في كلمات (جورج أورويل) الخالدة في روايته (مزرعة الحيوان): «جميع الحيوانات متساوية، لكن بعض الحيوانات أكثر تساويًا من الآخرين» (296).

التنميط متحيزٌ عرقيًا

قضيت فصلي الصيف عامي 1983 و1984 في إسرائيل حيث يعيش العديد من أفراد أسرتي الممتدة. أُعتقلت عند الحدود، في إحدى الرحلات، واستُدعيت في النهاية لاستجوابي؛ لأنني كنت شابًا ولدًا في لبنان. حاولت أن أشرح لهم أنني يهودي لبناني لدي أسرة ممتدة في إسرائيل. لحظ العميل الإسرائيلي أسماء أفراد أسرتي (اسم أخي الأكبر هو موشي أو موسى باللغة الإنكليزية، وأسمي عبري توراتي)، وسألني بالعبرية إذما كنت يهوديًا، وحُلت المسألة بسرعة. عدت في عام 1999 لتقديم ورقة بحثية في مؤتمر، وأخذت إجازة

(296) George Orwell, *Animal Farm: A Fairy Story* قصة خيالية (London: Secker & Warburg, 1945).

قصيرة، في أثناء الزيارة، قضيتها في دهب (في سيناء المصرية). ومرة أخرى خضعت للاستجواب عندما عدت إلى إسرائيل. كان العميل الإسرائيلي يُريد مني، هذه المرة، دليلاً يُثبت أي أستاذ وحامل لشهادة الدكتوراه، فأجبت أنه لم يكن من عادي حمل الشهادة معي، ومرة أخرى، لم يستغرق حل الموضوع كثيرًا.

واعتقلت، مؤخرًا قريبًا من الديار، في الحدود الأمريكية أكثر من ساعة في أثناء محاولتي التوجه إلى جامعة كلاركسن لإلقاء محاضرة دُعيت لها. كُنت مسافرًا مع زوجتي وابنتي الصغيرة (التي كانت في الثانية من عمرها آنذاك). كان التأخير أمرًا مزعجًا للغاية، لكن في الصورة الكبيرة تكمن صورةٌ أصغر. أعرض [أمامكم] هذه الحوادث لأقدم سؤالًا: هل الإسرائيليون والأمريكان يجرسون المتحيزين عرقياً الذين يستهدفون رجلاً بريئًا زيتوني البشرة من الشرق الأوسط؟ الجواب هو «نعم» قاطعة إذا كُنت مُصابًا بمتلازمة النعامة الطفيلي، و«كلا» لأي شخصٍ لديه دماغٌ فاعلٌ يُفكر.

وإذا كان هناك زقاق مظلمٌ يوفر طريقًا مختصرًا للمنزل، هل تزداد أم تقل احتمالات أن تسلكه إذا لاحظت أربعة شبابٍ أو أربع نساء عجائز يتسكعن فيه؟ تُدرك، باستخدام الفطرة السليمة، أن الشباب الأربعة هم، على الأغلب، أخطر من النساء العجائز، أو ربما تذهب في طريقٍ آخر إذا لاحظت الشباب. هذا الشيء لا يجعلك متحيزًا جنسيًا أو متحيزًا ضد الفئة العمرية. أكثرية الرجال الشباب غير عنيفين، لكن احتمال أن يكونوا كذلك أكبر، مما يستدعي الشعور

بالهلع. تفوه عنصري مسعود أبيض، في عام 1993، بالكلمات الشهيرة الآتية: «ليس هناك ما هو أكثر إيلا مآلي في هذه المرحلة من حياتي من المشي في الشارع وسماع خطوات أقدام والشروع في التفكير بالسطو. ثم أنظر حولي وأرى شخصاً أبيض، فأشعر بالارتياح».⁽²⁹⁷⁾ أوه، كلا أنتظر، لم يكن ذلك هو السّاحر الكبير أو السّاحر الإمبراطوري في حركة كو كلوكس كلان. لم يكن سوى الناشط الأفرو-أمريكي، جيسي جاكسن. هل يُعاني الموقر جاكسن من تعصبٍ ذاتي ضد عرقه هو؟ أو، ربما ميزَ أنماطاً مبنيةً على العرق من الإجرام المستند إلى البيانات الإجمالية ورد عليها وفقاً لذلك.

في أول فصل دراسي لي في مرحلة الدكتوراه في جامعة كورنل، قرأت جريمة قتل الإنسان، وهو كتاب أشرت في تأليفه اثنان من أعلام علم النفس التطوري الذي ترك أثراً عميقاً في مسيرتي العلمية النهائية.⁽²⁹⁸⁾ وظف المؤلفان في كتابهما المنظورات التطورية لتحليل مدى واسعٍ من السلوك الإجرامي بما فيه استغلال الأطفال والعنف الأسري. وعن كتابهما هذا تمخض استنتاجان رائعان هما: (1) أفضل مُتنبئ على فيما إذا كان الطفل سيتعرض إلى استغلال (بمعامل قدره 100) هو فيما إذا كان الطفل سينشأ مع زوجة أب أو زوج أم

(297) Mike Royko, "Jesse Jackson's Message Is Too Advanced for Most," Baltimore Sun, December 3, 1993, <https://www.baltimoresun.com/news/bs-xpm-1993-12-03-1993337169-story.html>.

(298) Martin Daly and Margo Wilson, Homicide (New York: Aldine de Gruyter, 1988).

(المعروفة بتأثير سندريلا)؛ و2) الشخص الأشد خطرًا في حياة امرأة هو شريكها. يندفع الرجال نحو ارتكاب أفعال العنف تحديدًا عند ارتيابهم بوقوع خيانة زوجية أو علمهم بها. هذه حقائق عالمية تتجاوز الثقافة والزمان تحديدًا لأنها متأصلة في الحساب التطوري الذي يُشكل العناصر المعتمدة في طبيعتنا البشرية المشتركة. وليس من المستغرب، والحال هذه، أن أول شخص تشبه به الشرطة عند تحقيقها في مقتل امرأة هو شريكها الذكر. إنهم يعرفون تمامًا أن أكثرية الرجال لن يرتكبوا أبدًا أفعالًا مثل هذه، لكن الشرطة تعلم بالقدر نفسه (بالخبرة إن لم يكن بوسائل أخرى) الاحتمالات التي تسوغ هذه الأفعال. وعلى شاكلة ذلك، يصدق الأمر على تأثير سندريلا على الرغم من الوجود الواضح لأزواج أمهات وزوجات آباء محبين وعطوفين. والحكايات الشخصية لا تُفند الحقائق الإحصائية. لقد تطورت أدمغتنا لتعقب الانتظامات الإحصائية في بيئتنا. والتصرف بناءً على هذه المعرفة ليس فعلًا متعصبًا أو عرقيًا أو بغيضًا؛ بل هو أصل المعرفة البشرية. وإن حُسن التمييز، بمعنى القدرة على التفرقة متجذرة في واقع احتمالي، يعني أن تكون بشريًا.⁽²⁹⁹⁾ أن تُنمط يعني أن تكون بشريًا.⁽³⁰⁰⁾

(299) Gad Saad, "Our Brains Have Evolved the Ability to Discriminate," *Psychology Today*, August 11, 2013, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homo-consumericus/201308/our-brains-have-evolved-the-ability-discriminate>.

(300) Gad Saad, "In Some Instances, Profiling Is Adaptive and Rational," *Psychology Today*, March 8, 2012, <https://www.psychologytoday.com/>

والمصابون بمتلازمة النّعمة الطّفيلي يرفضون هذا المنطق. وبدلاً من ذلك، وفي خضم رغبتهم بالتمسك بمبادئ التّقديمة التي تقول إن «الواقع متحيز عرقياً»، فهم يرفضون التّمنيط لأن فعل ذلك سيكون تمييزاً (بالمعنى الضار والمؤذي للكلمة). إنهم ينتمون إلى ما أسماه الفكاهي السياسي، إيفان سبت، عبادة عدم التّمييز.⁽³⁰¹⁾ وهذا هو تحديداً السّبب وراء الاختيار العشوائي لابنتي ذات العامين للخضوع إلى تدقيق أمني أكثر تفصيلاً في مطار مونتريال في أثناء توجهننا إلى جنوب كاليفورنيا في 2011. وهذا بالضبط السّبب الذي يجعل اختيار مجموعة من الرّاهبات العجائز للتدقيق الأمني المكثف مُرجحاً تماماً لأن مجموعة من الشّباب من باكستان أو اليمن أو سوريا يسافرون معاً [في الرّحلة ذاتها]. من المرجح أن يكون الجميع إرهابيين في مملكة وحيد القرن. والتّفكير خلاف ذلك يعني أن تكون متعصباً بغيضاً. متلازمة النّعمة الطّفيلي ابتلاء فظيع للعقل البشري.

ca/blog/homo-consumericus/201203/in-some-instances-profiling-is-adaptive-and-rational.

(301) Evan Sayet, *KinderGarden of Eden: How the Modern Liberal Thinks and Why He's Convinced That Ignorance Is Bliss* كيف يُفكر رياض أطفال عدن: CreateSpace Independent Publishing Platform, (2012), 11.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل السابع

كيف نسعى إلى الحقيقة الشبكات التقنية للأدلة التراكمية

«إن إحدى أكثر السمات بروزًا في ثقافتنا هي وجود الكثير من الهراء. الجميع يعلم ذلك».

هاري جي فرانكفورت⁽³⁰²⁾

«نقول إن للعقل وظيفتين رئيسيتين: تقديم الأسباب لتسوية الفرد لنفسه، وتقديم الحجج لإقناع الآخرين».

هوغو ميرسير ودان سبيربر⁽³⁰³⁾

تتمثل إحدى السمات الأساسية في الواجب المدني الذي يتحمله الفرد في مجتمع حرّ في أن يكون مواطنًا مُطلعًا بشأن القضايا ذات الأهمية المجتمعية. وهذه مهمةٌ ليس من السهل تنفيذها في ظلّ وقوع

(302) Harry G. Frankfurt, *On Bullshit* عن الهراء (Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 2005), 1.

(303) Hugo Mercier and Dan Sperber, *The Enigma of Reason* أحجية العقل (Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press 2017), 8.

أكثرية النَّاسِ في عددٍ من المصائد المعرفية والعاطفية في مسيرتهم الحياتية. فالبشر، أولاً، بُخلاء عقلياً؛ بمعنى أنهم فكرياً، كسالى للغاية، إلى حدِّ تقاعسهم عن جمع المعلومات المهمة عن موضوع معين، مفضلين على ذلك تكوين الآراء بممارسة أقلِّ قدرٍ ممكن من الجهد الذهني. ثانيًا: المشهد المعلوماتي محتشدٌ بالبيانات المتباينة في مستويات دقتها وموثوقيتها. وثالثًا: متى ما التزم فردٌ ما بموقف، يغدو من الصَّعب، مثلما هو معروف، حمله على التَّفكير بالأدلة المضادة. وإضافةً إلى هذين المؤلفين المشاركين، ذكّرنا (ليون فستنغر) رائد نظرية التَّنافر المعرفي، قبل أكثر من ستة عقود بشأن صعوبة حمل شخصٍ ما على تغيير رأيه:

صاحبُ القناعةِ هو رجلٌ يصعبُ تغييره. أخبره أنك لا تتفق معه، فيتحول بعيدًا عنك. أظهر له الحقائق أو الأشكال، فيُشكك في مصادرك. استعن بالمنطق، فيُخفق في فهم مقصدك.

لقد خَبَرنا جميعًا عبثية محاولة تغيير عقيدةٍ راسخةٍ خصوصًا إذا كان لذي القناعة مصلحةٌ في اعتقاده. وجميعنا على دراية بتنوع الدِّفاعات البارة الذي يزود بها النَّاسُ عن قناعاتهم، إذ يتمكنون من الحفاظ عليها سليمةً في خضمِّ الهجمات الأشدَّ فتكًا وتدميرًا. لكنَّ مهارة الإنسان لا تقف عند حدود حماية معتقدٍ فحسب. افترض أن فردًا يؤمن بشيء ما من كل قلبه؛ وافترض أيضًا أنه يلتزم بهذا المعتقد، وأنه قد اتخذ إجراءات لا رجعة عنها بسببه؛ وختامًا، افترض أن أدلَّةً قاطعةً يتعذر إنكارها قُدِّمت له، تُفيد أن اعتقاده خاطئ: ما الذي

سيحدث؟ سيظهر الفرد، في الغالب، لا ثابت الجنان فحسب، بل أكثر اقتناعاً بصحة معتقداته من ذي قبل. والواقع أنه ربّما حتى يُظهر حماسةً جديدةً بشأن إقناع الآخرين وهدايتهم لرأيه.⁽³⁰⁴⁾

طور (دان سبيربر) و (هوغو ميرسير) في المدّة الأخيرة، نظرية الاستدلال الحجاجية، التي تناقش حقيقة أنه ربما يكون من الصعب على الناس تغيير آرائهم حتى مع مواجهتهم بأدلةٍ تخالفها. يفترض الباحثان أن قدراتنا على الاستبصار، والتفكير العقلي لم تتطور، بالضرورة، للبحث عن الحقيقة، بل تطورت لإقناع أنفسنا والآخرين في معركة الدّهاء. وبالنظر إلى النزوع السّليقي الظّاهري لدى أكثرية الناس للانخراط في عملية تفكيرٍ عقلي مدفوعة (معلومات متحيزة تُعالج لحماية معتقدات الفرد ومواقفه أو رؤاه الأيديولوجية)، هل من الممكن والمجدي توقع أن يبحث الناس عن حقيقةٍ موضوعيةٍ؟ يطيبُ لي، بوصفي واقعيًا متفائلًا، الاعتقاد بذلك.

والشّجاعة الفكرية - أو قوة الاحتمال الخصبوية، مثلما أفضل تسميتها - هي خطوةٌ أولى ضروريةٌ لمن يرغب في خوض غمار معركة الأفكار. غير أن ذلك منقوصٌ. فكلّ الشّجاعة في العالم لن تُفلح في تغيير آراء أيّ شخصٍ إذا لم تكن تمتلك ناصية المعلومات المهمّة ذات الصّلة ومهارات التّفكير النّقدي اللازمة لمعالجة مثل هذه المعلومات. وهذا هو السّبب في حاجتك إلى توظيف أداة إستمولوجية بالغة

(304) Leon Festinger, Henry W. Riecken, and Stanley Schachter, *When Prophecy Fails* عندما تفشل النبوءة (Minneapolis, Minnesota: University of Minnesota Press, 1956), 3.

القوة، وشبكات تقنية للأدلة التراكمية لإعانتك في توليف المعلومات بنحو منطقي ومعقولٍ من مصادر متعددة ومختلفة. (305)

كيف تُثبت الحقيقة؟

لقد قدّم الفلاسفة كثيرًا من الأطر لتعريف الحقيقة. فالبراهين الرياضية، في سبيل المثال، هي حقائق بديهية. في المقابل يُستخدم المنهج العلمي في البحث عن الحقيقة التجريبية (الأمبريقية): إذ يقترح الباحث، بشكل سهلٍ ومتيسرٍ، سؤالًا، ويطوّر فرضيةً ويجمع البيانات ذات الصلة ويحلّلها ويختبر الفرضية ويخلصُ إلى الاستنتاج المناسب. وإذا كرّرت ظاهرة علمية معينة عددًا كافيًا من المرات، فإنها تغدو جزءًا من المعرفة الأساسية في الحقل العلمي. ومن أجل أن نضرب مثالًا تقليديًا مألوفًا، [نقول] إنها حقيقة تجريبية أن الرجال يرتكبون جرائم عنيفة بمعدلٍ أكبر من النساء (لقد وثقَ هذا النمط عبر الزمن والثقافات باستخدام مصادر بيانات مختلفة).

إن الحقائق العلمية مؤقتة ومرحلية في العادة لأنها يجب على

(305) راجع:

David P. Schmitt and June J. Pilcher, "Evaluating Evidence of Psychological Adaptation: How Do We Know One When We See One?" *Psychological Science* 15, no. 10 (2004): 643–49;

Gad Saad, "On the Method of Evolutionary Psychology and Its Applicability to Consumer Research," *Journal of Marketing Research* 54, no. 3 (June 2017): 464–77 والإحالات في موضعها.

الدّوام أن تكون قابلة للدّحض بصورةٍ كامنةٍ (أي أنها خاضعة للاختبار). وعلى هذا النحو، قد يكون أمرًا مغريًا للتّفكير بأن العلماء هم معالجون موضوعيون ومحايدون للمعلومات؛ لكنّ الواقع يقول إنهم بشر لهم القدرة على الجنوح ذاته نحو التّفكير المنطقي المدفوع. دُعيت في عام 2008 لإلقاء محاضرتين عن عملي القائم عند نقطة التقاطع بين علم النّفس التّطوري، وسلوك المستهلك أمام أقسام علم النّفس والتّسويق الأعلى تصنيفًا ومرتبًا في جامعة مشيغان. وتأكّدت من أحد المضيفين أنّه لن يكون هناك تداخل بين جمهور الحاضرين في المحاضرتين؛ وعلى وفق ذلك، وطنت نفسي على إلقاء المحاضرة ذاتها على المجموعتين. ألقىت المحاضرة الأولى في قسم علم النّفس إذ حظيت أفكارني بترحيبٍ كبيرٍ، على العكس مما حدث في المحاضرة الثانية التي ألقىتها في اليوم التّالي، إذ كان الحضور الأكاديمي، بلا أدنى شك، الأكثر عدوانيةً بين الذين واجهتهم على الإطلاق. لم أتمكن من إنهاء فكرة متكاملةٍ واحدةٍ من دون أن يُلحّ كثير من أعضاء هيئة التّدريس في مضايقتي ومقاطعتي ومناكدي. بدأ طوفان العداوة الحمقاء في وقتٍ سابقٍ على تقديمي المحاضرة، في اللقاءات الفرديّة مع أفراد الهيئة التي سبقت الحدث. إذ «أوضح» أحد أساتذة التّسويق لي في مكتبه، أن التّطور غير قابل للدّحض (وعليه، فهو لم يكن علمًا حقيقيًا)، فرددت عليه بتجاهلٍ واستخفافٍ «إذن، منذ متى وأنت تعمل في جامعة مشيغان؟» وبكلماتٍ أخرى، فإنّي أدركت سريعًا عبثية التّعاطي مع الشّخص المعني وتجاهلت تعليقه الأحمق. اتسمت العداوة بنمطٍ عامٍ. فبينما أبدى العديد من طلبة الدّكتوراه وأعضاء

هيئة التدريس المبتدئين استجابةً لأفكاري، أظهر الأساتذة الأكبر سنًا المثبتين قدرًا أكبر من المقاومة. وهذا مفهومٌ تمامًا من حيث تتمرّس النوع الثاني من الأساتذة خلف نماذج إرشادية (باراديغمات) تُعرّف عملهم المهني. فسّر هؤلاء الأساتذة خطأً بحثي التطوري بوصفه تهديدًا لحقلهم الدراسي؛ لذا، أرغدوا، وأزبدوا استياءً وانزعاجًا. ولم يكن لطلبة الدكتوراه، من ناحية أخرى، أية مصالِح باراديغمية راسخة، ولهذا كانوا أكثر تقبلاً للمقاربات الجديدة. ولقد لحظت نمطًا مماثلًا من المقاومة لنشاطي العلمي عند الموازنة بين الممارسين العمليين والأكاديميين في حقل التسويق. إذ انصبت عناية الممارسين على كون هذا النشاط قابلاً للتطبيق وذي صلة بعملهم، في حين حكم الأكاديميون على إسهاماتي في ضوء توافقها مع نماذجهم الإرشادية الثابتة.

والإنجازات العلمية على وجه الخصوص هي التي يُرجح أن تُزعزع التقليدي والراسخ عند المدافعين عن الوضع القائم الذين يعملون على مقاومتها إن لم يكن رفضها بالكامل.⁽³⁰⁶⁾ لدى العلماء،

(306) Juan Miguel Campanario, "On Influential Books and Journal Articles Initially Rejected Because of Negative Referees' Evaluations," عن الكتب "ومقالات المجلات المهمة التي تُرفض مبدئيًا بسبب تقييمات المحكمين السلبية" *Science Communication* 16, no. 3 (1995): 304–25;

Juan Miguel Campanario and Erika Acedo, "Rejecting Highly Cited Papers: The Views of Scientists Who Encounter Resistance to their Discoveries from Other Scientists," آراء العلماء الذين "يواجهون مقاومة يُبديها علماء آخرون لاكتشافاتهم" *Journal of the American Society for Information Science and Technology* 58, no. 5 (2007): 734–43;

كيف يقرّر العلماء أن نتيجةً معينةً رصينة قوية بما يكفي كي تُعد حقيقةً تجريبيةً تستحق أن تُضاف إلى مجمع المعرفة الأساسية في حقل علمي محددٍ؟ كخطوة أولى، يجب أن يُكرّر النتيجة عددٌ كافٍ من الباحثين المستقلين. هذا هو حجر الزاوية في المنهج العلمي، ومع ذلك، تتسم العلوم الاجتماعية بمعدلٍ مهولٍ من النتائج القابلة للتكرار.⁽³¹⁰⁾ وتُعد مراجعة الأدبيات جزءًا أساسيًا آخرًا في العملية العلمية. يؤلف أيّ مشروعٍ بحثي جزءًا من قصةٍ علميةٍ كبيرةٍ أسهم في تأليفها عددٌ من الباحثين في السابق. وتبعًا لذلك، وإذا كُنْتَ ترغب في سرد قصة رحلتك العلمية بحذافيرها، يجب عليك أن تعترف بعمل من سبقوك الذين وفروا قطعًا مهمةً من الأحجية الأكبر. أو بكلمات السير (إسحاق نيوتن) الخالدة: «إذا كان مدى رؤيتي أبعد، فذلك بفضل الوقوف على أكتاف العظماء». أذكر طلبتي على الدوام أن الهدف الرئيس من مراجعة الأدبيات هو تقديم سردٍ مقنعٍ للبحوث والدراسات السابقة التي بنيت عليها بحثك. دعونا

(310) Heiner Evanschitzky *et al.*, "Replication Research's Disturbing Trend," *Journal of Business Research* 60, no. 4 (2007): 411–15; Stefan Schmidt, "Shall We Really Do It Again? The Powerful Concept of Replication Is Neglected in the Social Sciences," *Review of General Psychology* 13, no. 2 (2009): 90–100; Matthew C. Makel, Jonathan A. Plucker, and Boyd Hegarty, "Replications in Psychology Research: How Often Do They Really Occur?" *Perspectives on Psychological Science* 7, no. 6 (2012): 537–42.

أنظر أيضًا مشروع إمكانية تكرار النتائج (مركز العلوم المنفتحة).

نفترض أن مشروعك هو عن الجذور التطورية لتقديم الهدايا في الشراكات الرومانسية. يُمكنك موازنة مقاربتك للموضوع مع مقاربات [الباحثين] الذين وظفوا أُطرًا اقتصادية أو اجتماعية. وبوسعك، في المقابل، أن تُقارن تقديم هدية الزواج في عالمي البشر والحيوان. تُقدم مراجعة الأدبيات، بصرف النظر عن السرد الذي تختاره، صورةً مهمةً عن المعارف الحالية في الحقل العلمي. وبطبيعة الحال، قد لا تتمخض هذه المراجعة، في أحيانٍ كثيرة، عن إجماع عام. درست في أواخر تسعينيات القرن العشرين، في سبيل المثال، تأثيرات الانزعاج أو عسر المزاج (المغاير للابتهاج والغبطة) في صنع القرار.⁽³¹¹⁾ واكتشفت غياب الاتفاق حول الموضوع في الأدبيات العلمية. وعليه، كيف يُمكن للباحث أن يستدمج هذه النتائج المتناقضة مع بحثه؟ يعالج ما بعد [الميتا] التحليل هذه الأحجية. وما بعد التحليل هو أداة إحصائية لجمع دراسات قابلة للموازنة في «دراسة كبيرة» واحدة. وتقرير أي من الدراسات يجب تضمينها يُعدّ من العناصر الأساسية في ما بعد التحليل مع الالتفات إلى ما يُعرف بمشكلة «درج الملف» إذ يؤدي تحيز هيئة التحرير إلى إقصاء الدراسات التي تخلو من النتائج عند مراجعة الأدبيات. لم أجد، في بحثي عن الانزعاج، فروقاً بين المنزعجين وغير المنزعجين في خمسة عشر من أصل ستة عشر من القياسات التابعة. وبقولٍ مختلفٍ، هيمن

(311) Gad Saad, "The Effects of Dysphoria on Sequential Choice Behavior," Working paper, "تأثيرات الانزعاج في سلوك الاختيار التسلسلي" Concordia University, Montreal, Quebec, Canada (1998).

التأثير غير المتوقع على عددٍ كبيرٍ من المتغيرات. وعندما حاولت نشر ورقة بحثية عن دراستي هذه، رفضها المحرر على هذا الأساس تحديداً (العديد من النتائج غير المتوقعة) [مع أن] توثيق نتائج مثل هذه في الأدبيات العلمية مُهمٌ للغاية، أحياناً، لا سيما عند إجراء ما بعد التحليل.

ودراسات التكرار ومراجعات الأدبيات وما بعد التحليل هي وسائل يجمعُ العلماء بوساطتها أدلة تراكمية عن ظاهرة معينة تحديداً في ضوء منهجيات وأدلة إرشادية ونُظم معرفية صارمة ودقيقة. وفيما عدا ذلك، ثمة طريقةٌ لإنتاج وتنظيم المعرفة بحيث يتعذر إنكار استنتاجاتها حتى على أكثر منتقديها شراسةً، الذين يتمرغون في التحيزات الأيديولوجية.

الشبكات التقنية للأدلة التراكمية

يقف (تشارلس داروين) في مصاف المفكرين البارزين في جميع الأزمان لتقديمه آلية متقنة (الانتقاء الطبيعي) لشرح الطريقة التي يتطور بها البشر. إن أحد الأسباب التي جعلت كتابه أصل الأنواع (1859) تحفةً رائعةً هو جمعه أدلةً من الجغرافيا الأحيائية وعلم الأرض، وعلم الحشرات، والتشريح الموازن، وعلم النبات وعلم الأجنة وعلم الحفريات. كدس نائبٌ عامٌ حصيفٌ، بصيرٍ وأناةٍ، جبلاً من الأدلة قبل عرض قضيته أمام هيئة المحلفين. وكان (داروين) العالم الحريص على الدوام، أكثر اجتهاداً ومثابرةً مما يُمكن أن يكون

عليه أي مدع قضائي. إذ دأب في جمع البيانات لعدة عقود قبل أن يشعر بالثقة الكافية لعرض قضيته أمام أنظار العالم. مُجسد هذه المقاربة هبة الذكاء البشري. إنها مماثلة لتصميم أحجية تركيب القطع. إذ لا تكفي قطعة واحدة لرؤية الصورة كاملة، لكنها تظهر بوضوح حالما توضع جميع القطع في أماكنها الصحيحة.

تُشكل الشبكات التّقينية للأدلة التّراكمية أحد المظاهر الحديثة لمقاربة داروين التّركيبية. لنفترض أنك تُريد أن تُثبت أن التّفضيل العالمي الذي يُبديه الرّجال للأجسام في هيئة السّاعة الرّمليّة كان نتاجًا للتطور. كيف ستُشرع في تنفيذ هذه المهمة؟ سيكون الهدف هو بناء شبكة من الأدلة التّراكمية المُستحصلة من مجموعة كبيرة من المصادر المختلفة، تُخدم جميعها غرض إكمال أحجية تركيب القطع النهائيّة (المُتمثلة، بلا أدنى شك، في امرأة جميلة بهيأة جسمٍ مماثلةٍ للسّاعة الرّمليّة). في أدناه بعض النتائج المهمة: (312) (1) اقترنت هيأة السّاعة الرّمليّة بمعدل خصبٍ أعلى وصحة أفضل (313)؛ و(2) تُعلنُ

(312) Gad Saad, "On the Method of Evolutionary Psychology and Its Applicability to Consumer Research," حول منهج علم النفس التطوري وإمكانية "تطبيقه في بحوث المستهلك *Journal of Marketing Research* 54 (June 2017): 464–77. أنظر شكل رقم 3، صفحة 468 للإطلاع على الإحالات ذات الصلة.

(313) مع ذلك، للإطلاع على أدلة حديثة تُشكك في هذه العلاقة، أنظر: Douglas T. Kenrick, "The Hourglass Figure Is Not a Sign of Fertility and Health," "هيأة السّاعة الرّمليّة ليست دليلًا على الخصوبة والصحة" *Psychology Today*, June 17, 2019, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog/sex-murder-and-the-meaning-life/201906/the-hourglass-figure-is-not-sign-fertility-and-health>.

وهذا يدلُّ على الطبيعة المؤقتة للمعرفة العلمية، أي أن العالم المُخلص والصادق يجب أن يكون دائمًا منفتحًا على الأدلة المغايرة.

المرافقات الإناث في شبكة الإنترنت، في عددٍ كبيرٍ من الثقافات، عن
 حياة جسمٍ مماثلةٍ للساعة الرملية للشركاء المحتملين - وليس مُهماً
 إذما كُنْ يكذبن بشأن القياسات المذكورة؛ (3) تطلبُ المرافقات
 المُعلنات في الإنترنت اللاتي يتمتعن بجسمٍ مماثلٍ للساعة الرملية
 أجوراً أعلى؛ (4) تُظهرُ التماثيل والأعمال الفنية المنتشرة على امتداد
 عدة آلاف من السنين شكل الساعة الرملية المرغوب به؛ (5) تتمتع
 النماذج النسائية التي تظهر في الصفحات الوسطى لمجلة بليبوي
 (Playboy) والفائزات بمسابقة ملكة جمال أمريكا في القرن العشرين
 بهيأة الساعة الرملية المُفضلة؛ (6) وُثقَ تفضيل الرجال لشكل الساعة
 الرملية في ثقافات وأعرافٍ متنوعةٍ كثيرةٍ باستخدام الكثير من المناهج
 منها تصوير الدماغ وتتبع حركة العين؛ و(7) ينجذب الرجال الذين
 لم يتنعموا قطّ بنعمة البصر أيضاً إلى الجسم في هيأة الساعة الرملية (إذ
 يستخدمون اللمس في التفضيل). يؤلف ما ذكرته هذه النقاط إجمالاً
 مجموعةً من الأدلة غير القابلة للتشكيك. وهذا تحديداً هو السبب
 وراء قدرتي على إلقاء محاضرة عن مبادئ تطويرية كهذه، بأسلوبٍ
 المتبخر عادةً، أمام جمهورٍ عدائي بطبيعةٍ أخرى (من نحو النسويات
 الراديكاليات). وحالما تُعرض هذه الشبكات التقنيية من الأدلة
 التراكمية على أعداء الحقيقة، فإنهم عادةً ما يومئون برؤوسهم في
 استسلامٍ مُنكسرٍ. ليس بوسع مشاعرك أن تحميك من الحقيقة. توفر
 هذه الشبكات منافع إبستمولوجية متميزة من حيث شرح الظواهر

العلمية التي تشمل الاتساق التفسيري⁽³¹⁴⁾ والتكامل النظري⁽³¹⁵⁾ والتطابق (وحدة المعرفة).⁽³¹⁶⁾

الشبكات التقنية للأدلة التراكمية في تفضيل الدُمى

قال البنائيون الاجتماعيون منذ وقتٍ بعيدٍ أن الآباء يغرسون نماذج الدور «المتحيزة جنسيًا بشكل عشوائي» في أطفالهم عن طريق الدُمى التي يقدمونها لهم: تقول الرواية الشائعة إن الصبيان يُشجعون على اللعب مع الجنود والشاحنات في حين تحصل الفتيات على دُمى العرائس وغُرف الألعاب. ويُفترض أن هذه التنشئة الاجتماعية المبكرة - العدوانية للصبيان والرعاية والعناية للفتيات - تُسفر عن اختلافات جنسية نهائية تفوق الحصر في مرحلةٍ لاحقةٍ من الحياة. فلو شجعت سوزي الصغيرة على الانخراط في الألعاب الخشنة والقتالية، لربما أصبحت حاملة الرقم القياسي في رفع الأثقال (للجنسين). لكن والديها المتحيزين جنسيًا حرماها من ذلك عن طريق فرضهما لتفضيلات الدُمى والألعاب عليها عندما كانت طفلةً،

(314) Paul Thagard, "Explanatory Coherence," *Behavioral and Brain Sciences* 12, no. 3 (1989): 435–502.

(315) Gary L. Brase, "Behavioral Science Integration: A Practical Framework of Multi-Level Converging Evidence for Behavioral Science Theories," *تكامل العلم السلوكي: إطار عملي لأدلة متقاربة متعددة المستويات لنظريات العلوم السلوكية* " *New Ideas in Psychology* 33 (April 2014): 8–20.

(316) Edward O. Wilson, *Consilience: The Unity of Knowledge* وحدة التطابق: (London: Abacus, 1998).

وهذه الفكرة المعتوهة غير محصورةً بالبيئة الأكاديمية المحمية. إذ تسربت إلى مصنعي الدُمي الذين نظم بعضهم، في مسعى منهم لكي يبدوون تقدميين، حملات دعائية تتناقض مع النمط القياسي لتفضيلات الدُمي (من مثل تقديم صبي وهو يلعب مع الدُمي). وإذا أردت أن أقنعك أن تفضيلات الدُمي مبنية بايولوجيًا، كيف يُمكن لي أن أُشيد شبكة تقنينية مثل هذه؟⁽³¹⁷⁾

وإحدى الاستراتيجيات التي يستخدمها علماء النفس التطوريون لإثبات أن تفضيلاً مُبرمجاً ما هو توثيقه عند الرضع الذين لم يبلغوا بعد مرحلة النمو التي ستسمح لهم في أن يتعودوا اجتماعياً على هذا التفضيل. ويقول مختلف، يُمكن بسهولةٍ ويسرٍ دحض حجة البنائين الاجتماعيين عن طريق بيان أن الأطفال الرضع يُظهرون تفضيلات للدُمي مُحددة جنسياً. وقد اتضح ذلك، في الواقع، في عدة دراسات، ويُعد بمنزلة دليل كافٍ لفرض فكرة أن المقاييس «المتحيزة جزئياً العشوائية» هي السبب الرئيس في تفضيلات الدُمي. لكننا ما نزال في المرحلة الأولى من بناء الشبكة التقنينية قيد البحث! تُعرف الأطوال النسبية لأصبعي السبابة والبنصر بنسبة أطوال الأصابع. إنها سمة ثنائية الشكل جنسياً، تعني أن الذكور والإناث البشر يُكتشفون عن اختلافٍ ثابتٍ في هذه السمة. أصبع البنصر، على وجه

(317) Gad Saad, "On the Method of Evolutionary Psychology and Its Applicability to Consumer Research," حول منهج علم النفس التطوري وإمكانية "تطبيقه في بحوث المستهلك *Journal of Marketing Research* 54 (June 2017): 464-77. أنظر شكل رقم 2، صفحة 467 للإطلاع على الإحالات ذات الصلة.

التحديد، أطول من أصبع السّبابة عند الذكور في حين يتساوى طول الأصبعين إلى حدّ ما عند الإناث. تعكس نسبة طول الأصابع كمية الإندروجين التي تعرض لها الفرد في الرحم. وبكلماتٍ أخرى، تُعد نسب طول الأصابع الأشد ذكوريةً مَعْلَمَات دالة على تعرضٍ أكبر لهرمون التستسترون. وقد أُجريت، إلى جانب عددٍ من طلبتي من الخريجين السابقين، بضع دراسات ربطت فيها نسبة طول الأصبع بالميل إلى أخذ المخاطرة وغيرها من السلوك ذات الصّلة بالمغازلة.⁽³¹⁸⁾ وقد أظهر الباحثون، في شأنٍ مهمٍ متصلٍ بمثال الدُمى الحالي، أن الصبيان الصغار للغاية الذين يحظون بنسب طول أصابع أشد ذكوريةً يُظهرون سلوكًا في اللعب وتفضيلات دُمى أكثر

(318) Marcelo Nepomuceno *et al.*, "Testosterone & Gift Giving: Mating Confidence Moderates the Association between Digit Ratios (2D4D and rel2) and Erotic Gift Giving,"

"التستسترون وتقديم الهدايا: الثقة عند التّزّاج تُخفف من الارتباط بين نسب طول الأصابع (2D:4d and rel2) وتقديم الهدايا المُثير للشّهوة الجنسيّة "

Personality and Individual Differences 91(2016): 27–30;

Marcelo Nepomuceno *et al.*, "Testosterone at Your Fingertips: Digit Ratios (2D:4D and rel2) as Predictors of Courtship-Related Consumption Intended to Acquire and Retain Mates,"

"التستسترون عند أطراف أصابعك: نسب طول الأصابع (2D:4D and rel2) بوصفها مؤشرات على الاستهلاك المتصل بالمغازلة والرامي إلى الحصول على الأزواج والاحتفاظ

٣٤٠"

Journal of Consumer Psychology 26, no. 2 (2016): 231–44;

Eric Stenstrom *et al.*, "Testosterone and Domain-Specific Risk: Digit Ratios (2D:4D and rel2) as Predictors of Recreational, Financial, and Social Risk-Taking Behaviors,"

"التستسترون والمخاطرة المُحددة بالمجال: نسب طول الأصابع (2D:4D and rel2) بوصفها متنبئات بسلوك أخذ المخاطرة التّرفيهي والمالي والاجتماعي."

Personality and Individual Differences 51 (2011): 412–16.

ذكوريةً. وفضلاً عن ذلك، فقد كشفت [عملية] جمع عينات البول (لقياس مستويات التستسترون) من الأطفال الرضع بعمر السبعة أيام حتى الشهر السادس من العمر عن الجذور الهرمونية لتفضيلات الدُمى وأنماط اللعب. وقد وثقت مجموعتان منفصلتان من الباحثين، عن طريق استثمار البيانات السريرية، أن الفتيات الصغيرات اللاتي يُعانين من تضخم الغدة الكظرية الخلقى - وهو مرض في الغدد الصماء يتصل بالذكور - يُظهرن تفضيلات دُمى أكثر ذكورية. وبالنتيجة، يتوفر لدينا ما يُثبت الجذور البيولوجية القاطعة لتفضيلات الدُمى استنادًا إلى أدلةٍ صمائية [من الغدد الصماء] نهائيةٍ وشكليةٍ وخاصةً بالأطفال مستمدة من العينات الاعتيادية والسريرية. ومع ذلك، ما نزال في المرحلة الأولى.

وعلم النَّفس الموازن هو أحد النَّظم المعرفية الفرعية الذي يسعى إلى فهم الإدراك المعرفي البشري عن طريق موازنته مع الأنواع الحية الأخرى. والمتشاكلات والمتناظرات هما مبدآن مهان في هذا المسعى. فالسمة المتشاكلية بين النوعين أ و ب هي دليلٌ على اشتراك النوعين بسلفٍ تطوري عامٍّ في حين تؤكد السمة المتناظرة حقيقة قدرة التطور على الوصول إلى التكيف ذاته (مثل حقيقة قدرة الطيور والوطاويط كليهما على الطيران) بوساطة وسائل مستقلة. وتبين أن سعادين الفرفت، والمكاكين الريسوسيين، أو القروود الرايزيسيين وأيضًا قروود الشمبانزي يظهرن نفس تفضيلات الدُمى المحددة جنسيًا التي يُظهرها البشر. ويعكس تفضيل الدُمى المتشاكل هذا وجود بصمةٍ تطورية/بايولوجية فاعلة وواضحة. قد يرد البنائيون الاجتماعيون

على ذلك بالقول إن النظام الذكوري الشرير المتحيز جنسياً يُمارس تأثيره العدواني في عددٍ من الأنواع الرئيسة! لا تستخف أبداً بالخبيل الوهمي، والمتزمت المتأصل في المصابين بمتلازمة النعامة الطفيلي.

يجب على المرء، في مسعاه لبناء شبكةٍ تقنيّةٍ كريمةٍ من الأدلة التراكمية، أن يحاول أن يستبق ويتصدى لجميع الحُجج المناهضة التي يُحتمل أن يُقدمها المنتقدون. تذكر أن البنائين الاجتماعيين يفترضون أن الرجال والنساء ينشئون اجتماعياً على أداء أدوار اجتماعية تعسفية مُثَلَّة بتفضيلات الدُمى التي تعمل بوصفها أحد المظاهر المبكرة للتعليم «المتحيز جنسياً». كيف يُمكن للمرء أن يُسدّد ضربةً قاضيةً لهذا الافتراض غير المعقول؟ الجواب موجود في السويد التي صَنفها عالم النفس العابر للثقافات، (غيرت هوفستيد) من بين البلدان الأكثر أنوثَةً لتسجيلها نسبة التكاثر الأكبر في النوع الاجتماعي بين خمسين بلداً مختلفاً. لقد أجرت هذه الواحة الإسكندنافية من الترهات التقدمية ما يُمكن عدّه تجربة هندسة اجتماعية طويلة المدى في العقود القليلة الماضية سعوا فيها إلى خلق المجتمع المثالي المتكامل المحايد لجهة النوع الاجتماعي. وتبعاً لذلك، إذا كان هناك في الأصل دراسة حالة متكاملة بشأن إذا ما كان بوسع بلد أكثر مساواتيةً في النوع الاجتماعي أن يُنتج تفضيلات دُمى غير مُحَددة جنسياً، فالسويد هو ذلك البلد. حسناً، لليبيانات أسلوبٌ مُزعجٌ في سحق الأحلام المثالية للمؤدجين الواهمين. إذ وجدت دراسةً شاملةً لتفضيلات الدُمى بين أطفال السويد أن تفضيلات الدُمى المُحددة جنسياً بينهم ليست بالمرونة التي يُريد منا البنائون الاجتماعيون أن نتصورها. إذ

اتضح أن الصبيان سيكونون صبياناً والفتيات سيُصبحن فتيات. (319)

وما يزال بقدره البنائين الاجتماعيين أن يثيروا اثنين من دواعي القلق المحتملة هما: إنَّ الدّراسات ذات الصّلة بالموضوع تنطلق من ثقافات غربية، وإنها مكتوبة في العصر الراهن. لا بأس بذلك، إذ أجرى الأنثروبولوجي (جان - بيير روسي) تحليلاً تفصيلياً للدّمي واللعب بها في أوساط قبائل مختلفة في الأراضي الصحراوية والشّمال أفريقية. وشملت الجماعات المدروسة شعوب البيلبالا، والشّعامية أو الشّعانية، والقبائل والمزابيين أو بني مزاب [في الجزائر]؛ والشّاوية والمورين [في المغرب]، وجماعة غرب، والركيبات أو الرقيبات في الصحراء الغربية، والتّيدا أو التّبو، والطوارق، وسكان وادي ساورة في الجزائر، وسكان الرّيف المغربي، وأيضاً المقيمين في المدن الصغيرة في الجزائر والمغرب وتونس، وجميع هذه الجماعات هي بالكاد مصدرٌ أو مستودعٌ للثقافات الغربية. وثقّ (روسي) نتيجتين أساسيتين على صلةٍ بالنّقاش الحالي: (1). الفتيات أكثر ميلاً إلى اللعب بالدّمي من الفتيان؛ (2) الدّمي الإناث أكثر شيوعاً من الدّمي الذكور. وعثرت على دراسةٍ تُناقش رسومات الأطفال في النّصب التذكارية الجنائزية في اليونان القديمة، ولحظت النّمط ذاته فيها: إذ يظهر الفتيان وهم

(319) تذكر أن جميع الاستشهادات المتصلة بالمثل الخاص بالدّمي موجودةٌ يُمكن الإطلاع عليها في:

Gad Saad, "On the Method of Evolutionary Psychology and Its Applicability to Consumer Research," حول منهج علم النّفس التّطوري وإمكانية تطبيقه في "بحوث المستهلك *Journal of Marketing Research* 54 (June 2017): 464-77. انظر شكل رقم 2، ص 467 للإطلاع على الإحالات ذات الصّلة

يلعبون بالعجلات في حين تلعب الفتيات بالدمى. وقد كشفت المراجعة المستفيضة وما بعد التحليل، منذ الوقت الذي تحدث فيه أول مرة عن هذه الشبكة التقنية في 2017، أن تفضيلات الدمى المحددة جنسياً فاعلةً حقاً في سياقات الفئة العمرية والعصور الزمنية وأيضاً السياقات الثقافية.⁽³²⁰⁾ من الصعب أن نتخيل تسونامي من الأدلة أعظم من هذا ضدّ فرضية أن تفضيلات الدمى لدى الأطفال هي نتاجُ للبناء الاجتماعي. إن الشبكات التقنية للأدلة التراكمية هي بمنزلة المضاد الحيوي للمصابين بمتلازمة النعامة الطفيلي.

الشبكات التقنية للأدلة التراكمية الخاصة بالاختلافات الجنسية في الزواج بين البشر

البشر هم أنواعٌ ثنائية الشكل جنسياً، أي أنهم يكشفون عن اختلافات جنسية متجذرة في الوقائع التطورية. وحقيقة الفرق في الحجم بين الجنسين هو أحد المظاهر الجلية لذلك. فالرجال، في المتوسط، أطول وأثقل وزناً من النساء. وهذه المعلومة صحيحة في مستوى السكان على الرغم من قدرتنا جميعاً على التفكير باستثناءات فردية لا حصر لها. بوسعي أن أطلق على هذا النوع من التفكير تسمية

(320) Brenda K. Todd *et al.*, "Sex Differences in Children's Toy Preferences: A Systematic Review, Meta-Regression, and Meta-Analysis," الاختلافات الجنسية في تفضيلات الدمى بين الأطفال: مراجعة منهجية، ما بعد تحليل الانحدار أو *Infant and Child Development* 27, no. 2 (November 2017): e2064, <https://doi.org/10.1002/icd.2064>.

التحيز المعرفي الممثل بمقولة: «لكن (كاتي هولمز) أطول من (توم كروز)» الذي يكشف عنه الكثير من المصايين بمتلازمة النعامة الطفيلي.⁽³²¹⁾ يفترض الناس أن مثالاً فريداً واحداً هو بمنزلة دحضٍ. لكن كلا، لا يُمكن عدّه دحضاً. إن القول إن البشر هم أنواعٌ تتكاثر جنسياً ويتمتعون بدافع أساسي وقوي للزواج لا يُبطله، في سبيل المثال، وجود المتبتلين (مثل القساوسة الكاثوليك).

وثقت الأدبيات العلمية عدداً يفوق الحصر من الاختلافات بين الجنسين الواضحة في نطاقٍ فريدٍ في سعته وتنوع من المجالات البشرية (الفسيوولوجية والشكلية والسلوكية والهرمونية والعاطفية في سبيل المثال لا الحصر).⁽³²²⁾ وعلى الرّغم من أنه ليست جميع هذه الاختلافات بين الجنسين هي نتيجةٌ للتطور، إلا أن ذلك لا يصدق على المتعلقة منها بالتزاوج. تذكر أن الانتقاء الجنسي هو الآلية التطورية التي تعتمدُها الأنواع التي تتكاثر جنسياً في تطوير تفضيلات مُحددة جنسياً في [اختيار] شركائها (من مثل تفضيل الطاووسة لذيل الطاووس الكبير الواضح). وإذن، ليس من

(321) Gad Saad, "Katie Holmes Is Taller Than Tom Cruise: This Proves That Men Are Not Taller Than Women . . . No It Doesn't!" "كاتي هولمز أطول من توم كروز: وهذا يُثبت أن الرجال ليسوا أطول من النساء... كلا، إنه لا يُثبت ذلك" *Psychology Today*, April 13, 2009,

<https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homoconsumericus/200904/katie-holmes-is-taller-tom-cruise-proves-men-are-not-taller-women-no>.

(322) Lee Ellis et al., *Sex Differences: Summarizing More Than a Century of Scientific Research* خلاصة تفوق القرن من البحث العلمي للاختلافات الجنسية: (New York: Psychology Press, 2008).

المستغرب أن الرجال والنساء قد طوروا تفضيلات محددة جنسياً فيما يتصل بشركائهم المثاليين. وتفضيلات التزاوج هذه حاضرة عبر المراحل الزمنية وفي المواقف الثقافية بالضبط لأنها انعكاس لإرثنا البايولوجي المشترك. ومن بين جميع ثنائيات الشكل الجنسية البشرية، حظيت الاختلافات بين الجنسين فيما يتصل بالخصائص المرغوب فيها في الشركاء المحتملين بحصة الأسد في التوثيق. درس عالم النفس التطوري، (ديفيد بوس) في ورقة بحثية كلاسيكية له في 1989، الأهمية التي يعزوها الرجال والنساء لعدة خصائص مهمة من الناحية التطورية منها الوضع المالي الجيد والطموح والجدية والاجتهاد، والعمر المفضل للشريك (قدر تعلق الأمر بالذات) وحسن المظهر. تكون حجم العينة من (10047) شخص من سبع وثلاثين ثقافة متميزة للغاية في العالم أجمع، تختلف فيما بينها اختلافاً هائلاً من حيث الأثنية، والعرق، والدين، والنظامين السياسي والاقتصادي واللغة.⁽³²³⁾ فضل الرجال الشريكات الأصغر سناً في جميع الثقافات المبحوثة (بلغت النسبة سبعة وثلاثين من أصل سبع وثلاثين)، وكانوا أكثر اهتماماً بالجاذبية الجسدية في أربع وثلاثين من الثقافات السبع والثلاثين. في المقابل، تولي النساء أهمية أكبر لوضع الشريك المالي (ست وثلاثون ثقافة) والطموح/ الاجتهاد (تسع

(323) David M. Buss, "Sex Differences in Human Mate Preferences: Evolutionary Hypotheses Tested in 37 Cultures," "تفضيلات التزاوج بين البشر: فرضيات تطورية اختبرت في سبع وثلاثين ثقافة" *Behavioral and Brain Sciences* 12, no. 1 (1989): 1-49.

وعشرون ثقافة). أما النتائج الدالة إحصائيًا التي تتجه بالضد من التوقعات التطورية فكانت نادرة للغاية. وقد أكدت دراسة حديثة الأهمية العظيمة التي يسبغها الرجال والنساء على الجاذبية الجسدية والمكسب المادي المحتمل على التوالي في ستة وثلاثين بلدًا تختلف فيما بينها لجهة معدلات عدم المساواة بين الجنسين.⁽³²⁴⁾

ومن أجل تهدئة المخاوف من أن البيانات التي قدمها بوس لا تعكس سوى وقائع غربية معاصرة، أجرى (جوناثان غاتشل) وزملاؤه عملية تحليل محتوى لتفضيلات التزاوج للشخصيات الذكورية والأنثوية في ستمائة وثمان وخمسين حكاية شعبية من ثمان وأربعين مشهدًا ثقافيًا مختلفًا للغاية مضافًا إلى مائتين وأربعين من الأعمال الكلاسيكية في الأدب الغربي.⁽³²⁵⁾ وشملت الدراسة مجموعة كبيرة من المجتمعات (الفرق والقبائل والدول ما قبل الصناعية) والحقب الزمنية. وقد تأكدت الأهمية الكبيرة التي يعزوها الرجال والنساء للجاذبية الجسدية والثروة / المكانة على التوالي في

(324) Lingshan Zhang *et al.*, "Are Sex Differences in Preferences for Physical Attractiveness and Good Earning Capacity in Potential Mates Smaller in Countries with Greater Gender Equality?" في الاختلافات بين الجنسين في "Evolutionary Psychology" 17, no. 2 (2019), <https://doi.org/10.1177/1474704919852921>.

(325) Jonathan Gottschall *et al.*, "Sex Differences in Mate Choice Criteria Are Reflected in Folktales from around the World and in Historical European Literature," في الاختلافات بين الجنسين في معايير اختيار الشريك حاضرة في الحكايات "Evolution and Human Behavior" 25, no. 2 (2004): 102–12.

مجموعة البيانات المذهلة في شموليتها وعمقها. وبالمثل، تأكدت تفضيلات التزاوج العالمية هذه في المراحل الزمنية والبيئات الثقافية بفضل استخدام مصادر بيانات ضخمة للغاية ومبتكرة من بينها استطلاعات ودراسات استقصائية أجيالية وتحليل طلبات العرائس بالبريد، وأحداث المواعدة السريعة وسلوك المواعدة الإلكترونية وتحليل محتوى للإعلانات الشخصية والدراسات الاثنوغرافية والاثولوجية للمجتمعات ما قبل الصناعية،⁽³²⁶⁾ والمنتجات الثقافية (كلمات الأغاني وقصص الأفلام السينمائية والفيديوهات الموسيقية والروايات العاطفية)،⁽³²⁷⁾ وقصائد الشعراء المتجولين في القرون

(326) أنظر:

(جدول 1.1 للإطلاع على خلاصة بالدراسات ذات الصلة) David P. Schmitt, "Evaluating Evidence of Mate Preference Adaptations: How Do We Really Know What *Homo sapiens sapiens* Really Want?" تقييم الأدلة الخاصة بتكيفات تفضيل الشريك: كيف نعرف فعلاً ما الذي يريده حقاً الإنسان العاقل؟ *Evolutionary Perspectives on Human Sexual Psychology and Behavior*, ed. Viviana A. Weekes-Shackelford and Todd K. Shackelford (New York: Springer, 2014), 3–39.

(327) Gad Saad, "Nothing in Popular Culture Makes Sense Except in the Light of Evolution," *Review of General Psychology* 16, no. 2 (2012): 109–20;

Gad Saad, "The Darwinian Roots of Cultural Products,"

"الجدور الداروينية للمنتجات الثقافية" في الفصل الخامس من:

(Mahwah, New Jersey: Lawrence Erlbaum, 2007), Ch. 5;

Gad Saad, "Cultural Products: Fossils of the Human Mind,"

متحجرات العقل البشري الفصل السادس في الغريزة الاستهلاكية...

و(متلازمة دي كليرامبو) المعروفة باللغة العامية بهوس العشق أو الهوس الشبقي، هي اضطراب نفسي يتوهم فيه المصاب أن هناك شخصًا آخرًا مُغرّمٌ به. ويُعدّ هوس العشق الذي ألم بـ (مارغريت ماري ري) نحو مقدم البرنامج الحوارى الليلي، (ديفيد لترمان) على الأغلب، التجلي الأكثر شهرةً لهذه الحالة. حلل الطبيب النفسى، (مارتن بروني) مائتين وست وأربعين حالة عالمية من هوس العشق، ووصف الخصائص الرئيسة للمستهدفين بهذا الوهم بوصفها دالةً على جنس المصاب. (329) وبكلمات أخرى، في حالة المصابات بهوس العشق، هل يختلف المستهدفون بوهمن عن المستهدفين في حالة المصابين بهذا الاضطراب؟ وانسجامًا مع علم النفس التطوري، فإنّ المهووسات بالعشق هن الأكثر ميلًا نحو توهم أن ذكرًا أكبر سنًا ورفيع المكانة واقعٌ في غرامهن بينما يُركز المصابون بهوس العشق وهمهم على فتاةٍ شابةٍ جميلةٍ. وبتعبير آخر، تتكرر تفضيلات التزاوج العالمية في المجموعات السكانية العادية في سياق الحالة النفسية.

The Consuming Instinct: What Juicy Burgers, Ferraris, Pornography, and Gift Giving Reveal About Human Nature (Amherst, New York: Prometheus Books, 2011).

(328) Don A. Monson, "Why Is *la Belle Dame sans Merci*? Evolutionary Psychology and the Troubadours," [قصيدة للشاعر جون "كيتس"] *Neophilologus* 95, no. 4 (2011): 523–41.

(329) Martin Brüne, "De Clérambault's Syndrome (Erotomania) in an Evolutionary Perspective," [متلازمة دي كليرامبو (هوس العشق) من منظور تطوري] *Evolution and Human Behavior* 22, no. 6, (2001): 409–15.

وتُقدم نظرية الاستثمار الأبوي ميتا - إطار كبير لفهم أنماط الاختلافات بين الجنسين في عددٍ هائل من الأنواع المتكاثرة جنسيًا.⁽³³⁰⁾ الإناث في غالبية الأنواع أكثر استثمارًا بوصفهن آباءً من الذكور، ونتيجةً لذلك، فهنّ أكثر حصافةً وتعقلًا في سلوكهن الجنسي. غير أن الاختلافات بين الجنسين تنعكس في الأنواع الحية التي يكون فيها الذكور أكثر استثمارًا بوصفهم آباءً من الإناث. تتسم الإناث في هذه الحالة بأنهن أكبر حجمًا وأشد عدوانيةً، وأكثر جموحًا جنسيًا.⁽³³¹⁾ طائر الشبنم (شبيه النعامة) ما قبل التاريخي في مظهره والشائع في أستراليا أحد الأمثلة على هذا النوع. والاستثمار الأبوي لدى النساء، بين البشر، أعلى بكثير مما لدى الرجال. تُنتج النساء أربعمئة بيضة قابلة للتخصيب في المتوسط منذ بداية الدورة الشهرية إلى بلوغهن سنّ اليأس في حين يُنتج الرجل مئتين وخمسين مليون حيمن في المتوسط في كل عملية قذف. وعلى هذا الأساس، تكون حيامن الرجال وفيرة ورخيصة، أما الأمشاج النسائية فثمينة ونادرة، فضلًا عن التكاليف النفسية للحمل والرضاعة الطبيعية، ومخاطر الوفاة عند الولادة والتكاليف المحددة جنسيًا الأخرى (تتعرض

(330) Robert L. Trivers, "Parental Investment and Sexual Selection," في "الاستثمار الأبوي والانتقاء الجنسي," *Sexual Selection and Descent of Man: 1871-1971، ونشأة ونداء الجنس* ed. Bernard Campbell (Chicago, Illinois: Aldine, 1972), 136-79.

(331) Marcel Eens and Rianne Pinxten, "Sex-Role Reversal in Vertebrates: Behavioural and Endocrinological Accounts," في "الانتقاء الجنسي في الفقاريات: "روايات سلوكية وصمائية (متعلقة بالغدد الصماء) *Behavioural Processes* 51(2000): 135-47.

النساء إلى مخاطر افتراس متزايدة في مدة الحمل) ومقياس الاستثمار الأبوي يميلُ بما لا يُقاس لصالح النساء. تتنبأ النظرية كذلك أن النساء أقل اهتمامًا في الجنسانية غير المقيدة بنحوٍ أكبر من الرجال، وهذا صحيحٌ عالميًا. وفهرس التوجه الاجتماعي-الجنسي (SOI) هو مقياس نفسي يقيسُ هذا البناء تحديداً. (332) يدرس مشروع وصف الجنسانية الدولي، الذي أسسه ديفيد ب. شمت، النشاط الجنسي البشري حول العالم. وطُبق فهرس التوجه الاجتماعي-الجنسي، في جزء من تلك المبادرة، على (14,059) على المشاركين من ثمانية وأربعين بلدًا يمثلون ثقافات مختلفة. (333) سجلت النساء، في كل بلد، درجات في الفهرس متدنية إحصائيًا. من الصعب تحيل بيانات عالمية أكثر إقناعًا من هذه. فالاختلاف الجنسي العالمي في درجات الفهرس الموثقة لدى المشاركين المتغيرين جنسيًا تكررت في حالة نظرائهم المثليين. وبكلمات أخرى، هذا الاختلاف بين الجنسين متأصل في نفسية الذكر في مقابل الأنثى بصرف النظر إذما كان موضوع الرغبة هو فردٌ من الجنس الآخر أو من نفس الجنس. وتوفر البيانات

(332) Jeffrey A. Simpson and Steven W. Gangestad, "Individual Differences in Sociosexuality: Evidence for Convergent and Discriminant Validity," الأدلة على صحة التقارب "الاختلافات الفردية في الجنسانية الاجتماعية: أدلة على صحة التقارب" *Journal of Personality and Social Psychology* 60, no. 6 (1991): 870-83.

(333) David P. Schmitt, "Sociosexuality from Argentina to Zimbabwe: A 48-Nation Study of Sex, Culture, and Strategies of Human Mating," الجنسانية الاجتماعية من الأرجنتين إلى زيمبابوي: دراسة للجنس والثقافة وإستراتيجيات التزاوج البشري في ثمانية وأربعين بلدًا *Behavioral and Brain Sciences* 28, no. 2 (2005): 247-75.

السُّلوكية دعمًا متقاربًا لمسألة أن النساء أقل اهتمامًا بممارسة الجنس مع الغرباء (وهو أحد مقاييس النشاط الجنسي غير المُقيد). لم تقبل امرأة واحدة، في دراستين، العرض الذي تقدم به غريب لممارسة الجنس معها (في حرم إحدى الجامعات الأمريكية) بينما قَبِلَ به أكثرية الرجال (ما يقرب من 75٪).⁽³³⁴⁾ وقد أكدت أوراق بحثية أخرى، منذ ذلك الحين، هذه النتيجة في سياقات ثقافية أخرى.

وتُعد الخيالات الجنسية مصدرًا آخرًا للبيانات المعنية بدراسة الاختلافات بين الجنسين في التزاوج بين البشر. إذ تُؤلف مصدرًا فريدًا للأدلة العلمية التي تُشكل نافذةً نطل من خلالها على أفكار الناس الأكثر خصوصيةً ورغباتهم الكامنة. استنتجت دراسةٌ تناولت هذا الموضوع أن الرجال ينخرطون في خيالات جنسية يومية بمعدل أكبر من النساء؛ إنهم يتخيلون عددًا من الأفراد أكبر مما تتخيله النساء؛ وتتضمن خيالاتهم صورًا جنسيةً (بما فيها الأعضاء التناسلية) أكثر ثراءً من الصور التي تتخيلها النساء؛ والرجال أكثر ميلًا من النساء إلى تخيل ممارسة الجنس مع شخصٍ آخر بدقةً بالغة.⁽³³⁵⁾ وبكلمات أخرى، يتكرر الاختلاف بين الجنسين الذي

(334) Russell D. Clark III and Elaine Hatfield "Gender Differences in Receptivity to Sexual Offers," [تأثير] الاختلافات في النوع الاجتماعي في الاستجابة "Journal of Psychology & Human Sexuality 2, no. 1 (1989): 39-55.

(335) Bruce J. Ellis and Donald Symons, "Sex Differences in Sexual Fantasy: An Evolutionary Psychological Approach," [الاختلافات بين الجنسين في التخيّل] "The Journal of Sex Research 27, no. 4 (1990): 527-55.

يعكسه دليل التوجه الاجتماعي - الجنسي باستخدام مجموعة البيانات الفريدة هذه. وتُشكل الرغبة التفاضلية في التنوع الجنسي، عرضًا، أحد الأسباب الكثيرة التي تُبين، تاريخيًا، أن الحكام الذكور المنحدرين من ثقافات غنية في اختلافها وتنوعها يكونون أكثر ميلًا إلى حيازة مجموعة من النساء والمحظيات أو ما يُعرف بالحریم،⁽³³⁶⁾ وأيضًا السبب الذي جعل 85٪ من الثقافات الموثقة تسمح بتعدد الزوجات.⁽³³⁷⁾ حالما يُحرز الرجل مكانة اجتماعية رفيعة، فإنه يندفع سريعًا في الغالب نحو تجسيد نزوعه المطور للتنوع الجنسي سواء أكان حاكمًا مستبدًا أم رياضيًا مشهورًا (اسأل ولت شامبرلين، لاعب كرة السلة)، أو نجم موسيقى الروك (اسأل جين سيمنز، المغني والعازف في فرقة كس Kiss أو مايكل جيمس هاكنول، المغني الأول في فرقة سمبلي رَد) في حين لا تُظهر الحكامات والرياضيات والنجمات الموسيقيات، على ما يبدو، رغبةً مماثلةً للتنوع الجنسي.

ويتضح الاهتمام التفاضلي عند الجنسين في الجنس «الذي لا يفرض أي التزامات» بطرائق أخرى لا عدد لها. وبالنظر إلى شدة الميل عند الرجال إلى التزاوج قصير الأمد، يتوقع أنهم قد طوروا وظائف جسد «مندفعة» تتضمن ميلًا أشد إلى الاستجابة بسرعة أكبر

(336) Laura L. Betzig, *Despotism and Differential Reproduction: A Darwinian View of History* (Hawthorne, New York: Aldine, 1986). رؤية داروينية للتاريخ والتكاثر التفاضلي: الاستبداد والتكاثر التفاضلي: رؤية داروينية للتاريخ (Hawthorne, New York: Aldine, 1986).

(337) Joseph Henrich, Robert Boyd, and Peter J. Richerson, "The Puzzle of Monogamous Marriage," "لغز الزواج الأحادي" *Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences* 367, no. 1589 (2012): 657–69.

للمُنبهات الجنسية. وليس مفاجئاً أن يكشف الرّجال والنّساء حقاً عن استجابات فسيولوجية وعصبية مختلفة للمُنبهات الجنسية المرئية.⁽³³⁸⁾ تتجلى هذه الحقائق العالمية في بيئات تجارية تفوق الحصر. وليس مصادفةً ألا يوجد مكان في العالم يفوق فيه عدد حانات التّعري التي تستهدف الزبائن الإناث، عدد الحانات التي تستهدف الزبائن الذكور. وهذا هو السبب أيضاً الذي يجعل النّساء تُركز في القراءة على الروايات الرومانسية بينما يُركز الرّجال، بشكلٍ يفوق التّصور، على مشاهدة الأفلام الإباحية، إضافةً إلى شراء الخدمات الجنسية. ولا علم لدي أن جهةً ما قد وثقت ثقافةً تكون فيها النّساء أكثر ميلاً من الرّجال لشراء الخدمات الجنسية قصيرة الأمد.

بحثت بمساعدة اثنين من طلبتي الخريجين السابقين، مسألة مقدار المعلومات - التي تصل إلى قرابة خمس وعشرين صفةً - التي يحتاجها الرّجال والنّساء من خطيبين محتملين قبل أن يرفضوا الخطيبين كليهما أو يختاروا أحدهما.⁽³³⁹⁾ تتطلب النّساء معلومات أقل لرفض الخطيبين مُضافاً إلى أن النّساء اللاتي يبحثن عن تزواج قصير الأمد هنّ الأكثر ميلاً إلى رفض الخطيبين بينما الرّجال الذين يبحثون

(338) Heather A. Rupp and Kim Wallen, "Sex Differences in Response to Visual Sexual Stimuli: A Review," الاختلافات بين الجنسين في الاستجابة للمُنبهات في *Archives of Sexual Behavior* 37, no. 2 (2008): 206-18. مراجعة "الجنسية الصورية: مراجعة

(339) Gad Saad, Aliza Eba, and Richard Sejean, "Sex Differences When Searching for a Mate: A Process-Tracing Approach," الاختلافات بين الجنسين في *Journal of Behavioral Decision Making* 22, no. 2 (2009): 171-90. عند البحث عن شريك: مقارنة تعقب العملية

عن هذا النوع من العلاقة هم الأقل ميلاً لفعل ذلك. نلاحظ في دراسةٍ أخرى أن النساء يُقيمن عددًا من الشركاء المحتملين أكبر مما يُقيمه الرجال قبل اختيار الخطيب الفائز. وبمساعدة أحد طلبتي الخريجين السابقين، دَرَسْتُ أيضًا كيف يؤثر التّأثير في تعديل الأسلوب الذي يُقيم به الشركاء المُحتملين. مثالٌ على ذلك، أفترض أن أحدهم سألك إلى أي حد يتمتع الخاطب المُحتمل بالمقبولية بناءً على واحدٍ من اثنين من الأوصاف المكافئة: (1) سبعة من عشرة أشخاصٍ ممن يعرفون هذا الخاطب يرون أنه ذكي / ذكية (إطار إيجابي)؛ أو (2) ثلاثة من عشرة أشخاصٍ ممن يعرفون هذا الخاطب يرون أنه ليس ذكيًا / ذكيةً (إطار سلبي). تُدْعن النساء بمعدلٍ أكبر لآثار التّأثير؛ لأن المعلومات المؤطرة سلبيًا تلوح أكثر للنساء عند اختيار الشركاء.⁽³⁴⁰⁾ تُبين هاتان المجموعتان من الدّراسات أن الرجال والنساء كليهما يمارسون عمليات معرفية مُطورة ومحددة جنسيًا عند البحث عن الشركاء المحتملين، وأيضًا تقيّمهم تماشيًا مع نظرية الاستثمار الأبوية.

وعلى الرّغم من أن البشر هم أنواع ثنائية الأبوة، إذ يستثمر الذكور والإناث بكثافةٍ في أطفالهم (مع التّفاوت في حجم هذا الاستثمار)، فإنّ الرجال وحدهم يواجهون خطر الشك في نسب الأبوة. وهذا الخطر المُحدد جنسيًا يقع في قلب العديد من

(340) Gad Saad and Tripat Gill, "The Framing Effect When Evaluating Prospective Mates: An Adaptationist Perspective," تأثير الإطار في تقييم الشركاء، *Evolution and Human Behavior* 35, no. 3 (2014): 184–92.

الاختلافات ذات الصلة بالتزاوج بين الجنسين بما فيها الإشارات التحذيرية الخاصة بالغيرة العاطفية. تذكر، في سبيل المثال، الاختلاف بين الرجال والنساء في الاستجابة للخianات العاطفية في مقابل الجنسية. إذ كشف ما بعد تحليل شامل أن الرجال يستجيبون بعدوانية أكبر للخيانة الجنسية في حين ترد النساء بقسوة أكبر على الخيانة العاطفية.⁽³⁴¹⁾ يخشى الرجال من الشك في نسب الأبوة بينما تخشى النساء من هجر الشريك.

وفضلاً عن ذلك، حظيت [العوامل] التي تجعل الرجال يحسدون غيرهم من الرجال، والنساء غيرهن من النساء بدراسات تناولتها من منظور تطوري.⁽³⁴²⁾ فالرجال، مثلاً، أكثر نزوعاً نحو حسد غيرهم من الرجال على مكانتهم الاجتماعية بينما تُركز النساء في هذا الجانب على الجاذبية الجسدية التي تتمتع بها غيرهن من النساء. إننا نحسد الأشخاص الذين تتعارض سماتهم مع جاذبيتنا والمرغوبة فينا بوصفنا شركاء.

والندم هو أحد الانفعالات الأخرى التي حظيت بالبحث والاستقصاء في مجال التزاوج. إذ درس الباحثون الطريقة التي يتبعها

(341) Brad J. Sagarin *et al.*, "Sex Differences in Jealousy: A Meta-Analytic Examination," *Evolution and Human Behavior* 33, no. 6 (2012): 595–614.

(342) Gad Saad and Tripat Gill, "Sex-Specific Triggers of Envy: An Evolutionary Perspective," منظور تطوري، "إشارات الحسد المحددة جنسياً: منظور تطوري" *Human Behavior and Evolution Society Annual Conference*, Austin, Texas, June 2005.

الرّجال والنّساء في تجربة النّدم على عدم استغلال فرص تزاوج قصيرة الأمد (شعورٌ غالبٌ عند الرّجال) إضافةً إلى النّدم بعد الارتباط بعلاقةٍ عاطفيةٍ قصيرةٍ (شعورٌ غالبٌ عند النّساء).⁽³⁴³⁾ وبقولٍ مختلفٍ، تتجلى شدة اهتمام الرّجال بالتنوع الجنسي والنشاط الجنسي غير المُقيد في الشّعور النّفسي بالنّدم الجنسي.

وما هذا الدليل التّراكمي إلا الجزء الظاهر من جبل جليد البيانات ذات الصّلة بالموضوع. ومع ذلك، فقد قدمت، في بنائي لهذه الشّبكة التقنيّة، أدلة توكيدية استقيتها من الثقافات والحقب الزمنية والمتغيرات التّابعة والمقاربات المنهجية. هل تقتصر المقاربة التقنيّة على الظواهر العلميّة حصراً؟ كلا! فهي منهجية صارمة لتنظيم قوى العلم والمنطق والعقل في التّعامل مع عددٍ هائلٍ من المسائل ذات الأهمية المجتمعية العميقة. وسأنتقل في الجزء الآتي إلى مثالٍ عملي ومؤاتٍ كهذا.

الشّبكة التقنيّة للأدلة التّراكمية الخاصّة بالإسلام

منذ أحداث الحادي عشر من أيلول، تعرض الغرب للإسلام بنحوٍ لم يسبق له مثيل (على الأقل منذ نهاية العصور الوسطى). إذ أضحى هذا الدّين الذي كان غائباً [عن الصّورة] إلى حدٍ كبيرٍ في كندا

(343) للاستزادة من المراجع ذات الصّلة، أنظر:

David M. Buss and David P. Schmitt, "Mate Preferences and Their Behavioral Manifestations," *Annual Review of Psychology* 70 (2019): 87.

والولايات المتحدة طاغياً في حضوره في الكثير من جوانب حياتنا اليومية. يشعر أكثرية الغربيين بالحيرة والارتباك بشأن طبيعة الإسلام. هل هذا الدين رحيم ومتسامح ومُسالِم أم هل هو دين عنيفٍ وتشددٍ وهيمنةٍ؟ ولقد دأب عددٌ لا يُحصى من السياسيين الغربيين، من بينهم جورج دبليو بوش وباراك أوباما وجاستن ترودو في طمأنتنا أن الإسلام هو، في الحقيقة، دين السَّلام. إلا أن الوقائع اليومية قد يكون لها قولٌ آخر في ذلك. كيف يتعين علينا أن نُجيب على سؤالٍ دقيقٍ وحساسٍ مثل هذا؟

حدد جميع مصادر البيانات المهمة التي تُسلط الضوء على الموضوع، وابني بانتظام الشبكة التقنية من الأدلة التراكمية المتعلقة به.⁽³⁴⁴⁾ يُمكن تحديد إذا كان الإسلام ديناً مُسالِماً بعمقٍ أم متعصباً بشكل يفوق الوصف باستخدام المنطق والعقل والعلم علاوةً على بيانات مستقاةٍ من مصادر تاريخية مبنية على دراسات استطلاعية وكذلك معتمدة على سبيل الذكر لا الحصر. سأبدأ بدراسة للكيفية التي انتشر بها الإسلام عالمياً، ومدى نجاح الأقليات الدينية في العيش تحت الحكم الإسلامي.

معقد الميَّات المُعدية والبيانات التاريخية ومحنة الأقليات الدينية

من تخشى أكثر: الحصبة أم إيبولا؟ لا جواب مباشر على هذا

(344) قدمْتُ في وقتٍ سابقٍ نُسخاً من هذه الشبكة التَّقنيَّة في عددٍ من المحافل، من بينها المنتدى العالمي لمكافحة التَّطرف العنيف (تشرين الثاني 2016) و LogiCal-LA (كانون الثاني 2017).

السؤال الذي يتطلب بعض المعرفة بعلم الأوبئة. وأحد قياسات الشعور بالهلع من المرض المُعدي يتمثل في احتمالية موتك في حال الإصابة به. جميع الأشياء الأخرى متساوية، فالمرض الذي يصل فيه معدل الوفاة إلى 100٪ أكثر قدرةً على بثّ الهلع من مرضٍ بمعدل وفاة يبلغ 25٪. مع ذلك، لا يكشف لنا ما قلناه للتو عن جميع تفاصيل القصة. فالمرض الأشدّ فتكًا قد يُسجل معدل انتشارٍ منخفضٍ، بمعنى إنه ليس مُعديًا تمامًا، في حين قد يكون المرض الذي يُسجل معدل وفيات أقلّ أكثر قدرًا على الانتقال بالعدوى.⁽³⁴⁵⁾ تشمل النماذج الوبائية للأمراض المُعدية في العادة على عددٍ من المكونات عند محاولتها تصوير قدرة المرض على نقل العدوى من بينها مدّة العدوى، ومعدل التّلامس وطريقة الانتقال. فمدّة العدوى في حالة الإصابة بنزلة البرد تستغرق في الغالب بضعة أيام خلافاً للمدّة في مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز) التي تكون غير محدّدة. ويعكسُ معدل التّلامس المدى الذي يتلامس فيه غير المصابين مع المصابين بالمرض. فالكثافة السّكانية (مراكز حضرية ذات كثافة سكانية عالية في مقابل مناطق ريفية قليلة السّكان)، مثلاً، في ظلّ تساوي جميع الأشياء الأخرى، سترفع معدل التّلامس في مرضٍ معدٍ

(345) Brian J. Coburn, Bradley G. Wagner, and Sally Blower, "Modeling Influenza Epidemics and Pandemics: Insights into the Future of Swine Flu (H1N1)," إعداد نموذج وباء وجائحة الإنفلونزا: تبصّرات في مستقبل إنفلونزا الخنازير"" *BMC Medicine* 7, no. 30 (2009), <https://doi.org/10.1186/1741-7015-7-30>; Klaus Dietz, "The Estimation of the Basic Reproduction Number for Infectious Diseases," "تقدير عدد التكاثر الأساسي للأمراض المُعدية"" *Statistical Methods in Medical Research* 2, no. 1 (1993): 23–41.

معين. وختامًا، تعكس طريقة انتقال العدوى الأسلوب الذي ينتقل به المرض بين الأفراد. ويتطلب نقص المناعة المكتسب (الإيدز) علاقةً بين فردين (علاقة جنسية أو مشاركة حقن الأبر تحت الجلد) أكثر حميميةً من فيروس ينتقل بالهواء يُمكن أن ينتشر عن طريق التعرض للسعال، في سبيل المثال.

والإطار لفهم علم أوبئة الأمراض المعدية مهمٌ في دراسة انتشار الأفكار والمعتقدات والأساطير المدنية، والأنواع الأخرى من المعلومات القابلة للنقل، من مثل الدين. ما السبب الذي يجعل شائعة تبثها إحدى الشركات تنتشر مثل النار في الهشيم في شبكة الإنترنت بينما تتلاشى شائعة أخرى بعد بضع مشاركات لها في وسائل التواصل الاجتماعي؟ ما سبب انتشار بعض الأفكار في شبكات تواصل اجتماعية واسعة في حين تفشل غيرها في الاستمرار؟ خذ، على سبيل المثال، الإسلام واليهودية. قبل مواصلة القراءة، هل بوسعك أن تُخمن عدد الأتباع في العالم الذين يُدرجهم كل معتقد ديني في صفوفه؟ وجهت هذا السؤال بالذات إلى الممثل الكوميدي وللاعب فنون الدفاع عن النفس، (جوروغان) في واحدٍ من أحاديثنا في التّدوين الصوتي (بودكاست). سألته، على وجه التّحديد، عن قدرته على تخمين عدد اليهود في العالم. تقصّدت فعل ذلك؛ لأنّ غالبية الناس يبالغون كثيرًا في تقدير الرّقم الحقيقي. بدأ (روغان) بتخمين أولي هو مليار واحد، ثم عدّله إلى خمسمائة مليون. الرّقم الحقيقي هو أربعة عشر مليونًا وخمسمائة ألف يهودي في العالم بأكمله!. ويُفرض كثيرٌ من الناس في تقدير هذا الرّقم ربما للإنجازات

المذهلة التي حققها اليهود على الرّغم من ضآلة عددهم. تلقى روغان هذا الرّقم في دهشة كبيرة، إذ إنه طلب من منتجيه أن يتأكد منه في أثناء وجودنا على الهواء. وعدد المسلمين، في العالم، من جهة أخرى، هو قرابة المليار وثمانمائة ألف. في مقابل كل يهودي، ثم قرابة المائة وخمسة وعشرين مُسلمًا. واليهودية أقدم من الإسلام بألفين وخمسمائة عام، لكنها فشلت في أن تستقطب عددًا مقاربًا من الأتباع. فإذا فسرنا الأديان بأنها معقد ميمات مترابطة، في استعارة لمصطلح ريتشارد داوكينز، فإن معقد الميمات الإسلامي كان أكثر نجاحًا، بنحو لا يُقارن، من نظيره اليهودي (أقصد من منظور علم الأوبئة). ما السّبب؟ للإجابة عن هذا السّؤال المهم، علينا النظر في محتويات معقدي الميمات كليهما - الإسلامي واليهودي - لدراسة لم أحدهما أكثر قدرةً على العدوى من الآخر.

دعونا نستكشف قواعد التّحول إلى الدّينين والارتداد عنهما. عملية التّحول الدّيني في اليهودية قاسيةٌ ومُجهدَةٌ للغاية، إذ تستلزم بضع سنوات من الالتزام وغياب الدّافع الخفي. (فالتّحول إلى اليهودية؛ لأنك متزوج من شخصٍ يهودي، في سبيل المثال، يُعدّ دافعًا خفيًا غير مقبول). ومن غير المستغرب، في ضوء الحواجز القائمة أمام التّحول، أن عددًا قليلًا من الأفراد يتحولون إلى اليهودية. لا يتطلب اعتناق الإسلام، من جهة ثانية، سوى التّصريح علنًا بجملة واحدة هي الشّهادة: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله». إنه لا يستلزم نموذجًا وبائيًا متقدمًا للتنبؤ بنوع معقد الميمات الذي سينتشر بسرعة أكبر. دعونا نفترض الآن أن أحدهم رغب في الارتداد عن الدّين. فبينما

ذُكرت عقوبة الموت عن الردة صراحةً في العهد القديم، إلا أنها لم تُطبق إلا نادرًا في التاريخ اليهودي خلافًا للإسلام الذي تؤدي فيه الردة عمليًا حتى الوقت الحاضر إلى تطبيق عقوبة الموت في عددٍ من البلدان الإسلامية.

غير أن الاختلاف الأكثر أهميةً، في الغالب، هو أن اليهودية، لا تدعم أو تشجع على الدّعوة أو التبشير في حين يُعد ذلك واجبًا دينيًا أساسيًا في الإسلام الذي يرى أن العالم ينقسم إلى دار الحرب ودار السّلام. سيتحقق السّلام عندما يتحد العالم بأكمله تحت راية الله. وتبعًا لذلك، من المتحتم والمفروض أسلمة الأمم ضمن دار الحرب. هناك بلد يهودي واحد في العالم، هو إسرائيل، ويوجد فيها أقلية غير يهودية معتبرة العدد. في المقابل، تضم منظمة التعاون الإسلامي (OIC) في عضويتها سبعة وخمسين دولة. والإسلام ليس دين الأغلبية فحسب في العديد من البلدان المنتمية لهذه المنظمة، بل إنه، عمليًا، الدّين الوحيد. ونورد هنا قائمةً بالبلدان الإسلامية التي يُشكل فيها المسلمون حاليًا نسبةً تتراوح بين 95٪ و100٪ من السّكان: أفغانستان والجزائر وجزر القمر وإيران والعراق والأردن وكوسوفو وليبيا والمالديف وموريتانيا والمغرب والنيجر وباكستان والأراضي الفلسطينية و المملكة العربيّة السّعودية والسّنغال والصومال والسّودان وطاجيكستان وتونس وتركيا وأوزبكستان والصحراء الغربية واليمن. ويوجد في مصر، البلد العربي المسلم ذات الكثافة السّكانية الأعلى، مجموعة صغيرةٌ من المسيحيين الأقباط الذين يتناقص عددهم باستمرار. وهذا يعني، بكلمات أخرى، أن

الأسلوب الذي ينتشر بوساطته الدينان ومدى تسامحهم مع التعددية يتجلى بوضوح في عقائدهما الدينية.

وجلد الذات المتمثل في التلميح إلى الحركة الاستعمارية الغربية والهيمنة الأمريكية العالمية شائع في أوساط النخبة المفكرة (الأنتلجسيا) في الغرب. إذ يُقال لنا إن الغرب قام على ركاب الحرب والغزو في حين انتشر الإسلام بالحب والسلام. والواقع أن التاريخ الإسلامي مُحْتَشَدٌ بغزوات لا عدد لها. وعلى وفق الكلمات المعروفة حالياً لصامويل ب. هنتغتون، المختص بالعلوم السياسية في جامعة هارفرد: «استمر الصراع على طول خط الصدع بين الحضارتين الغربية والإسلامية لمدة ألف وثلثمائة عام»، وحتى بتعبير أكثر إيجازاً: «للإسلام حدودٌ دمويةٌ».⁽³⁴⁶⁾ لقد خضع للإسلام، منذ تأسيسه في القرن السابع الميلادي، مئات الملايين من الناس.

بيانات مكتب التحقيقات الفيدرالي المعاصرة

بحوزة مكتب التحقيقات الفيدرالي قائمة عالمية بالإرهابيين العالميين المطلوبين لها.⁽³⁴⁷⁾ ستة وعشرون من الأعضاء الثمانية والعشرين الحاليين الذين يُشكلون هذه المجموعة المعروفة يرتبطون بالجماعات الإسلامية. ومع أن المسلمين يؤلفون 25٪ من سكان العالم، غير أنهم يُشكلون 92.9٪ من الإرهابيين في هذه القائمة.

(346) Samuel P. Huntington, "The Clash of Civilizations?" "صدام الحضارات" *Foreign Affairs* 72, no. 3 (1993): 22–49. (الاقباسات من الصفحتين 31 و35)

(347) "Most Wanted Terrorists," "الإرهابيون المطلوبون" Federal Bureau of Investigation, <https://archive.is/CH4Pb>.

والأعضاء الستة والعشرون هم: حسين محمد العمري (فلسطين) وعلي سعيد بن علي الحوري (المملكة العربية السعودية) وساجد مير (باكستان) وعبد العزيز عودة (قطاع غزة) وجابر البنا (اليمن) وإبراهيم صالح محمد اليعقوب (المملكة العربية السعودية) ومحمد علي حمادي (لبنان) ورادولان ساهيرون (الفلبين) وعبد الله أحمد عبد الله (مصر) ورمضان عبد الله محمد شلح (قطاع غزة) وحسن عز الدين (لبنان) وعبد الكريم حسين محمد الناصر (المملكة العربية السعودية) وعلي عطوة (لبنان) وأحلام أحمد التميمي (الأردن) وجهاد سيروان مصطفى (الولايات المتحدة) وأيمن الظواهري (مصر) وعبد الرحمن ياسين (الولايات المتحدة)، وسيف العدل (مصر) ومحمد أحمد المناور (الكويت) ومحمد عبد الله خليل حسين الرحايل (لبنان) وودود محمد حافظ التركي (العراق) وجمال سعيد عبد الرحيم (لبنان) ولييان حجي محمد (الصومال) وأحمد إبراهيم المغسل (المملكة العربية السعودية) وأحمد أبو سمرة (فرنسا) وعدنان شكري جمعة (المملكة العربية السعودية). جاء هؤلاء من أنحاء العالم؛ إنهم ينتمون إلى أعراقٍ مختلفةٍ ويتحدثون لغاتٍ مختلفةٍ وبعضهم مولود في بلدانٍ غربيةٍ. لو كانت هناك وسيلةٌ فحسب لجمعهم تحت مُسمى مشترك. ربما لن نعرف مطلقاً، على ما يبدو، دوافعهم الحقيقية، وهو موقف تتبناه بجدية في الغالب الشرطة الغربية عندما يشنّ الإرهابيون الإسلاميون هجوماً وحشياً.⁽³⁴⁸⁾

(348) Stuart Winer, "UK Police: London Attacker Acted Alone, Motive May Remain a Mystery," شرطة المملكة المتحدة: مهاجم لندن نفذ لوحده، والدافع قد

وفي ضوء الحقائق الديموغرافية للهجمات الإرهابية، قد لا يكون مفاجئًا كثيرًا أن تضم قوائم المنع من السفر والمراقبة عددًا كبيرًا من المسلمين على الرغم من أن القوائم الفعلية غير متاحة للاطلاع العام. مع ذلك، تلخص رد الفعل العام، بطبيعة الحال، في صرخة رهاب الإسلام المدوية لأن أي رد فعل آخر سيكون متعصبًا.

تحليل محتوى للنصوص المعتمدة

أجرى (بيل وارنر) الأستاذ السابق للفيزياء، ومؤسس مركز دراسة الإسلام السياسي تحليلات محتوى لثلاثة من مصادر الإسلام المعتمدة: القرآن (الذي يُمثل النص العالمي المعصوم عن الخطأ وكلمة الله الخالدة) والحديث (مجموعة روايات محمد، نبي الإسلام، وأفعاله وأقواله) والسيرة (السيرة الغيرية لمحمد).⁽³⁴⁹⁾ وحلل (وارنر) النسب المثوية [للمحتوى] في النصوص الثلاثة المكرسة لمفردة الكافر (المُصطلح المهين لغير المسلمين) وكراهية اليهود والسياسة والجهاد (الحرب المقدسة ضد الكافرين). وكانت النتائج مذهلة. إذ بلغت نسبة الصور الناقدة والكريهة المخصصة للكافر في النصوص الثلاثة 51٪، إضافةً إلى أن كراهية اليهود فيها فاقت ما موجود في كتاب

Times of Israel, March 26, 2017, <https://www.timesofisrael.com/uk-police-london-attacker-acted-alone-motive-may-remain-a-mystery/>.

(349) Bill Warner, "Statistical Islam," Center for the Study of Political Islam,

http://www.cspipublishing.com/statistical/pdf/Statistical_Islam.pdf.

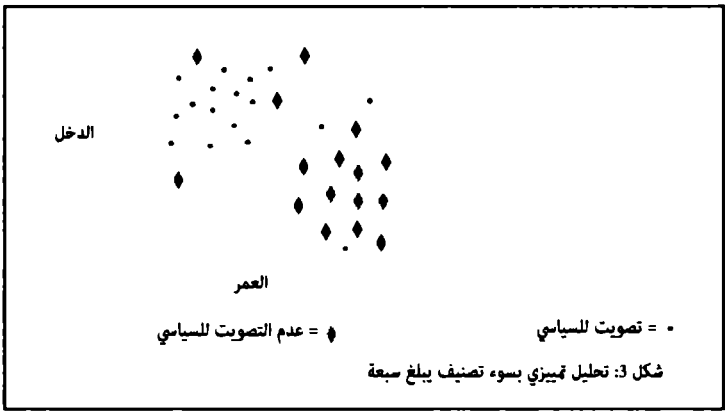
كفاحي لأدولف هتلر، إذ بلغت النسبة 9.3% في مقابل 7.7%.

الانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية - داعش، ميل المتحولين إلى الدين إلى ارتكاب أفعال إرهابية، والجماعات الإرهابية

تحليل التمييز هو تقنية إحصائية فاعلة للغاية في تحليل البيانات، من بينها الخيارات الانتخابية وخيارات المستهلك. يوضح الشكل رقم 2 في أدناه البيانات التي يُحتمل جمعها لصالح أحد السياسيين، إذ تُبين الذين صوتوا له (النقاط) والذين لم يصوتوا (متوازيات الأضلاع). يبدو واضحًا، عند النظر مليًا فحسب في البيانات، أن المؤيدين له هم من المصوتين الأصغر سنًا والأكثر ثراءً.



ومن نافلة القول إن العالم الحقيقي لا يتألف، بشكلٍ نموذجي، من بيانات نقيّة مثل هذه بخطوط تقسيم واضحة. إذ يعكس الشكل رقم 3 مجموعة بيانات أكثر واقعية و«فوضوية» نسبيًا - بمعنى إنها تظهر في الجانب «الخاطئ» من التقسيم الخطي الواضح.



يختبر تحليل التمييز، بشكلٍ تكراري، عددًا كبيرًا من خطوط التقسيم المحتملة إلى أن يُحدد الخط الذي يُقلص إلى الحد الأدنى سوء التصنيفات؛ وهذا التحليل ليس مقصودًا على متغيرين متنبئين وصنفين من العضوية [إلى التنظيم أو الجماعة]. اخترت هذا المثال السهل حصراً توخيًا للوضوح التفسيري. والآن لنفترض أن أحدهم كان يحاول تطبيق تحليل التمييز لتحديد العضوية (أو عدم العضوية) في تنظيم الدولة الإسلامية - داعش. انضم أفرادٌ من ثمانين دولة إلى التنظيم، يشتركون كلهم في شيء واحد: جميعهم مسلمون.⁽³⁵⁰⁾ لا يستدعي الأمر أداة إحصائية متعددة المتغيرات فاخرة من مثل تحليل التمييز للكشف عن هذا السرّ المحدد. ويتعذر تخيل بيانات أكثر

(350) Eric Schmitt and Somini Sengupta, "Thousands Enter Syria to Join ISIS despite Global Efforts," *New York Times*, September 26, 2015, <https://www.nytimes.com/2015/09/27/world/middleeast/thousands-enter-syriato-join-isis-despite-global-efforts.html>.

وضوحًا من هذه، ومع ذلك، ينخرط المحللون الغربيون في نوبات متواصلة من متلازمة النعامة الطفيلي الانتحارية لحماية السكان من هذه الحقيقة.

التحول الديني شائعٌ في أديان لا عدد لها. على الرغم من ذلك، يبدو أن دينًا واحدًا فحسب هو الذي يدفع المهتمين له، ظاهريًا، إلى ارتكاب الأعمال الإرهابية حول العالم. لم لا «يُسيء» المتحولين حديثًا إلى الجاينية واليهودية التقليدية أو البوذية «تفسير» أديانهم السلمية ويُصبحون إرهابيين؟ وبطريقةٍ أو بأخرى، يبدو أن دينًا واحدًا فحسب يُنتج متحولين دينيين يسيئون على الدوام تفسير عقيدتهم «المسالمة» في جوانبها الأخرى، وأيضًا ترجمتها وفهمها.

تحتفظ كثيرٌ من البلدان بقوائم رسميةٍ للتنظيمات الإرهابية، وعليه، من المفيد دراسة توزيع الأيديولوجيات التي تُشكل حافزًا لجماعات إرهابية مثل هذه. أدرجت في الجدول رقم 2 الجماعات الإرهابية الست وثمانين الحالية المتضمنة في قائمة التنظيمات الإرهابية الأجنبية لدى وزارة الخارجية الأمريكية. واحدة وثمانون بالمائة من الجماعات الإرهابية إسلامية (خمس وخمسون منها). وتشكل جماعتان إرهابيتان أخرى (هما حزب العمال الكردستاني وجبهة / حزب التحرر الشعبي الثوري) من مسلمين بنحوٍ رئيسٍ مع أن أساسهم غير متجذر في الأيديولوجيا الإسلامية. وتحتفظ الحكومة الكندية بقائمة التنظيمات الإرهابية التي تُنظمها وزارة السلامة العامة

الكندية.⁽³⁵¹⁾ أدرجت الوزارة خمس وخمسين جماعة إرهابية يبلغ عدد الإسلامية منها أربعا وأربعين (80%). وتتنوع هذه الجماعات الإسلامية على طول الخطوط الاثنية واللغوية والاقتصادية والسياسية والجغرافية لكنها تتحد في أيديولوجية دينية مشتركة.

يعمل عددٌ من قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية على تعقب الهجمات الإرهابية الموثقة حول العالم. وتشمل هذه القواعد والمواقع قواعد بيانات الإرهاب العالمي في جامعة ميريلاند والوكيبيديا والموقع الإلكتروني المعروف بدين السلام المستمر في حساب عدد الهجمات الإرهابية الإسلامية منذ الحادي عشر من أيلول عام 2001. وبحلول التاسع عشر من تموز في 2019، كان قد وقعت خمس وثلاثون ألف وثلاثمائة وتسع وثلاثون هجمة إرهابية إسلامية في سبعين بلدًا على وجه التقريب.⁽³⁵²⁾ وهذا العدد أعلى، بصورة فلكية، من جميع الأديان الأخرى مجتمعة. وقدم الاتحاد الوطني لدراسة الإرهاب والاستجابات له تقرير خلفية عن الإرهاب العالمي (للعام 2017) تضمن عدد الضحايا الذين لقوا مصرعهم على يد الجماعات الإرهابية الأكثر نشاطًا.⁽³⁵³⁾ قتلت الجماعات الإسلامية

(351) National Security, "الكيانات المدرجة حاليًا", "Currently Listed Entities," Public Safety Canada, May 7, 2019, <https://archive.is/PnSJ9>.

(352) "This Day in History," "هذا اليوم في التاريخ" The Religion of Peace, July 19, 2019, <https://archive.is/Qwzrl>.

(353) Erin Miller, "Global Terrorism in 2017," "الإرهاب العالمي في 2017" National Consortium for the Study of Terrorism and Responses to Terrorism, July 2018, https://www.start.umd.edu/pubs/START_GTD_Overview2017_July2018.pdf.

نسبة مذهلة بلغت 96.6% من الضحايا (19.089 من أصل 19.752).

جدول 2

قائمة وزارة الخارجية الأمريكية للمنظمات الإرهابية الأجنبية⁽³⁵⁴⁾

الجماعات غير الإسلامية	الجماعات الإسلامية
أوم شينريكو	جماعة أبي سيفاف
إيتا - وطن الباسك والحربة	الجماعة الإسلامية
كاخ	حماس
حزب العمال الكردستاني	حركة المجاهدين
جبهة تحرير نمور التاميل، إيلام	حزب الله
جيش التحرير الوطني	جبهة التحرير الفلسطينية
القوات المسلحة الثورية الكولومبية	حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين
جبهة/ حزب التحرير الشعبي الثوري	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
الدرب المضيء	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة
الجيش الجمهوري الإيرلندي الحقيقي	القاعدة
الحزب الشيوعي الفلبيني/الجيش الشعبي الجديد	الحركة الإسلامية في أوزبكستان
الجيش الجمهوري الإيرلندي الدائم	جيش محمد
الكفاح الثوري	لشكر طيبة - جيش المتقين
	كتائب شهداء الأقصى

(354) "Foreign Terrorist Organizations," Bureau of Counterterrorism, U.S. Department of State, مكتب مكافحة الإرهاب, <https://www.state.gov/j/ct/rls/other/des/123085.htm>. (Archived at <https://archive.is/2SMv2>).

	عصبة الأنصار
	القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي
	الجامعة الإسلامية
	لشكر جهنكوي أو جيش جهنكوي
	أنصار الإسلام
	تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (القاعدة في العراق سابقًا)
	اتحاد الجهاد الإسلامي
	حركة الجهاد الإسلامي/بنغلاديش
	حركة الشباب
	كتائب حزب الله
	القاعدة في شبه الجزيرة العربية
	حركة الجهاد الإسلامي/باكستان
	حركة طالبان/باكستان
	جند الله
	جيش الإسلام
	المجاهدون الهنود
	جماعة أنشاروت توحيد
	كتائب عبد الله عزام
	شبكة حقاني
	أنصار الدين/مالي
	بوكو حرام
	جماعة أنصار المسلمين في بلاد السودان
	لواء الملتئمين
	أنصار الشريعة في بنغازي
	أنصار الشريعة في درنة
	أنصار الشريعة في تونس
	تنظيم الدولة الإسلامية - ولاية سيناء (أنصار بيت المقدس سابقًا)
	جبهة النصرة
	مجلس شورى المجاهدين في محيط

	القدس/في أكناف بيت المقدس
	جيش رجال الطريقة النقشبندية
	تنظيم الدولة الإسلامية-ولاية خرسان
	تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام-فرع ليبيا
	القاعدة في شبه الجزيرة الهندية
	حزب المجاهدين
	تنظيم الدولة الإسلامية – بنغلاديش
	تنظيم الدولة الإسلامية – الفلبين
	تنظيم الدولة الإسلامية - أفريقيا الغربية
	تنظيم الدولة الإسلامية-الصحراء الكبرى
	كتاب الأُشتر
	جماعة نصره الإسلام والمسلمين
	قوات الحرس الثوري الإسلامي

دراسات مسحية عالمية، أنماط عالمية من كراهية اليهود، قرائن
عالمية

تتوفر العديد من المصادر العالمية للبيانات التي تتعقب مواقف
الأفراد نحو قيم المجتمعات الحديثة والمتنورة والليبرالية. خذ مثلاً
مركز پيو للأبحاث، وهو منظمة موضوعية وغير حزبية تُجري
دراسات مسحية عالمية عن عددٍ كبيرٍ من القضايا. كشفت دراسةٌ
مسحيةٌ أجراها المركز في 2010 عن المدى الذي يحمل فيه الناس من

البلدان الإسلامية آراءً سلبيةً عن اليهود.⁽³⁵⁵⁾ وكرهية اليهود هي تحذيرٌ مسبقٌ عندما يتعلق الأمر بقياس تحيزات الكراهية في مجتمع ما. اعترف 98٪ من المشاركين في المسح في لبنان أنهم يحملون آراءً سلبيةً عن اليهود، وبلغت النسبة في الأردن 97٪ ومثلها في الأراضي الفلسطينية، وانخفضت إلى 95٪ في مصر و78٪ في باكستان، و74٪ في أندونيسيا و73٪ في تركيا، وبلغ عدد المسلمين الذين يبغضون اليهود في نيجيريا 60٪ في مقابل نسبة تافهة نسبيًا من المسيحيين الكارهين لليهود هي 28٪، وبلغت النسبة بين العرب الإسرائيليين 35٪. وقدمت رابطة مكافحة التشهير تقريرًا عالميًا عن كراهية اليهود باستخدام مقابلات مع 53,100 فردٍ أجرتها بين تموز 2013 وشباط 2014 في واحدٍ ومائة بلدٍ مضافًا إلى الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة).⁽³⁵⁶⁾ وفي الآتي قائمة بالبلدان الستة عشرة الأكثر معاداةً للسامية، في ترتيبٍ تنازليٍّ لجهة شدة الكراهية، وهي: الضفة الغربية وقطاع غزة والعراق واليمن والجزائر وليبيا وتونس والكويت والبحرين والأردن والمغرب وقطر والإمارات العربية المتحدة ولبنان وعمان ومصر والمملكة العربية السعودية. لو كانت هناك طريقةٌ واحدةٌ فحسب للكشف عن مُسمى موحدٍ لقلاع الحب

(355) "Mixed Views of Religious Groups," "آراءٌ إزاء الجماعات الدينية" Views of Religious Groups in Largely Muslim Nations, Pew Research Center, February 4, 2010, <https://www.pewglobal.org/2010/02/04/chapter-3-views-of-religious-groups/>.

(356) "An Index of Anti-Semitism," "دليل معاداة السامية" Anti-Defamation League, <https://global100.adl.org/map>.

والسّلام والتّسامح هذه.

وتؤلف دراسة مواقف المجتمع حيال المثليين مؤشراً قيماً آخرًا على التّسامح. إذ نفذ مركز پيو دراسة مسحية عالمية في 2013 سأل فيها المستجيبين هل يجب على المجتمع أن يرفض المثلية الجنسية.⁽³⁵⁷⁾ تصدر البلدان الإسلامية غيرها لجهة عدم التّسامح إزاء المثليين. وهذه بعض البيانات ذات الصّلة بالنّسبة المئوية التي بلغت 98% في السنغال و97% في الأردن و95% في مصر و94% في تونس و93% في الأراضي الفلسطينية ومثلها في أندونيسيا و87% في باكستان و86% في ماليزيا و80% في لبنان و78% في تركيا. ومن المحتمل أن يهتم الناشطون في حركة المثليين ومزدوجي التّوجه الجنسي والمتحولين جنسيًا والشّواذ (LGBTQ) الغربية الذين ينتمون إلى [حركة] شواذ فلسطين أو يدعمونها في معرفة أن إسرائيل (يشمل ذلك حتّى سكانها من المسلمين) تبدي تسامحًا مع المثليين يصل إلى ضعف ما تبديه فلسطين. وبالمناسبة، قد يُحكّم بالموت على [ممارسي] المثلية في عشرة بلدان هي: اليمن وإيران وموريتانيا ونيجيريا وقطر والمملكة العربيّة السّعودية وأفغانستان والصومال والسّودان والإمارات العربيّة المتّحدة.⁽³⁵⁸⁾

(357) "The Global Divide on Homosexuality," الانقسام العالمي بشأن المثلية

Pew Research Center, June 4, 2013,

<https://www.pewglobal.org/2013/06/04/the-global-divide-on-homosexuality/>.

(358) Max Bearak and Darla Cameron, "Here Are the 10 Countries Where Homosexuality May Be Punished by Death," الدّول العشرة التي قد تُعاقب فيها

ما مدى جودة أداء النساء حول العالم؟ أصدر المنتدى الاقتصادي العالمي «التقرير العالمي لفجوة النوع الاجتماعي» في 2018 حيث جرى ترتيب البلدان بناءً على الفجوات في النوع الاجتماعي في أربعة مجالات هي: الصحة والتعليم والاقتصاد والسياسة.⁽³⁵⁹⁾ وفي أدناه البلدان العشرون الأسوأ مرتبة تنازلياً من بين البلدان المائة وتسعة وأربعين التي شملها التقرير: تركيا وساحل العاج والبحرين ونيجيريا وتوغو ومصر وموريتانيا والمغرب والأردن وعمان ولبنان و المملكة العربية السعودية وإيران ومالي وجمهورية كونغو الديمقراطية وتشاد وسوريا والعراق وباكستان واليمن.

وأصدرت مؤسسة النهوض بالحرية، وهي مركز بحثي ليبرالي إسباني، في 2018 مؤشرها العالمي للحرية الأخلاقية، إذ جرى تصنيف مائة وستين بلداً على وفق درجة مُركبة مؤلفة من خمسة قياسات للحرية.⁽³⁶⁰⁾ وفي أدناه الترتيب التنازلي للبلدان الثلاثة عشر الأسوأ في هذا المجال: ليبيا وعمان والجزائر وبروناي وباكستان وإيران ومصر وأفغانستان والكويت وقطر والعراق والإمارات

المثلية بالموت " *Washington Post*, June 16, 2016,

<https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2016/06/13/her-e-are-the-10-countries-where-homosexuality-may-be-punished-by-death->
(359) "The Global Gender Gap Report," World Economic Forum, 2018, http://www3.weforum.org/docs/WEF_GGGR_2018.pdf.

(360) Juan Pina and Emma Watson, "World Index of Moral Freedom," "الدليل العالمي للحرية الأخلاقية"

Freedom Press, July 2018, <http://www.fundalib.org/wp-content/uploads/2018/07/World-Index-of-Moral-Freedom-2018.pdf>.

العربية المتحدة واليمن التي على الرغم من تباينها من حيث القياسات الاثنية والعرقية واللغوية والاقتصادية والاجتماعية- السياسية، إلا أنها تشترك في شيء واحد.

يؤمن الغرب بحرية الضمير بقدر تعلق الأمر بالدين. لكن ليس جميع بلدان العالم تشاطره وجهة النظر هذه. إذ تضم قائمة البلدان التي تفرض عقوبة الموت على الإلحاد كلاً من أفغانستان وإيران وماليزيا والمالديف وموريتانيا ونيجيريا وباكستان وقطر والمملكة العربية السعودية والصومال والسودان والإمارات العربية المتحدة واليمن.⁽³⁶¹⁾ وإضافةً إلى ذلك، شمل مركز پيو للأبحاث في دراسته البلدان التي تُفرض في فرض القيود الحكومية على الدين.⁽³⁶²⁾ والبلدان التسعة عشر الأسوأ في هذا المجال التي ظهرت بعد تجميع البيانات من الدراسات المسحية لعامي 2013 و2014 هي: الصين وأندونيسيا وأوزبكستان وإيران ومصر وأفغانستان وماليزيا وبورما وروسيا وسوريا وتركيا وأذربيجان والسودان وبروناي وأرتيريا وكازاخستان وتركمنستان ولاوس والمالديف. وتُشكل الأمم ذات

(361) Abby Ohlheiser, "There Are 13 Countries Where Atheism Is Punishable by Death," *The Atlantic*, December 10, 2013, <https://www.theatlantic.com/international/archive/2013/12/13-countries-where-atheism-punishable-death/355961/>.

(362) "Number of Countries with Very High Restrictions and Hostilities Went Down in 2014," Pew Research Center, June 23, 2016, <https://www.pewforum.org/2016/06/23/number-of-countries-with-very-high-restrictions-and-hostilities-wentdown-in-2014/>.

الأغلبية المسلمة 75٪ من البلدان الأسوأ في هذا المجال.

إن بناء هذه الشبكة التقنية، المؤلفة من أدلة تراكمية توكيدية متباينة، لا يمثل، بطبيعة الحال، هجوماً على المسلمين. بل هو تطبيقٌ لمقاربة إبستمولوجية موضوعية لمحصن أيديولوجية، ومعرفة فيما إذا كانت تُعزز السلام والتعددية والتحرر. والنتيجة التي خلص إليها هذا التحليل صادقةٌ على الرغم من أن الأغلبية العظمى من المسلمين لطفاء ومحترمون بلا أدنى شك. يجب أن يتحلى الناس، في مجتمع حرٍ، بالقدرة على تحليل بيانات مثل هذه من دون اتهامهم بالتعصب والتحيز. وهذه هي الطريقة التي نتوصل بها إلى الحقيقة.

إن تطبيق الشبكات التقنية للأدلة التراكمية مهمٌ للعديد من القضايا «الساخنة» المعاصرة الأخرى. فكر مثلاً في السجلات المتواصلة بشأن التغير المناخي الذي يُحدثه الإنسان، والنقاش المُحمل بالمناشدات العاطفية الهستيرية مثلما تُجسدها غريتا ثنبرغ، الناشطة السويدية ذات السبعة عشر ربيعاً، التي أعلنت في خطابها الغاضب والمراثي والأخروي أن فشل البالغين الغربيين في أن يفعلوا شيئاً بشأن التغير المناخي قد سلبها والأجيال في المستقبل براءة الطفولة. يُمكن توظيف هذه الشبكات في دراسة المدى الذي يكون فيه التغير المناخي من صنع الإنسان، وبالتالي، استكشاف أنواع إستراتيجيات التدخل القابلة للتطبيق والعملية والعقلانية. والمطالبة بإجراء تحليلٍ مثل هذا لا يجعل المرء «ناكراً للتغير المناخي» أو «ناكراً للعلم».

إن الشبكات التقنية للأدلة التراكمية تُحصننا من الرمال

المتحركة لثرهات الشّعور بالرضا والمناشدات العاطفية. دع عقلك
- لا انفعالاتك العاطفية المضللة أو الأيديولوجيات القبلية - يُحدد
مواقفك. إن التحلي بحكمةٍ حقيقيةٍ يتطلب منا أن نُميز المجالات
التي يرشدها عقلنا بشكل أفضل في مقابل المجالات التي توجهها
انفعالاتنا بأفضل صورةٍ ممكنةٍ. حافظ على التزامك بـ 'قبيلة الحقيقة'
عن طريق تطبيق الأداة الإستمولوجية الفاعلة قيد البحث في هذا
الفصل في تحديد موقفك. اسأل نفسك: ما الأدلة التراكمية التي
احتاجها لحشد الدعم لموقفي؟ تُشكل هذه الشبكات أداةً قويةً
وفاعلةً يُمكننا بوساطتها تجميع المعلومات المُعقدة في سعينا للتوصل
إلى قرارات عقلانية.

الفصل الثامن

دعوة للفعل

جاؤوا أولاً

جاؤوا أولاً إلى الشيوخ،

لكنني التزمت الصمت،

لم أنطق ببنت شفة،

لأنني ما كنت شيوخياً.

ثم جاؤوا إلى النقبانيين،

لكنني التزمت الصمت،

ولم أرفع صوتي،

لأنني ما كنت نقابياً.

جاؤوا لاحقاً إلى اليهود،

غير أنني لم أحرك ساكناً،

لم أقل كلمةً واحدةً،
لأنني ما كنت يهوديًا.
جاؤوا بعد ذلك إلي،
لكن، لم يتبق أحدٌ،
ليرفع صوته من أجلي.

(مارتن نيمولر، قس ألماني). (363)

«يأتي وقتٌ ما يكون الصمتُ فيه خيانةً».

(مقتبس عن مارتن لوثر كنج الابن) (364)

لأن جميع الأشياء متساويةٌ، سواء أكنت تتحدث عن صراع
عسكري أم معركة أفكارٍ، فمن الأفضل عمومًا أن تمتلك جيشًا كبيرًا
لا صغيرًا. وكلما زاد عدد المدافعين عن قيمنا الجوهرية، تعززت
فرص انتصارنا على أعداء العقل. ومع ذلك، يفشل عددٌ لا يحصى من

(363) للاستزادة بشأن النقاش المعني بالنسخ المختلفة لهذا الاقتباس، انظر:

Harold Marcuse, "Versions in Niemoller's Publications," UC Santa Barbara faculty page, last updated July 14, 2020, "نسخٌ في إصدارات نيمولر", صفحة الهيئة التدريسية لكلية سانتا بربارا، جامعة كاليفورنيا، آخر تحديث في 14 تموز، 2020 <http://www.history.ucsb.edu/faculty/marcuse/niem.htm#versions>.

(364) Martin Luther King Jr. "Beyond Vietnam," King Institute, April 4, 1967, <https://kinginstitute.stanford.edu/king-papers/documents/beyond-vietnam>.

الأفراد الذين يشاطروننا هذه القيم في التحدث علناً. والأسباب كثيرة.

أكثرية الناس مشغولون للغاية إذ يغفلون عن مخاطر مُسببات الأمراض، أو يفترضون خطأً أن هذه المُسببات غير مهمة. تحدث عملية تغلغل الحركات المناهضة للعلم والعقل وغير الليبرالية ببطء وتدرجياً من دون أن يعي الناس المشكلة الأكبر. وبالنتيجة، يقع الموت البطيء والمؤلم للغرب بآلاف من الممارسات غير الملحوظة وغير المرفوضة في آنٍ معاً. وبدلاً من تجاهل المشكلة، -أعرف أنها بينما تؤثر في الآخرين اليوم، فإنها قد تؤثر فيك غداً - قد لا يكون لديك أولادٌ في الجامعة، لكنك إن كُنْتَ تعمل في شركةٍ ما، أو ربما تكون صاحب شركة أو مالِكاً لنشاطٍ تجاري، فإنَّ خبل الحرم الجامعي سيؤثر في عمك قريباً - إن لم يكن قد أثر فيه سلفاً - وربما يبدأ الأمر بقسم الموارد البشرية في شركتك وفرض قواعد تنظيمية حكومية «تقدمية» تستلزم الالتزام بعبادة التنوع والشمول والإنصاف. يوجد سلفاً في أوروبا مناطق شريعة منعزلة يُحظر على الكافرين الدخول إليها (والشرطة أيضاً). قد لا توجد هذه المناطق في مدينتك إلى حد الآن، إلا أن سياسات الهجرة في بلدك (ومتلازمة النعامة الطفيلي) قد تجلب معها هذه المناطق المحظورة عاجلاً لا آجلاً.

سببٌ آخر لتردد النَّاس في الانضمام إلى [صفوف المقاتلين] في معركة الأفكار هو ما نطلق عليه «تشتت المسؤولية» أو «تأثير المتفرج». وثق عالما النَّفس، (جون دارلي) و (بيب لاتان) في نهاية

ستينيات القرن العشرين، ما يبدو للوهلة الأولى مُضادًا للحدس. إذ كلما زاد عدد الحاضرين، انخفض احتمال أن يمد الفرد يد العون إلى شخصٍ بحاجةٍ إليه؛ لأنه من السهل التفكير منطقيًا أن شخصًا آخرًا سيفعل ذلك. من السهل تشتيت المسؤولية وتحويلها للراغبين في إقحام أنفسهم في هذا الأمر والمخاطرة بحياتهم: «شكرًا لك، دكتور سعد لأنك تعمل بالنيابة عنا. أدمع جهودك حقًا. يُمكنك أن تفعلها». كلا، لا يُمكنني. لكل منا صوته الخاص. نشط إحساسك بالمسؤولية الشخصية. لديك القدرة على فعل شيء ما. شارك. لا تكن متفرجًا بينما تُنادي الحقيقة والعقل والمنطق عليك لمساعدتها. لا تتخلَّ عن صوتك للآخرين. تخلص من الرقابة الذاتية. لك ولأطفالك حصةٌ في نتيجة هذه المعركة، لذا، لا تخشى المجاهرة برأيك. لا تستلم لمأساة المشاع أو المشاعات (التي رُوج لها عالم البيئة غاريت هاردن في 1968)، المتمثلة في هذه الحالة بتراجيديا التخاذل الجماعي.

لا تعرف معركة الأفكار حدودًا لها، ولذا، هناك الكثير لفعله. فإذا كُنت طالبًا وسمعت أساتذتك يتفوهون بترهات ما بعد الحداثة أو يقذفون بالتفاهات المناهضة للعلم، تحداهم بأدبٍ وبأسلوبٍ بناء. وإذا كُنت متفرجًا وكانت كليتك الأم تنتهك التزامها بحرية التعبير عن الرأى والتفكير، أسحب تبرعاتك - وأعلمها بالسبب. وإذا كان أصدقائك في الفيس بوك ينشرون تعليقات لا تتفق معها، ناقشهم وقدم وجهة نظرٍ بديلة. لا تخش الخسارة المحتملة للصدقة. فأَي شخصٍ يرغب في إنهاء علاقةٍ لخلافٍ معقولٍ في الرأى لا يستحق صداقتك. وإذا كُنت جالسًا في حانةٍ محليةٍ واشتركت في الحديث عن

موضوع حساس، لا تُحجم عن التصريح بما تفكر به. وإذا كان السياسيون الذين تؤيدهم يدعون للصوابية السياسية الانتحارية، صوت لصالح سلبهم المنصب. فاز دونالد ترامب برئاسة الولايات المتحدة في 2016 لأن أغلبية انتخابية صامتة في وسط أمريكا صرخت في صندوق الاقتراع: «سئنا من الخضوع للصوابية. سئنا من التفاهات الصائبة سياسياً. تعبنا من سياسات الهوية وأخلاقيات المظلومية. سئنا من وسائل الإعلام الرئيسة المتحيزة بإفراط». فاز هؤلاء بفضل تعبيرهم عن شعورهم بالإحباط واليأس في يوم الانتخاب.

كن مؤمناً بقوة صوتك

أسبغت وسائل التواصل الاجتماعي الطابع الديمقراطي على منصات التواصل -على الرغم من الإجراءات العدوانية التي اتخذتها التكنولوجيا العملاقة لتكميم بعض الأصوات أو معاقبتها- وبصرف النظر عن صغر حجم منصتك التواصلية في البداية، فإنها من الممكن أن تحقق نمواً هائلاً. شقّ (مارك داوسن) طريقه ليكون كاتب روايات الإثارة الأعلى مبيعاً بعد أن كان ينشر أعماله ذاتياً، وهو يجني حالياً دخلاً سنوياً معتبراً. ورواية (المرنجي) التي نشرها (أندي وير) رقمياً، في الأصل، ثم باعها في موقع كندل لقاء تسعة وتسعين سنتاً للنسخة الواحدة، تحولت في النهاية إلى أحد أكثر أفلام هوليوود رواجاً، إذ أخرجه (رايدلي سكوت) وأدى دور البطولة فيه (مات

ديمون).⁽³⁶⁵⁾ و (بيو دي باي) Pew Die Pie قناة في اليوتيوب يُقدّمها معلق ألعاب الفيديو السويدي، (فيلكس شالبرغ). إنها إحدى القنوات الأكثر شعبية بعددٍ من المشتركين يفوق المائة مليون، ومشاهدات فاقت خمسة وعشرين مليارًا (حتى أيار 2020). ويبلغ الدّخل السنوي الذي يجنيه (شالبرغ) في الوقت الحاضر أكثر من عشرة ملايين دولار، وهو ليس سيئًا لشخصٍ انقطع عن الدراسة في الجامعة. وأنشأ (جوروغان) الذي وطدت معه علاقة صداقة لطيفة، موقع التدوين الصوتي (البودكاست) الأكثر شعبيةً، إذ يعقد حوارات طويلةً مع مجموعةٍ مُنتخبةٍ بعنايةٍ من الضيوف تتضمن علماء، ورواد أعمال، ورياضيين، وممثلين، ومؤدين كوميديين مع أنها لا تقتصر عليهم. ويصل عدد مرّات تحميل تدوينه الصوتي سنويًا إلى مئات الملايين. كيف بدأ (روغان)؟ كان منقطعًا عن الدّراسة في الكلية، بمسيرةٍ مهنيةٍ قصيرةٍ في ممارسة الفنون القتالية ومسيرةٍ أطول بوصفه ممثلًا لكوميديا الوقوف (ستاند أب كوميدى) ومضيفًا في التّلفاز ومعلقًا في بطولة الفنون القتالية النّهائية. وقد كوفت بسخاء عقليته المتفتحة ورغبته في إشراك طيفٍ واسعٍ من الأفراد (وهو

(365) Danuta Kean, "Show Me the Money!": The Self-Published Authors Being Snapped Up by Hollywood," أرني النقود!: هوليوود تستحوذ على المؤلفين "The Guardian, May 15, 2017, <https://www.theguardian.com/books/2017/may/15/self-publishedauthors-hollywood-andy-weir-the-martian-el-james>;

Lynn Neary, "The Martian' Started as a Self-Published Book," فلم المريخي 'بدأ" بوصفه كتابًا مطبوع ذاتيًا NPR, February 27, 2016, <https://www.npr.org/2016/02/27/468402296/-the-martian-started-as-a-self-publishedbook>.

التقيض لما يحدث في عُرف الصّدي). كسب (روغان) ثلاثين مليون دولار في العام الماضي لقاء تدوينه الصوتي فقط.⁽³⁶⁶⁾ وبالمثل، بدأ (ديف روبن) مسيرته بوصفه ممثلًا في كوميديا الوقوف، لكنه يعمل اليوم مقدمًا لبرنامجٍ مستقلٍ هو (تقرير روبن) إذ يعقد حواراتٍ مُجدية مع أشخاص من الطيف السياسي - ولديه أكثر من مليون من المشتركين، وأكثر من مائتين وستين من المشاهدات الكلية حتى شهر حزيران عام 2020. ومع إقرارنا أن أكثرية الذين ينشرون ذاتيًا أو ينشؤون قناة يوتيوب قد لا يحصلون على جمهورٍ بمئات الآلاف، لكن لكل صوت أهميته في معركة الأفكار، حتى لو كانت دائرة تأثيرك محصورةً بالأسرة والأصدقاء والجيران.

لا تحشّ الحكم على الآخرين أو الإساءة إليهم

يشعر كثيرٌ من الناس، بطبيعة الحال، بالقلق من توتر علاقة الصّداقة إذا ما تطرقوا إلى موضوعات حساسة. بيد أن الصّداقات الحقيقية هي بالضبط الصّداقات التي يجب أن تتحمل التّوتر الذي تُحدثه حوارات من هذا النوع. علاقة الصّداقة العميقة يجب أن تكون مقاومة للكسر (باستخدام المفهوم الذي قدمه نسيم نيكولاس

(366) Lisette Voytko, "Joe Rogan—Controversial Backer Of Bernie Sanders-Is the Top-Earning Podcaster, Making \$30 Million a Year," جو روغان-الداعم المُثير للجدل لبرني ساندر- الأعلى أجرًا بين المدونين الصوتيين، بحصوله على ثلاثين مليون دولار سنويًا *Forbes*, February 3, 2020, <https://www.forbes.com/sites/lisettevoytko/2020/02/03/joe-rogancontroversial-backer-of-bernie-sanders-is-the-top-earningpodcaster-making-30-million-a-year/#358f07a049c4>.

طالب). أدلى المؤرخ الإنكليزي (هنري ثوماس) باكل بملاحظته المعروفة الآتية: «يُصنف الرجال والنساء أنفسهم في ثلاث طبقات أو ثلاث مراتب من الذكاء؛ بوسعك معرفة الطبقة الأدنى عن طريق لحظ إدمان أفرادها عادة الحديث عن الأشخاص؛ والطبقة التالية عن طريق لحظ إدمانهم عادة الحديث عن الأشياء؛ أما الطبقة الأعلى، فيمكنك التعرف إليها بلحظ تفضيل أفرادها مناقشة الأفكار».⁽³⁶⁷⁾

وأود أن أقول، على سبيل الجدل، أن تصنيفًا مماثلًا يعكس قوة الصداقة: فالثرثرة الفارغة مناسبة تمامًا لإذابة الجليد مع غرباء والانخراط في المزاح مع معارف؛ ويجب أن تُشكل الحوارات المثمرة العميقة بشأن الأفكار المهمة في السياسة والدينمظهرًا أساسيًا في أي علاقة صداقة قيمة. وإذا كان الأصدقاء المزعومين غير قادرين على قبول الاختلاف بالرأي بشأن مسألة جوهرية، فإنهم، بالتالي، غير جديرين بصداقتك. ويخطر في البال هنا مقولتان فرنسيتان بليغتان، هما: «البقاء وحيدًا أفضل من الصحبة السيئة» و«قل لي من تصاحب، أقول لك من أنت». البشر أنواع اجتماعية. ونحن نزدهي عاطفيًا ومعرفيًا عندما نرتبط بعلاقات صداقة وطيدة. ويجب علينا، في سعينا لنيل السعادة، أن نسعى جاهدين لتوطيد علاقات صداقة مع أفرادٍ يمكننا معهم أن نختبر المدى الكامل للتفاعل الذهني. وهذا لن يحدث إذا تملكنا الخوف من الاختلاف مع أصدقائنا المقربين بشأن

(367) Charles Stewart, *Haud Immemor: Reminiscences of Legal and Social Life in Edinburgh and London 1850-1900* نكريات عن الحياة القضائية 1850-1900 (Edinburgh, Scotland: William Blackwood & Sons, 1901), 33.

القضايا الجوهرية. اختر أصدقاءك بعناية وحكمة.

وبطريقة مماثلة، يشعر كثيرٌ من ذوي النوايا الحسنة بالخوف من الحكم على الآخرين.⁽³⁶⁸⁾ تضم القائمة التي أعدها قاموس كامبرج المرادفات الآتية لعبارة عدم إصدار الأحكام مُضافاً إلى مفردات أخرى متصلة بها: متفتح الذهن ومتنور والتفكير الحرّ، وتكاملي وليبرالي وعش ودع الآخرين يعيشون (تعبير اصطلاحي) ومجتمع متساهل ومتسامح.⁽³⁶⁹⁾ ضع في الاعتبار التعبيرات العامة التي تعكس هذا النفور من إصدار الأحكام: من أنت لتحكم؟ ليس لي الحق في الحكم ولا أحكم عليك. ما مصدر هذا التحفظ والتكتم؟ تأسس الغرب على قاعدة من الروايات اليهودية - المسيحية، ويفترض كثيرٌ من الناس، بحسب الدين المسيحي، أن الحكم على الآخرين يمكن أن يكون خطيئةً. وتحتوي العديد من الأناجيل على تعاليم تنهى عن الحكم على الآخرين.⁽³⁷⁰⁾ في مقطع الزانية (إنجيل يوحنا 7: 53-8: 11)، يقول المسيح: «من كان منكم بلا خطيئة، فليكن أوّل من يرميها بحجر». (في إشارة إلى قرب رجم امرأة زانية)، وفي إنجيل متي 7: 1-2: «لا تدينوا لكي لا تُدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تُدينون تُدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم». وفي

(368) Gad Saad, "Judging Those Who Never Judge," صدر "Psychology Today, August 20, 2014, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homoconsumericus/201408/judging-those-who-never-judge>.

(369) "Non-judgmental," صدر الأحكام "Cambridge Dictionary, <https://archive.is/1E6yy>.

(370) جميع الاقتباسات الأربعة مأخوذة من النسخة الدولية الجديدة.

إنجيل لوقا 6: 37، نجد: «ولا تدينوا، فلا تُدانوا. لا تحكموا على أحد، فلا يُحكم عليكم. أغفروا، يُغفر لكم». وأخيرًا، تقول رسالة يعقوب 4: 12 الآتي: «واحدٌ هو واضع الناموس القادر أن يُخلص ويهلك، فمن أنت يا من تُدين غيرك؟» يُفسر كثيرٌ من الناس هذه التعاليم أنها تُلمح ضمناً إلى أن فعل الحكم [الشخصي] محرّم إلهياً، إنه أمرٌ كوني يقضي أن تعيش وتدع الآخرين يعيشون. لكن هذا غير صحيح؛ لهذه التعاليم صلةٌ بالنفاق الأخلاقي. يجب أن نحكم على من يتقياً الأكاذيب والمغالطات. وأنا أفعل ذلك يومياً.

وفضلاً عن ذلك، تقف النسبية الثقافية حائلاً دون إصدار الناس للأحكام، لا سيما ضدّ الممارسات الدينية والثقافية المقيتة في جوانبها الأخرى. لقد لُقت عدة أجيال من طلبة الجامعات اعتقاداً خاطئاً هو أنه من الحماسة، إن لم يكن تعصباً، أن نحكم على أشخاص من خلفيات اثنية ودينية مختلفة، لا سيما إذا كُنت غربياً أبيض.

استضافت جامعة نوتردام، في نيسان عام 2011، جلسة نقاشيةً بين (وليم لين كريغ) (رجل دين مسيحي) و (سام هاريس) (عالم أعصاب مُلحد) حول الأسس الطبيعية في مقابل الخارقة للطبيعية للأخلاق. روى (هاريس) في أثناء الجلسة، حكايةً تُلخص ببراءة العمى الأخلاقي الذي تُسببه النسبية الثقافية. تتمحور الحكاية حول حوارٍ له مع إحدى المتعينات في مجلس الأخلاقيات الأحيائية الذي

قالت المتعينة لي: «كيف واتتك الجراءة على القول إن إجبار النساء على ارتداء البرقع خاطئ من وجهة نظر العلم؟» فقلت لها: «حسنًا، لأنني أظن أنه من الواضح تمامًا أن الصواب والخطأ يرتبطان برخاء الإنسان، وأن من الظاهر والصريح أن إجبار نصف السكان على العيش في أكياسٍ من القماش وضربهن أو قتلهن عند محاولتهن الخلاص، ليس الطريق إلى تحسين وضع البشر ورفاهيتهم». فقالت لي: «حسنًا، هذا رأيك أنت فحسب». فأجبتها: «حسنًا، دعينا نُسهل المسألة أكثر. دعينا نفترض أن هناك ثقافة ما تفقأ عيون كل طفل ثالث، حسنًا، عند الولادة. هل ستتفقين عندها أننا قد وجدنا ثقافة لا تحقق أقصى قدرٍ ممكنٍ من الرفاهية؟» فقالت: «سيعتمد ذلك على سبب فعلهم ذلك». وبعد زوال الشعور بالدهشة عني، قلت لها: «حسنًا، لنقل إنهم كانوا يفعلون ذلك لأسبابٍ دينيةٍ. لنقل إن لديهم نصًا مؤداه: 'السير في الظلام هو مصير كل ثالثٍ'، أو شيءٍ سخيفٍ على شاكلة ذلك». ثم أخبرتني: «حسنًا، عندها، لا يُمكنك أن تقول إنهم كانوا مخطئين».

أوضح (هاريس) أن لدى هذا السيدة ذاتها تحفظات أخلاقية

(371) William Lane Craig and Sam Harris, "Is the Foundation of Morality Natural or Supernatural? The Craig-Harris Debate," Reasonable Faith with William Lane Craig, "هل أساس النقاش بين كريغ وهاريس. الاعتقاد العقلاني مع وليم" April 2011, <https://www.reasonablefaith.org/media/debates/is-the-foundation-of-morality-natural>.

قوية بشأن استخدام تصوير الدماغ بوصفها تقنية لتعقب الكذب مع الإرهابيين المعتقلين. أدعوك أن تتوقف لحظةً في دهشةٍ عن مدى انحراف البوصلة الأخلاقية لهذه السيدة التي تجاهلت بقسوةٍ وبرودٍ فقاً عيون الأطفال ما دام أن الغاية من تنفيذ هذا الفعل الوحشي هو خدمة معتقد ديني بشعٍ وشائهِ. لم تكن هذه السيدة تشعر بأي انزعاج من إجبار النساء على ارتداء البرقع، لأن ذلك يصب في خدمة معتقد ديني إسلامي. لكنك لا تجرؤ على انتهاك الحرية العصبية لأيّ إرهابي. لقد استسلمت هذه السيدة الفاقدة للأخلاق والمتخبطة لتحيزين هما: حالة مُدمرة من النسبية الثقافية ممزوجةً بأخلاقيات الجلد الذاتي الثقافي. كانت سعيدة للغاية بأن تقيس ثقافتها إزاء معايير أخلاقية ذات طبيعة عقابية متشددة في التعامل مع إرهابي مقبوض عليه، لكنها عجزت عن الحكم على سلوك وحشية يمارسها أفراد من ثقافات أو أديان أخرى. هذه هي ذروة الجُبن الأخلاقي.

أن تحكم يعني أن تكون إنساناً. ولذا، من الطبيعي تماماً أن تحكم على الآخرين. إن إصدار الأحكام هو جزء جوهري من كيائك بوصفك بالغاً يعمل بكفايةٍ وجودةٍ إضافةً إلى أن عملية الحكم بين عدة بدائل متنافسة تمثل مظهرًا أساسيًا في صنع القرار البشري. وهذا هو تحديدًا السبب في إصدار 'جمعية الحكم وصنع القرار' مجلتها الرئيسة/الحكم وصنع القرار. فنحن نقرر الأشخاص الذين نُدخلهم ضمن الدائرة المقربة لأصدقائنا، ونحكم بين الخاطبين المحتملين الكثيرين قبل اختيار الشريك النهائي للزواج منه. ونحكم أيضًا على أداء طلبتنا والعاملين لدينا. الحياة محتشدة بأحكام لا عدد لها. ولو

سألتك أن تفكر بالأشخاص الذين تعدّهم الأكثر جدارة بالاهتمام، فإنهم، على الأرجح، سيشترون في شيء واحد: إنهم يصدرون الأحكام ويعبرون عن آرائهم ويتبنون مواقف. والمتفرون الذين يقفون جانباً، ويلفون ويدورون بشأن مزايا وعيوب كلّ مسألة محتملة من دون أن يصدروا حكماً فيها قط مملون للغاية. ألا تحكم قط يعني أنك جبان مثقف؛ لأن امتناعك عن إصدار حكم هو بمنزلة وثيقة تأمين تجنبك احتمالية أن تكون شخصيةً مستقطبةً. والمفكرون المعروفون الأكثر جاذبيةً وتأثيراً هم تحديداً المفكرون الذين يصدرون أحكامهم ويدلون بآرائهم في الكثير من المسائل. و(ثوماس سوول) والراحل (كريستوفر هيتجنز) مفكران معروفان رائدان في العقود الأربعة الماضية تحديداً؛ لأنها لم يترددا في التصريح بآرائهما بشأن مسائل مثيرة للجدل. وبالطبع، لا تصدر جميع الأحكام متساويةً. فالفرق بين المؤدّج الذي يصدر الأحكام والمفكر الذي يفعل ذلك هو مسار العملية التي تؤدّي بكلّ واحدٍ منهما إلى التوصل إلى الموقف المعني. وطالما يوظف المرء حججاً معقولة وواضحة المعالم في دعم أحكامه، سيكون إصداره للحكم مقبولاً لا شك.

لا تلوح بالفضيلة

في كل مرة يقع فيها تفجير إرهابي في إحدى المدن الغربية، تفعل حشود مقرّفة من الجبناء أحد شيئين: (1) تغيير صور حسابات وسائل التّواصل الاجتماعي الخاصة بهم إلى علم البلد الذي تعرض للهجوم؛ و(2) مشاركة وسم (هاشتاك) في منصة تويتر للتعبير عن

تضامنهم مع قضية معينة (وسم 'أنا شارلي' بعد الهجمات الإرهابية على مكتب مجلة شارلي إيبدو في باريس، ووسم 'أعيدوا لنا' بناتنا الذي روجت له (ميشيل أوباما) دعمًا للفتيات النيجيريات اللاتي اختطفتهن حركة بوكو حرام). يسعى السياسيون إلى أن يبرز بعضهم بعضًا في تقديم عبارات المواساة «القلبية الصادقة» الفارغة مع أنهم يستمرون في العديد من الحالات في تشريع سياسات مسؤولة مسؤولة مباشرة عن الهجمات الإرهابية المعنية. وهذه المساعي عديمة الجدوى تمامًا في الأغلبية العظمى من الحالات، إذ لا غاية تُرتجى منها سوى الإعلان عن الفضيلة المزعومة أمام العالم (وتبعًا لذلك، عبارة التلويح بالفضيلة). إنها أحد أشكال التضخيم الذاتي المُبتذل والمجاني الذي يُغذي شعور المرء بالأنا. يجب أن أكون شخصًا جيدًا يُبدي اهتمامًا حقيقيًا مثلما يظهر في وسمي التَّقديمي. ليس هناك شيء أبعد عن الحقيقة من ذلك، ومن يشترك في أفعال تلويح تافهة ومبتذلة مثل هذه جبانٌ وخانعٌ. وسأوظف بعض المبادئ الجوهرية من علم الأحياء التطوري لشرح السبب في ذلك.

تذكر أن الكفاح من أجل الحياة ينطوي على نوعين أساسيين من التّحدي: البقاء والتكاثر. ويتعين على الكائنات الحية الفردية، في الأنواع جنسية التكاثر ضمان بقائهم على قيد الحياة حتى سنّ التكاثر الذي يجب عنده أن يحوزوا خصائص مطلوبة مرغوب بها لجذب شريكٍ مناسبٍ. وتتطور التّكيّفات إمّا لأنها تمنح الكائن الحي ميزة القدرة على البقاء وإمّا لأنها تُثمر ميزة تكاثر. ويُمكن لهذين النوعين الأساسيين من التّحدي، بقدر تعلق الأمر بالبقاء، أن يُحتزلا إلى:

الحصول على الطعام وتجنب التحول إلى طعام لكائنٍ آخر. إذ تطوّرت مناقير طيور البرقش، وفقاً لـ (داروين) إلى أشكالٍ مختلفة نتيجةً لضغوط الانتقاء في بيئات محلية متنوعة (نتيجة لتوافر أنواع محددة من الطعام في هذه البيئات). من المحتمل أن يُسفر منقارٌ أنحف عن ميزة بقاء في واحدةٍ من جزر غالاباغوس في حين يتميز منقارٌ أكثر سُمكاً أنه مثالي في جزيرةٍ أخرى. تطورت السّمة الشّكلية (نوع المنقار) بوصفها وسيلةً لجني مصادر الطعام. وما لم يكن الكائن الحي مُفترساً علويًا أو مُهيمنًا في نظام بيئي معين، فإنه سيعاني خطر الافتراس الدائم. ويُعد تطور التّمويه مثلاً على الطريقة التي يتجنب بها الكائن الحي التحول إلى الوجبة التالية للمفترس. وقد طوّرت حشرات الأوراق هياكل خارجية تسمح لها بأن تندمج اندماجاً كاملاً مع بيئاتها عن طريق التلوين والتّمويه النسيجي. مع ذلك، ضع في الحسبان أن البقاء هو نصف المعركة فحسب. إذ يجب على الكائن الحي أن يتكاثر ابتغاء التيقن من كفايته التكاثرية. وهناك نوعان من التكيّفات التي منحت الكائنات ميزةً تزاوج؛ أيّ التكيّفات التي تطورت من أجل المغازلة ثنائية الجنس (ذيل الطاووس ورقصة «مشية القمر» التي تمارسها طيور ماناكن حمراء الرّأس) أو التنافس الجنسي بين أفراد النوع الواحد (كما عند الأيائل، وبناء هيكل الجمجمة عند الكباش من أجل التناطح بالرؤوس). وبكلماتٍ أخرى، تتطور الخصائص السلوكية والشكلية من أجل إما استمالة أفراد الجنس الآخر وإما الاشتراك في تنافسٍ مباشرٍ مع أفراد من الجنس نفسه لاكتساب حقوق التزاوج.

ومن المحتمل أن يسأل القارئ الفطن عند هذه النقطة: ما علاقة كل ذلك بالتلويح بالفضيلة؟ وللإجابة عن هذا السؤال، نعود إلى ذيل الطاووس. إذ تطورت هذه الخاصية الشكلية بفضل اختيار الشريك الأنثوي على الرغم من حقيقة أنها تلحق ضررًا بقدرة الطاووس على البقاء (عن طريق زيادة احتمال التعرض للافتراس). ما السبب الذي يجعل ذيلًا كبيرًا للغاية مؤلفًا من ريشٍ مُرتبٍ بصورةٍ مبهرٍ وبألوانٍ مذهلةٍ شديد الجاذبية للإناث؟ إن اختيار الشريك المناسب قرأرٌ مهمٌ للغاية للمصالح الوراثية لأي كائن حي. ومن الضروري، في ظل وجود هذه المخاطر المرتفعة، أن يعثر الكائن على وسيلة لتصنيف الخاطبين المحتملين في واحدةٍ من هاتين الفئتين العامتين: مُزيفون تافهون أو مرشحون جديرون. وقد حل التطور هذه الأُحجية بأسلوبٍ مُبهرٍ في براعته وكفايته. إذ يجب أن تكون الإشارات الجديرة بالثقة مكلفةً كي تُمثل صورًا صادقةً لنوعية الكائن. وبتعبيرٍ مختلفٍ، يجب أن تكون مُعينةً بطريقةٍ تُقضي معها المُدعين والمزيفين وتحرمهم من القدرة على التقاط الإشارة ذاتها. (372)

يُرسل الطاووس، عمليًا، الرسالة الآتية: «جمال ريشي يقول لك إنني خالٍ من الطُفيليات. وذيلي المُزخرف بإتقانٍ يجعلني أكثر عرضةً للافتراس، ومع ذلك، ها أنذا. أنا الصَّفقة الحقيقية. لا يُمكن للمزيفين أن يفوزوا. اختاريني.»

(372) Amotz Zahavi and Avishag Zahavi, *The Handicap Principle: A Missing Piece of Darwin's Puzzle* (New York: Oxford University Press, 1997).

استثمرت هذا المبدأ في شرح الكثير من الظواهر البشرية منها الاستهلاك الاستعراضي (شراء سيارة فيراري)، والعمل الخيري (التبرعات مجهولة المصدر للتدليل على المكانة) وجمع الأعمال الفنية (إنفاق أموال طائلة على أعمال فنية ساذجة يمكن لقرء أن يبتدعها) وظهور مغني الراب وهم يلقون بمبالغ مالية ضخمة في مقاطع الفيديو الموسيقية (الأثرياء كفايةً فحسب يمكن أن يكونوا سخين للغاية في هدر المال). وإرسال الإشارات المكلفة مهمٌ أيضًا في شرح طقوس العبور في العديد من الثقافات، إذ إنها تُعد علامة صادقة على الشجاعة والإقدام والصلابة. تعتمد قبيلة (ساتري ماوي) (Sateré-Mawé) المحلية في منطقة الأمازون وسيلة فاعلة للغاية لتمييز المحاربين المحتملين عن نظرائهم المزيفين. إنهم يحدرون النمل الرصاص، الذي تشبه قرصاته مفعول الطلقة، ثم يدخلونها في قفازات مصنوعة من ورق الأشجار. يرتدي الملقنون المبتدئون في هذه الشعائر القفازات بضع دقائق، وعليهم أن يتحملوا قرصات مئات من النمل الذين يستفيقون من خدرهم. تسبب قرصة واحدة ألمًا بالغًا لا يُمكن تخيله، ومع ذلك، لا بد للملقنين من أن يتحملوا الألم بعزة نفسٍ مستكينة (لا يمكنهم أن يصرخوا أو يتذمروا). وإذا كان كل ما يتطلبه لكي تكون مُحاربًا هو إكمال عشرة من تمارين الضَّغط، فإنَّ الجميع على وجه التقريب بقدرته إكمال هذه المهمة. وسيؤدِّي هذا إلى وضع القبيلة في موقف لا تُحسد عليه، إذ تعجز عن تحديد الأفراد الأقوياء حقًا. ومع ذلك، فإن تنظيم طقس العبور هو بمنزلة مؤشر صادق على الصلابة والشجاعة يُمكنه أن يُسعفك في

في حدثٍ حظيَ بتغطيةٍ إعلاميةٍ واسعةٍ أُقيم في 2017 في مدينة تورنتو، طُلب من (أورن اميتي) و (جوردن بيترسن) ومني أن نُحدد أبطال التعبير عن حرية الرأْي من وجهة نظرنا. فكان جوابي أن الأبطال الحقيقيين هم الذين يُخاطرون بحياتهم من أجل الدِّفاع عن حريات كهذه. تحدثت عن أشخاصٍ من الشرق الأوسط (بعضهم حل ضيفاً في برنامجي) يرغبون في الدِّفاع عن هذه المُثل مع علمهم أنهم قد يدفعون حياتهم ثمناً لذلك. هذا ما يعنيه، على يبدو عليه، أن يكون لك مصلحةٌ في فعل هذا الشيء. هذه فضيلةٌ مُكلفةٌ، وليس تلويحاً بها. في العام الماضي أو نحو ذلك، توطدت علاقة صداقة بيني وإنصاف حيدر، زوجة المدوّن، رائف بدوي، وكان من دواعي سروري أن أقابل أطفالها الثلاثة الرائعين في دعوة عشاء نظمها الممثل (مارك بيليغرينو) وزوجته. يقضي رائف عقوبة أمدها عشر سنوات في السِّجن، وكان من المقرر أن يُجلد ألف جلدة (جُلِدَ خمسون جلدةً «فقط» إلى حدِّ الآن) لأنه تجرأ على مساءلة عددٍ من الوقائع الدِّينية والثقافية في المنطقة بأسلوبٍ فاترٍ نسيبياً. إعادة تغريد وسم أنا شارلي ليس سوى تلويحٍ عقيمٍ بالفضيلة؛ لكن نقد نظام حكم من الداخل هو شجاعةٌ حقيقيةٌ.

يُحدثنني كثيرٌ من النَّاس في الغرب أنهم يرغبون في الدِّفاع عن

(373) ناقشت طقوس عبور مماثلة (من بينها مثال نمل الرصاص) بوصفها إشارات جنسية في الفصل التاسع من كتابي *الغريزة الاستهلاكية* (2011).

حُرِّياتنا لكنهم لا يستطيعون فعل ذلك علناً لما يترتب على ذلك من احتمال تعرضهم إلى عواقب مهنية أو اجتماعية. وهنا تكمنُ المشكلةُ. هل طالب جنود قوات الحلفاء الشباب (أو توقعوا)، عندما حطوا على شواطئ النورماندي في الحرب العالمية الثانية، بضمانٍ لسلامتهم قبل تلقيم البنادق الآلية والهاونات الألمانية؟ احتفلنا مؤخرًا بذكرى مرور قرنٍ على نهاية الحرب العالمية الأولى إذ فقد قرابة السبعة وستين ألف جندي حياتهم.⁽³⁷⁴⁾ إن بطولتهم الإيثارية منحنتني حرية أن أكتب ما تقرؤونه حاليًا. وقد ضحَى ملايين الأفراد بحيواتهم كي يتمكن أطفالك وأطفالي من العيش في مجتمعات حرّة. ومع ذلك، لا يرغب أكثرية الناس في الوقت الحاضر في التصريح بأرائهم كي يتجنبوا إنهاء شخص يعرفونه في الفيس بوك علاقة الصداقة معهم. يجب إضافة الجُبن إلى قائمة الذنوب السبعة المميتة. ولا سبيل إلى الاشتراك في معركة الأفكار العظيمة من أجل روح الغرب من دون مواجهة أي تهديدات.

يُدرِك أكثرية الناس الشجاعة الفائقة التي يتطلبها التصريح برأيك بالطريقة التي أفعَلها (لاسيما بوصفي أكاديميًا وشخصيةً عامةً). لا يوجد معتقدٌ مقدسٌ لا أرغب في نقده، وعلى الرغم من ذلك، وفي كل مرّة أناشد الناس التفاعل والاشتراك، فإنهم يخبرونني

(374) Claire Brownell, "Canada's First World War Sacrifice by the Numbers," *Maclean's*, October 4, 2018, <https://www.macleans.ca/news/canada/canadas-first-world-war-sacrifice-by-the-numbers/>.

باستخفافٍ أحياناً: «لكن أستاذ، أنت مُحصن لأنك مُثبت وظيفياً». إن التثبيت الوظيفي لا يُشكل درع حماية سحرياً شاملاً يصدّ جميع التهديدات والعواقب الضارّة المترتبة على كونك مدافعاً صريحاً ومفوهاً عن العقل. التثبيت لم يقف حائلاً دون اتخاذ إجراءات أمنية في خريف 2017 كلما توجهت لإلقاء المحاضرات في جامعتي. التثبيت لم يمنع أن ألتقى عدداً يفوق الحصر من التهديدات بالقتل، الشيء الذي أدى إلى أن أقدم تقريراً إلى شرطة مونتريال كنت مصحوباً في أثناءه بممثلٍ عن قسم الموارد البشرية في جامعتي. التثبيت لم يصد عني العروض الكثيرة لشغل منصب الأستاذية التي تلقيتها من مؤسسات أخرى لولا انخراطي في الشأن العام (من بينها وظيفة مُجزية ماليّاً في مكانٍ أحلم به). والتثبيت لم يحمني من نبذ كثيرٍ من الدوائر الأكاديمية التي حالت دون تقدم مسيرتي المهنية. إن نقاء روعي (إن لم تخني الذاكرة بشأن كلمات والدتي) يمنعني من تقديم مصالحتي المهنية على دفاعي عن الحقيقة. لن يغمض لي جفنٌ ليلاً لعلمي أني قد ضحيت بمليمتٍ من الحقيقة أو أونصة من الحرية لأسباب أنانية. إن أفضل نصيحةٍ أقدمها هي: إذا كُنت ستحارب مُسمات الفكرة هذه، أمضي حتى النهاية. أجعل مشاركتك مهمةً.

ذكر أرسطو، في علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، أن حياةً ناجحةً وسعيدةً تستلزم العثور على حدٍ وسطٍ في السعي إلى فضيلةٍ محددة (تذكر القول المأثور: «كل ما هو حسن، كل ما هو جميل معتدل»). أقترح أرسطو أن الشجاعة (وهي فضيلة) تقع بين الإفراط في الجسارة والجبن (وهما طرفا النقيض اللذان يجب تجنبهما). يناقش

أرسطو شجاعة الجندي في المعركة الفعلية، بيد أن حديثه يصدّق في السياق الحالي على الشجاعة الفكرية الضرورية في معركة الأفكار. فالشخص الذي يُقرر أن يرتدي قميصًا بتقوية عنقٍ دائرية (تي شيرت) مُدوّنًا عليه «أرسم مُحمد» في اليمن (للاحتجاج على قوانين ازدراء الأديان الإسلامية)، يُظهر، بلا أدنى شك، جسارَةً مُفرطة. ومن جهةٍ أخرى، يُعد تردد وسائل الإعلام في الوقوف بوجه مقولة أحد الأئمة بأن «الإسلام سلامٌ» تجسيدًا لهذا الجُبْن. وبين نقطتيّ النهاية الطرفيتين هاتين يقع المكان المثالي للانخراط المعتدل والمتعقل.

كُنْ مُسدّدًا لضربة الجزاء

إنّ لعبة كرة القدم (soccer) المعروفة بـ (football) في بقية أرجاء العالم، تعدّ خارج أمريكا الشمالية رياضة متدنية التّسجيل لجهة الأهداف. وتُسفر ضربة الجزاء، من بين جميع المواقف المُحتملة في هذه اللعبة، عن الاحتمالية الأعلى لتسجيل هدفٍ. تُمنح ضربة الجزاء عندما تُرتكب إحدى المخالفات (مثل عرقلة لاعبٍ بالساق أو القدم من الفريق المقابل) في داخل منطقة الجزاء أو صندوق الثماني عشر ياردات. توضع الكرة في منتصف المنطقة على مبعده اثنتي عشرة ياردة من الشبكة، ويحاول مُسدّد ضربة الجزاء تصويب الكرة ضدّ حارس المرمى حصراً. ويصل معدل النجاح إلى قرابة 70٪،

وبالتالي، فإن الضَّغط يكون أساسًا على اللاعب الرَّاكِل. (375) وفضلًا عن ضربات الجزاء التي تُمنَح في اللعبة، تُستخدم ضربات الجزاء التَّرجيحية في بطولات الدوري. إن تسديد ضربة في ظلِّ هذا الضَّغط الهائل يتطلب قوة احتمال فائقة، لكنها قوة احتمال يجب علينا جميعًا تنميتها وتعزيزها لأننا نلعب في بطولة العالم للأفكار. نحتاج جميعًا إلى تكثيف الجهود وتسديد ضربات جزاء استعارية عندما تُتاح لنا فرصة تسجيل هدفٍ لصالح فريق العقل. وثمة نوعان من النَّاس: نوع يشاهدُ امرأة تتعرض للاعتداء في زقاقٍ ويتدخل، ونوعٌ يمضي خلسةً في طريقه مدعيًا أنه لم يسمع قط صراخها واستغاثاتها. كنْ من النوع الأول لا الثاني.

نشط غرير العسل في داخلك

حيوانات غرير العسل شرسةٌ بنحوٍ يفوق الوصف عند تعرضها للهجوم. وغرير العسل الواحد (الذي يوازي كلبًا صغيرًا حجمًا) عدواني للغاية، إذ يُمكنه التصدي لمجموعةٍ من الأسود. فإذا هاجمت الغرير، فتهيأ للقتال. وفي ظلِّ الانتشار المطلق لتنمر الدهماء

ماذا أردت "What You Wanted to Know: Champions League Penalties," UEFA.com, February 20, 2019, <http://archive.is/Uu58W>;

Richard A. Fariña *et al.*, "Taking the Goalkeeper's Side in Association Football Penalty Kicks," *International Journal of Performance Analysis in Sport* 13, no.1 (2013): 96–109.

الإلكترونيين (التي تُمثل حقًا أحد أشكال رقابة الفكر)، دع غير العسل يكون مصدر إلهام لك. لا تجفل ولا تراجع أمام من يحاول إرغامك على التزام الصمت. بعد مدّة قصيرة من خسارة (سيرينا وليمز) أمام (ناومي أوساكا) في نهائي بطولات التنس المفتوحة في 2018، علّقتُ في وسائل التّواصل الاجتماعي على سلوك (وليمز) المقيت في أثناء المباراة. عوقبت وليمز لتلقيها تدريبًا غير قانوني وتحطيمها مضر بها في حالة من الغضب وتوجيهها إهانةً لفظيةً إلى الحكم (الذي وصفته بـ «السارق» واتهمته عمليًا في وقتٍ لاحقٍ بالتحيز الجنسي). ومثلما قد تتوقع، نادرًا ما تكون فكرة جيدة، في ظلّ روح العصر السائدة اليوم، أن تنتقد امرأةً سوداء؛ لأنك ستعرض نفسك لتهم كاذبة بالتحيز الجنسي والعنصرية. [ولذا]، لم اتفاجئ كثيرًا بعدما بدأت بتلقي العديد من الردود الغاضبة على انتقاداتي (لوليمز) بل إن امرأة غير متزنة ومشوّشة بشكلٍ شيطاني قرّرت بأني قد ارتكبت خطيئةً لا تُغتفر، وأرادت وضع حدٍ لمسيرتي الأكاديمية. إذ أشركت جامعتي في منصة تويتر على أمل أن تستجيب لها الجامعة بفصلي عن العمل. وفضلًا عن ذلك، اتخذتُ وضعية الهجوم بعد رفضي الانحناء أمام هذا الضّغط الأحمق والقميء. إذ سلّطت الضّوء على ما كانت هذه المرأة تفعله، وأدلى العديد من الدّاعمين لي بدلّوهم ضدّ هذه المحاربة من أجل العدالة الاجتماعية المُحتملة التي أدركت عجزها عن الدفاع عن موقفها. حذفّت هذه السيدة بعضًا من تغريداتها، وألغت، في النهاية حسابها على تويتر، ثم أشركتني في تغريدةٍ من حساب تويتر جديد لها تطالبني فيها بحذف تغريداتها

السَّابِقَة وأيضًا ردودي عليها. لكنني رفضت، فهددتني بصورة مضحكة بمقاضاتي بتهمة «التشهير»، لينتهي بها الأمر إلى الاختفاء في بقعة الغضب العارم السوداء الخاصة بها.

ثمة درسان مُهتان نستخلصهما من هذه القصة. أولاً: لا تنازل عن بوصةٍ واحدةٍ لمن يُريد تكميم فمك. إنها محض بوصة اليوم، لكنها ستكون ياردةً غدًا. ثانيًا: تعلم الإستراتيجيات التي يستثمرها أعداء الحرية للتممر على الآخرين، وحاول استخدامها ضدهم. امتلك، في حالتي، ورقةً رابحةً في لعبة بوكر المظلومية. فأنا يهودي لبناني، وعليه، فأنا «شخصٌ ملونٌ» (في استعارةٍ للتعبير البغيض الذي يستخدمه المحاربون من أجل العدالة الاجتماعية). وأنا لاجئ حربٍ فرّ من الاضطهاد الديني، وأنا أيضًا «متميز حجمًا» (أي مفرط البدانة). من الصَّعب التغلب عليّ في أولمبياد القمع، وعلى وفق ذلك، فأني أوظف السلسلة الملوكية للمظلومية ضدّ من يسعى، في العادة، إلى اتهامي بالتحيز العرقيّ الزائف والتحيز الجنسيّ الزائف والتعصب الزائف. كانت مُعذبتني سيدة أمريكية بيضاء، ولذا، اتهمتها بملاحقتي، ربما لأنها تُضمر شعورًا بالكراهية ضدّ هويّتي بسبب «موقعها المتميز النّاجم عن بياض بشرتها».⁽³⁷⁶⁾ هذا هو أسلوب

(376) راجع، مثلاً، التغريدة الآتية @GadSaad (Gad Saad): "هذه المعتوهة @mzemilycain تطاردني لأنها، على ما يبدو، تكره اليهود من الشرق الأوسط (الملونين) من لاجئي الحرب. من الواضح أنها تكره اليهود والعرب. [سأريح، دائمًا، في لعبة أولمبياد القمع]. @jack: الرجاء أحميني من هذه السيدة البيضاء المتحيزة عرقيًا.

Twitter, September 9, 2018, 12:26 a.m.,

<https://twitter.com/GadSaad/status/1038644843013132289?s=20>.

التحجيم والمواجهة الذي يجب الالتزام به ضدّ مشعوذي العدالة الزائفة هؤلاء، ولهذا السّبب، ليس مفاجئاً تواري هذه السيّدة بعيداً. وقد تعرضت لمضايقات مهنية في مناسبات أخرى قليلة أكثرها أهمية، ربما، ما حدث في خريف عام 2017. أحاول، كقاعدة عامة، تقليل التّعامل مع المتقدين إلى الحدّ الأدنى في وسائل التّواصل الاجتماعي، لأنّ هذا التّعامل نادراً ما يُسفر عن نتائج مقنعة. لكنني أُستدرج، بين الحين والآخر، إلى حوارٍ بذيء. إذ نال شخصٌ بغيضٌ وفظّ من سمعتي في منصة تويتر بأسلوبٍ مُحيرٍ حقاً دفعني إلى الانضمام إلى السلسلة (ثريد)، ومطاردته بكل ما أوتيت من قوة. وتضمن ذلك إشارتي إليه بوصفه «أخرق متخلفاً»، و«فاسد الأخلاق» مع التزامي الدائم بفعل ذلك في ضوء الحدود الصارمة للملاطفة الودودة إلى حدّ ما. ويبدو أنه لم يكن يتحلّى بالاستطاعة العاطفية للتعامل مع ردود مثل هذه. إذ حاول، في البداية، أن يوجه لي تهمة التّعصب؛ لأنّ استخدامي لعبارة «فاسد الأخلاق»، على وفق منطقهِ الأخرق وبليد الإحساس، يُمثّل، بطريقةٍ ما، لغةً مُشفرةً خاصة برهاب المثلية (لم يكن عندي ميل إلى الجنس البيولوجي للشخص المعني فما بالكم بتوجهه الجنسي).⁽³⁷⁷⁾ وبعدها باءت هذه الوسيلة بالفشل، بدأ في

أطبق علم الأحياء وعلم النّفس التطوري في العلوم "، Gad Saad (@GadSaad), (377) Twitter, September 27, 2017, 8:30 p.m.,

[https://twitter.com/GadSaad/status/913199211503607810?s=20;](https://twitter.com/GadSaad/status/913199211503607810?s=20)

Joshua of the Cheesecake Factory Bar (@CellBioJosh), "، ليس علماً فعلياً. "، تعبيرٌ مُهينٌ لدنوي الهمم والمصابين برهاب المثلية، شيءٌ جميلٌ. أعجبني أيضاً تأكيدك أنك

إشراك جامعتي بنحوٍ متكررٍ في محاولةٍ منه لتوريطي في مشكلات مع رئيسي في العمل.⁽³⁷⁸⁾ وعندما لم ينجح هذا الأمر، اتصل بجامعتي [مباشرةً] ورفع شكوى ضدي. أعرف هذا لأنني تلقيت رسالةً إلكترونيةً متوعدة من ممثلةٍ عن قسم الموارد البشرية في جامعتي تطلب فيها التحدث معي بالسرعة العاجلة (من دون إشعاري بفحوى المسألة التي تريد الحديث بشأنها). واتفقنا على الحديث هاتفيًا في ذلك المساء لمناقشة الموضوع. وحينما أكدت لي أن مقدم الشكوى هو المُغرد ذاته في تويتر، واصلت الهجوم. ذكرتُها أنني أتواصل في حساب تويتر الشخصي العائد لي مع شخصٍ لا علاقة له من قريبٍ ولا من بعيدٍ مع واجباتي المهنية في المؤسسة التي أعمل فيها. وعرضت عليها موقفًا افتراضيًا للتفكير فيه: إذا كانت [هذه الممثلة] مع ابنتها في صيدلية، ورأيتهَا هناك وتصورت أنها كانت تتحدث مع ابنتها بفظاظةٍ وعدوانيةٍ، هل سيكون من المقبول أن اتصل بالجامعة لإعلامها بذلك؟ انتهت المحادثة بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ، وأغلقت القضية.

إن الاسترضاء، عند التعامل مع المشاغبين والأوغاد، نادرًا ما

.، "لست خبيرًا قانونيًا أو طبيبًا." Twitter, September 27, 2017, 8:30 p.m.,

<https://twitter.com/CellBioJosh/status/913199960442601472?s=20>.

تخيل أنك " Joshua of the Cheesecake Factory Bar (@CellBioJosh), (378)

تدعم أستاذًا دأب في استفزاز الطلبة والتنمر عليهم في الإنترنت إلى حد تشويه السمعة

" @Concordia @ConcordiaUnews <https://twitter.com/ConcordiaUnews>

com/GadSaad/status/913200126356807680," Twitter, September 28,

2017, 12:20 a.m.,

<https://twitter.com/CellBioJosh/status/913256996580626432?s=20>.

يكون إستراتيجية رابحة. إذ تُعد سياسة الاسترضاء التي انتهجها رئيس الوزراء لبريطاني، (نيفيل تشامبرلين) مع (أدولف هتلر) [مثالاً] على الفشل الواضح. وترفض كثيرٌ من الحكومات اليوم التفاوض مع الإرهابيين لأنها تعلم أن ذلك لن سيؤدّي إلى مزيد من المطالبات باسترضائهم. وإسرائيل لا تسترضي أعداءها لأنها تعلم أن القوة هي الحق في الشرق الأدنى. مع ذلك، أضحت الاعتذارات البكائية المُتَّحبة في الغرب، مع انتفاء الحاجة لها، من الصّروريات. إذ غرّد رائد الفضاء (سكوت كيلى) في السّابع من تشرين الثاني عام 2018 الآتي: «قال (السير ونستون تشرشل) أحد أعظم الزعماء في الأزمان الحديثة، "النّصر، شهامة". أظن أن تلك الأيام ولت إلى غير رجعة».⁽³⁷⁹⁾ فبادر الغوغاء الإلكتروني المعتاد المنضوي تحت راية الغضب العام الزائف إلى الردّ قائلاً إن كيلى قد استشهد بكلام عرقي قاتل (الظاهر أن تشرشل سيء مثل هتلر تمامًا). فنشر (كيلى) تغريدة اعتذار في اليوم التالي: «لم أقصد الإساءة عند استشهادي بما قاله تشرشل. أقدم اعتذاري. سأبدأ بتثقيف نفسي أكثر عن فظائعه وآرائه العرقية التي لا أَدعّمها. كل ما كنت أقصده هو أننا بحاجة إلى أن نعمل معاً بوصفنا أمةً واحدة. إننا جميعاً أمريكيان. يجب أن نسمو فوق السياسات المتحيزة».⁽³⁸⁰⁾ نشرت، من جانبي، عدة تغريدات أرد

(379) Scott Kelly (@StationCDRKelly), "تُرجمت التغريدة في النّص", Twitter, October 7, 2018, 12:05 p.m.,

<https://twitter.com/StationCDRKelly/status/1048967485821599744?s=2>

(380) Scott Kelly (@StationCDRKelly), "تُرجمت التغريدة في النّص", Twitter, October 7, 2018, 7:22 p.m.,

<https://twitter.com/StationCDRKelly/status/1049077517208838144?s=2>

فيها على رضوخ كيلى الجبان والمذل، من بينها: «كف عن الاعتذار. كف عن المساومة على مواقفك خوفاً من الإساءة إلى المستائين دائماً وابدأ. كن رجلاً. كف بشموخ. كن واثقاً بذاتك. أعرف جانب الطريق الذي توجد فيه الحقيقة. كفاك جُبناً. كفاك @StationCDRKelly».⁽³⁸¹⁾ وإذا كان اقتباس قولٍ من شخصية تاريخية مهمةٍ أسهم في إلحاق الهزيمة بالنازيين يستلزم اعتذاراً، فإنَّ لُجَّة الظلام المطلق تلوح بالأفق. وإذا كُنْتَ داعماً للمبادئ التأسيسية للحضارة الغربية، ومدافعاً عن حرية التعبير عن الرَّأي والفكر (مثلما كان يفعل تشرشل)، إذاً لا تتراجع. دع روحك الحيوانية الشرسة تحذو حذو غرير العسل؛ كنَّ عنيداً وشرساً في الدفاع عن نزاهتك وحماية الحقيقة. أحمذو حذو مالكي [شركة] معجنات وحلويات غبسن التي قاضت كلية أوبرلين (مرتع الخبل اليساري) لنشرها القصة الكاذبة التي قالت فيها أن الشركة مذنبَةٌ بالتحيز العرقي.⁽³⁸²⁾ ألقى القبض على ثلاثة طلاب سود وهم يسرقون المتجر، وعند تصدي أحد العاملين لهم (وهو ابن المالك)، هاجموا واعتدوا عليه. أقرَّ الطلاب بذنبهم، وأكدوا عدم تعرضهم لتحيزٍ عرقي، ومع ذلك،

⁽³⁸¹⁾ Gad Saad (@GadSaad), "Scott Kelly (@StationCDRKelly)", تُرجمت

Twitter, October 7, 2018, 7:22 p.m.,

<https://twitter.com/StationCDRKelly/status/1049077517208838144?s=20>

Twitter, October 8, 2018, 10:15 p.m.,

<https://twitter.com/GadSaad/status/1049483473294118915?s=20>.

⁽³⁸²⁾ Daniel McGraw, "Ideology and Facts Collide at Oberlin

College," Quillette, June 20,

2019, <https://quillette.com/2019/06/20/ideology-and-facts-collide-at-oberlin-college/>.

أدت الكلية دورًا فاعلاً في تأجيج الغضب العام الزائف. مُنحت شركة المعجنات تعويضًا بلغ أربعة وأربعين مليون دولار⁽³⁸³⁾ (على الرغم من خفضه منذ ذلك الحين).⁽³⁸⁴⁾ ولم ترضخ الشركة للاحتجاجات والمقاطعات والاتهامات الكاذبة، ولم تُقدم اعتذارًا مُذلاً تقول فيه إن المالكين قد تعلموا درسًا قيمًا من «الملونين». كلا، بل حاربت ووقفت بوجه هذا الظلم الصارخ وربحت المعركة. كن غرير عسلي. لا تتراجع عندما يُهاجمك المتنمرون الأيديولوجيون.

إن نقد الإسلام لا يجعلك مصابًا برهاب الإسلام (مصطلح لا معنى له) ولا كارهاً للمسلمين الأفراد. وتفحص النسوية الراديكالية لا يجعلك كارهاً للنساء. ومساءلتك [لسياسة] الحدود المفتوحة لا تجعلك عرقيًا. بوسعك أن تحوز قلبًا عامرًا بالتقمص والحنان، لكنك ترفض هذه السّياسة. وتأكيديك أن النساء المتحوّلات (الذكور بايولوجيًا) يجب ألا يدخلن في تنافسٍ مع الإناث بايولوجيًا لا يعني أنك مُصاب برهاب التحوّل الجنسي. ومع وضع ذلك في الاعتبار،

(383) Talal Ansari, "Ohio Bakery Awarded \$44 Million in Libel Case against Oberlin College," شركة معجنات في أوهايو تحصل على أربعة وأربعين مليون دولار في "Wall Street Journal, June 14, 2019, <https://www.wsj.com/articles/ohio-bakery-awarded-44-million-in-libel-case-against-oberlincollege-11560528172>.

(384) Evan Gerstmann, "Judge Slashes the Verdict against Oberlin College— an Appellate Court Might Reduce It Further," قاضي يُخفض كثيرًا الحكم ضد "كلية أوبرلين-ومحكمة الاستئناف قد تخفضه أكثر" *Forbes*, July 1, 2019, <https://www.forbes.com/sites/evangerstmann/2019/07/01/judge-slashes-the-verdict-against-oberlin-college-an-appellate-court-might-reduce-it-further/#78e06f07650d>.

فإن حق ابنتك ذات الثمانية أعوام في الشعور بالراحة والأمان في حمامٍ عام أكثر أهميةً من امرأةٍ متحوّلةٍ طولها ستة أقدام ووزنها مئتان وثلاثون رطلاً. ورفض فكرة أن «الأشكال الأخرى من المعرفة» المزعومة (سواء أكانت أسلوب السكان الأصليين في المعرفة أو ما بعد الحداثة) مناسبةً وفاعلةً حالها حال المنهج العلمي لا تجعلك متعصباً مغلق التفكير. ورفض الشيطنة المهستيرية للرجال البيض بوصفهم النموذج للذكورة السامة وتفوق العرق الأبيض لا تجعل منك أدولف هتلر. والاتهامات الشائمة والمسيئة هي تهديد مُبطّنٌ ومتوعّدٌ وجاهزٌ للانطلاق نحوك إذا تجرأت على التشكيك بالعقائد التقدمية ذات الصلة. يشعر كثيرٌ من الناس بالهلع من أن يُتهموا بالعرقية أو كراهية النساء، ولذا، ينكمشون في صمتٍ وخوفٍ. حافظ على فمك مُغلقاً وأوماً برأسك موافقاً، وإلا فاستعد للعقاب. لا تقع فريسةً لإستراتيجية تكميم الأفواه هذه. كن واثقاً بمبادئك واستعد للدفاع عنها بشراسةٍ غير العسل.

ما السبيل لإصلاح جامعاتنا؟

بينما المهندسون المدنيون ومهندسو الطيران مقيّدون بالقوانين الفيزيائية في تصميم الجسور والطائرات، فإنّ أساتذة العلوم الإنسانية الذين ينشرون مُسمّات الفكرة المناهضة للعلم والمنطق مُحصنون ضدّ الآثار السلبية النهائية. لقد خلق هؤلاء الأساتذة ثقافة جامعية تُكافئ الحماسة والاختلال العقلي. ويجب وضع حد لذلك. وأول خطوة في هذا المسار من المرجح أن تتمثل في مكافحة قوانين

الرأي غير الدستورية وأيضاً تعيين حدود التعبير عن الرأي. فالولايات المتحدة بأكملها هي منطقة تعبير عن الرأي في ظل الدستور. قل لا لشرطة مراقبة الفكر، أفتح عقلك أمام الأفكار والمنظورات المختلفة والمتعارضة، وتواصل مع الناس الذين قد يشككون في مواقفك. إن التشدد الأيديولوجي لا يقتصر على المحافظين أو الليبراليين.⁽³⁸⁵⁾ نُفضل جميعاً أن نتحدث مع أشخاصٍ يشاركوننا وجهات نظرنا. هذا جانب يتعذر محوه في طبيعتنا البشرية. غير أن عقولنا ترتقي عندما نناقش وجهات النظر المتعارضة باحترام. يجب أن يؤلف ذلك بؤرة الاهتمام الرئيسة لجامعاتنا.

وعلى غرار ذلك، يجب على جامعاتنا أن تلتزم مرةً أخرى بالسعي للتميز العلمي، وأن تُلقي بسياسات الهوية (وعبادة «التنوع والشمول والإنصاف» المقترنة بها) في مزبلة التاريخ. لا يجب أن يضطر أحدٌ إلى الاعتذار لأنه أبيض أو ذكر أو مسيحي متخالف جنسياً-أو أن يشعر «بالزهو» بتوجهه الجنسي. إن الخصائص الثابتة لا يجب أن تكون موضوعاً للشعور إما بالزهو وإما بالعار، ولا يجب علينا غرس ولا استرضاء روح المظلومية الدائمة والإساءة الساخطة. يجب أن نتوقف عن تدليل الطلبة، ولا نسمح بالتحذيرات المسبقة أو الفضاءات الآمنة، ولا بالتساهل مع حماقة «الاستحواذ الثقافي» أو «حالات

(385) Mark J. Brandt *et al.*, "The Ideological-Conflict Hypothesis: Intolerance among Both Liberals and Conservatives," في *Current Directions in Psychological Science* 23, no. 1 (2014): 27-34.

العدوان المُصغر». هذه مفاهيم لا معنى لها تُنمي الضّعف والهشاشة. بل ينبغي، عوضًا عن ذلك، خلق بيئة تُشجع السلطة الفكرية والعاطفية. وبكلمات جون أليسون، عميد الطلبة في الكلية في جامعة شيكاغو، في رسالته الترحيبية بالطلبة في عام 2020:

نُشجع أفراد مجتمعنا المحلي على التّحدث والكتابة والإصغاء والتّحدي والتّعلم من دون خوفٍ من الرّقابة. التّمدن والاحترام المتبادل أساسيان لنا جميعًا، وحرية التّعبير عن الرّأي لا تعني حرية الإساءة للآخرين أو تهديدهم. ستجد أننا نتوقع من أفراد مجتمعنا أن يشتركوا في سجلّ ونقاش دقيقين وصارمين، وحتى في الاختلاف. قد يستفزك ذلك في بعض الأحيان، وقد يُسبب لك شعورًا بعدم الارتياح.

إن التزامنا بالحرية الأكاديمية يعني أننا لا ندعم ما تُسمى بـ «التّحذيرات المُسبقة»، ولا نلغي استضافة المتحدّثين المدعّوين؛ لأنّ موضوعاتهم من المحتمل أن تُثير الجدل، ولا نغضّ الطّرف عن خلق «فضاءات آمنة» فكرية يُمكن للأفراد فيها أن ينسحبوا بعيدًا عن الأفكار والمنظورات المُخالفة لمنظوراتهم.

إنّ تدعيم التّبادل الحر للأفكار يُعزز الأولويات الجامعية ذات الصلة - وهي بناء حرم جامعي يُرحب بالأفراد من جميع الخلفيات. وإنّ تنوع الرّأي والخلفيات قوةٌ أساسيةٌ لمجتمعنا. ويجب على أفراد مجتمعنا أن يتمتعوا بحرّية تبنّي واستكشاف نطاقٍ واسعٍ من

إنه لأمرٌ مأساوي أن تضطر الكلية إلى الإعلان عن هذا الموقف للطلبة المتدئين في جامعةٍ عالميةٍ المستوى في القرن الواحد والعشرين. ومع ذلك، فالعميد (أليسون) هو نسمة هواء عليل في نظام بيئي موبوء بمُسمّات الفكرة المحمومة. إنها النوع ذاته من مُسمّات الفكرة التي تُشجع الطلبة على ملء مكاتب الإداريين بقوائم من المطالبات العجيبة بـ «العدالة الاجتماعية»- وهذا كله يؤدي بالإداريين، في الأعم الأغلب، إلى الرضوخ لهم. أشجع القراء على تصفّح كتاب *خطة لأجل ميزانية الحرية في دارتماوث: بنود لأجل عدالة تحويلية في دارتماوث* للتوصل إلى فهم أفضل لما تتضمنه هذه المطالبات-ربما يُمكنك التخمين. (387)

تحتاج الجامعات إلى العودة إلى أخلاقيات الاستحقاق والجدارة التي كانت تلتزم بها في الماضي، ومقاومة التعليم التسليعي وخفض

(386) Scott Jaschik, "U Chicago to Freshmen: Don't Expect Safe Spaces," *Inside Higher Ed*, August 25, 2016, <https://www.insidehighered.com/news/2016/08/25/u-chicago-warns-incoming-students-not-expect-safespaces-or-trigger-warnings>.

(387) "The Plan for Dartmouth's Freedom Budget: Items for Transformative Justice at Dartmouth," March 2014, Dartblog, http://www.dartblog.com/Dartmouth_Freedom_Budget_Plan.pdf.

أنظر أيضاً:

Gad Saad, "The All-Time Greatest Social Justice Warriors," *THE SAAD TRUTH* 59, September 9, 2015, YouTube video, <https://www.youtube.com/watch?v=rSqz0ZBKjbo>.

المعايير الأكاديمية. كان يجب عليّ، عندما حصلت على درجة الماجستير في إدارة الأعمال في 1990، في جامعة مكغل، أن أكمل سنتين من الدراسة بدوام كامل، أي أربعة فصول دراسية تتراوح من خمسة إلى ستة مقررات لكل فصل دراسي، وهو متطلب مُرهق للغاية (وحصلت على استثناء من أحد الفصول الإضافية بعد اجتيازي امتحان دخول في مادة الرياضيات). وما برح عدد الوحدات الدراسية للحصول على درجة الماجستير في إدارة الأعمال ينخفض منذ ذلك الحين مُضافاً إلى تقديم العديد من كليات الأعمال حالياً عرضاً بدراسة مُعجلة أمدتها عامٌ واحدٌ في هذا التخصص. ولا يختلف الأمر كثيراً في كلية الأعمال التي أدرس فيها، إذ إن عدد الوحدات المطلوبة في الوقت الحاضر لإكمال متطلبات الماجستير في إدارة الأعمال أقل بنحوٍ لا يُقارن مما كانت عليه عند حصولي عليها في 1990. انتقدت، قبل أكثر من عقدٍ، هذا الخفض العجيب للمعايير في مقالة لي في مجلة علم النفس اليوم (*Psychology Today*) بعنوان «سأحصل على بطاطس مقرية كبيرة الحجم، وشطيرة همبرغر، وكوكا كولا خاص بالحمية وماجستير في إدارة الأعمال. من دون مخللات: الطالب بوصفه استعارة عن الزبون هي سياسة تعليمية بائسة».⁽³⁸⁸⁾ ولا يعود السبب في خفض متطلبات الحصول على هذه

(388) Gad Saad, "I'll Have Large Fries, a Hamburger, a Diet Coke, and an MBA. Hold the Pickles," *Psychology Today*, January 28, 2009, <https://www.psychologytoday.com/ca/blog/homo-consumericus/200901/i-ll-have-large-fries-hamburger-diet-cokeand-mba-hold-the-pickles>.

الدرجة إلى كون الطلبة أكثر ذكاءً وأفضل استعدادًا مما كانوا عليه قبل ثلاثين عامًا، بل يعود إلى الضغوط التنافسية على الكليات للعثور على وسائل جديدة لاستقطاب الطلبة.

وتتجلى الرغبة ذاتها في استقطاب الطلبة والاحتفاظ بهم في تضخم الدرجات. أجرى (ستيوارت روجستازر) أستاذ علم طبقات الأرض/ الجيولوجيا وعلوم المحيطات السابق في جامعة ديوك، تحليلات طويلة مكثفة لنمط تضخم الدرجات في الجامعات الأمريكية، وأورد في تحليله بعض الحقائق المحيرة حقًا عن منح الدرجات منها أن الدرجة الأكثر شيوعًا في حقبة حرب فيتنام كانت 'ج'؛ خلافًا للوقت الحاضر إذ تشيع الدرجة 'أ'.⁽³⁸⁹⁾ نعم، أنت تقرأ ذلك بصورة صحيحة. الجميع رابح. الكل في المركز الأول. الكل يحصل على الجوائز. الأدهى من ذلك أن بعضًا من كليات الأعمال والقانون والطب الرائدة قد تخلت عن نظام التقييم القياسي المبني على الحروف [أ+، وأ، وب+ وب، إلى آخره] لصالح التركيز على نسخ من نظام «النجاح - الفشل». في جامعتي الأم، جامعة كورنيل، شرع الطلبة نظام عدم الإفصاح عن الدرجة؛ إذ لا يُفترض بمسؤولي التوظيف أن يسألوا طلبة الجامعة عن درجاتهم، ولا يُفترض بالطلبة أن يكشفوا عن درجات إلا بعد أن يتلقوا عرضًا بوظيفة بدوام

(389) Stuart Rojstaczer, "Recent GPA Trends Nationwide Four-Year Colleges and Universities," اتجاهات المعدل التراكمي الحديثة للكليات ذات الأربعة أعوام, "GradeInflation.com, March 29, 2016, مستوى البلاد <http://www.gradeinflation.com>.

يُتسم البشر أنهم متعاونون وتنافسيون، وتؤسس أي مجموعة - سواء أكانت زمرة من المراهقين المرتبكين أم فريق كرة قدم محترف أم منظمة عسكرية- هياكل هرمية واضحة. والبشر ليسوا نملاً عاملاً يتعذر التمييز بينهم ومتساويين. ويُذاع أن (إدوارد أوزبورن ولسن) المتخصص بعلم الحشرات وعلم الأحياء التطوري في جامعة هارفرد، قال عن الاشتراكية: «فكرة عظيمة. أنواع حية خاطئة». إن أي نظام يبني على فهم خاطئ للطبيعة البشرية محكومٌ عليه بالفشل. وبناء مجتمع يكون فيه الهدف الرئيس هو حماية التقدير الذاتي الهش من مخاطر التنافس لن يؤدي سوى إلى مجتمعٍ قوامه الضعف والتعاس واللامبالاة. الحياة تنافسية بالضرورة؛ والمجتمع تراتبي بالضرورة. لن يستفيد أحدٌ من السعي إلى رؤية مثالية للمجتمع لا تُجرح فيه مشاعر أحد.

كلمات وداع

دأبت مجموعة من مُسمّيات الفكرة التي تنطلق أساسًا من الجامعات، منذ عقودٍ خلت، وبلا هوادة، في مهاجمة العلم والعقل والمنطق وحرية الفكر وحرية التعبير عن الرّأي والحرية والكرامة

الدرجات: لا تسأل، لا "Colleen Flaherty, "Grades: Don't Ask, Don't Tell,"
 Inside Higher Ed, September 13, 2018, <https://www.insidehighered.com/news/2018/09/13/cornell-mba-students-vote-grade-nondisclosure-recruitment>.

الفرديتين. وإذا أردنا أن يكبر أطفالنا وأحفادنا في مجتمعات حرة كالتى كبرنا فيها، إذاً، علينا أن نكون واثقين بمبادئنا، وعلى أهبة الاستعداد للدفاع عنها.

ولأني نشأت وكبرت وسط وحشية الحرب الأهلية اللبنانية وفظائعها، وشهدت تآكل الفِطرة السليمة في جامعاتنا، فإني أناشدك وأحثك على الانخراط والمشاركة. لديك القدرة على إحداث التغيير الضرورى. العلاج متاحٌ أمامك: إنه السعي للدفاع عن الحقيقة؛ إنه الالتزام ثانيةً بفضائل الثورة العلمية الغربية وعصر التنوير. أمضوا يا جنود العقل. بوسعنا معاً أن نفوز في معركة الأفكار.

مكتبة

t.me/soramnqraa

عرفانٌ بالجميل

يُسعدني التوجه بجزيل الشكر إلى جميع المؤسسات وأماكن انعقاد المؤتمرات التي دعنتني إلى إلقاء المحاضرات بينما كُنت أطور المحتويات الواردة في هذا الكتاب. وهذه المؤسسات هي: مشروع الحرية (جامعة ويلسلي) ومعهد الدراسات الليبرالية (جامعة أوتاوا)، والمنتدى العالمي لمكافحة التطرف العنيف (معهد مونتريال للإبادة ودراسات حقوق الإنسان في جامعة كونكورديا) و[مركز لويزيانا لدراسة المنطق، ومؤتمر مانغ والمعهد الكندي لأبحاث اليهود وبارلمانت هل (الحكومة الكندية) ومؤتمر أم 103 [الدبابة الثقيلة]: حلقة دراسية عن حرية التعبير عن الرأى، وجامعة ريجينا، والحدث الخاص بخلق حرية التعبير عن الرأى في حرم الجامعات (تورنتو) ومبادرة سيفيتاس، وجمعية الحرية والمنح الأكاديمية. وأرسلت لي الردود الإيجابية والمُشجعة التي واصلت التدفق عليّ من أفراد الجمهور إشارةً واضحةً تؤكد لي رغبتهم في سماع رسالتي. وتعاضمت موجة التشجيع هذه بفضل ملايين الناس الذين انخرطوا معي [في النقاش] في منصات التواصل الاجتماعي، وعانوا إسهاماتي المتكررة فيها، وشاهدوا قناتي في منصة اليوتيوب.

والشكرُ موصول إلى (هاري كروكر) و (توم سبينس) وباقي

أفراد الفريق في دار نشر ريجنري لكونهم من الداعمين المتحمسين لهذا الكتاب. شعورٌ بالامتنان والعرفان إضافي أخصّ به (هاري) لتفضله بقراءة مسودتي قراءة متأنية، وتضمينه لتوصيته القيمة بتقليص حجم الكتاب. وشكرًا إلى (لورا سوين) لجهودها في تحرير النسخة. إن التحدي الذي يُمثله تأليف هذا الكتاب يغدو أكثر يسرًا بشكلٍ لا يُمكن وصفه حينما يحظى المؤلف بالدعم الكامل من ناشره.

ووفرت زوجتي وأولادي سُبُل الرّاحة التامة التي سمحت لي وأعانتني على القتال في ميدان الأفكار. فمن دون حبهم ودعمهم، لم أكن لأنعم براحة البال اللازمة لمكافحة مُسمات الفكرة. وإلى جميع من قاتل من أجل العلم والعقل والحرية والكرامة الفردية عبر تاريخ البشرية، [أعلموا] أن العالم مدينٌ لكم.

مسر د بالمصطلحات

Ambivalent Sexism Inventory	لائحة التحيز الجنسي المتناقض
Batesian mimicry	المحاكاة الباتيسيانية
behavioral decision theory	نظرية القرار السلوكي
behavioral immune system	نظام المناعة السلوكي
benevolent sexism	التحيز الجنسي الخير
brain parasites	طفيليات الدماغ
Cinderella effect	تأثير سندريلا
Collective Munchausen	مونشهاوزن جماعي
consumer psychology	علم نفس المستهلك
Cult of Indiscriminateness	عبادة عدم التمييز
cultural appropriation	الاستحواذ الثقافي
cultural relativism	النسبية الثقافية
culture of offence	ثقافة الإساءة
discriminant analysis	تحليل تمييزي

diversity, inclusion, and equity cult	عبادة التنوع والشمول والإنصاف
Dunning-Kruger effect	تأثير دانيبنغ كروجر
Elaboration Likelihood Model	نموذج احتمالية التفصيل
aux-outrage	الغضب العارم الزائف
aux-profundity	العمق الزائف
gender pay gap	الفجوة في الأجر المبنية على النوع الاجتماعي
grievance studies	دراسات التظلم
hierarchy of victimhood	تراتبية المظلومية
idea pathogens	مُسممات الفكرة
Implicit Association Test	اختبار الاقتران الضمني
kleptogamy	التكاثر بالسرقة
Lysenkoism	الليزنكوية
meritocracy	حكم الجدارة أو الاستحقاق
microaggressions	حالات العدوان المصغر
Munchausen Syndrome	متلازمة مونشهاوزن
nomological networks of	الشبكات التقنية للأدلة

cumulative evidence	التراكمية
optimal stimulation level theory	نظرية مستوى المحاكاة الأمثل
Ostrich Parasitic Syndrome	متلازمة النعامة الطفيلي
Deflect strategy	إستراتيجية التهرب
No True Scotsman fallacy	مغالطة الإسكتلندي غير الحقيقي
parental investment theory	نظرية الاستثمار الأبوي
political correctness	الصوابية السياسية
reciprocal altruism	الإيثارية المتبادلة
science denialism	حركة إنكار العلم
sneaky fucker strategy	إستراتيجية الوغد الماكر
social constructivism	البنائية الاجتماعية
Sociosexual Orientation Inventory	لائحة التوجه الاجتماعي الجنسي
toxic masculinity	الذكورة السامة
transgender activism	نشاطية التحول الجنسي
Trump Derangement Syndrome	متلازمة خبل ترامب
tyranny of the minority	استبداد الأقلية

whataboutism	المذاعنفة
white supremacy	تفوق العرق الأفض

نُبذة تعريفيةً بالمؤلف

يعمل جاد سعد (1964 -) أستاذًا لمادة التسويق في كلية جون مولسن لإدارة الأعمال في جامعة كونكورديا، وأيضًا مديرًا لكرسي أبحاث العلوم السلوكية التطورية والاستهلاك الدارويني. وتنقل جاد في عمله بين عدة جامعات عدة منها كورنيل ودارتماوث وكاليفورنيا، إرفين. وعملَ مُحرِّرًا مساعدًا في مجلة علم النفس التطوري للمدة من 2012 إلى 2015. وهو معروفٌ بتطبيقه مفاهيم علم النفس التطوري على التسويق وسلوك المستهلك. يكتبُ جاد لمدونة 'علم النفس اليوم' ولديه قناة يوتيوب خاصة بعنوانها «الحقيقة بلسان سعد». من كتبه المعروفة الأخرى: الأسس التطورية للاستهلاك (2007)، وعلم النفس التطوري في العلوم السلوكية (2011) وغريزة الاستهلاك: ما الذي تكشفه شطائر البرغر اللذيذة وسيارات الفيراري والمنتجات الإباحية وتقديم الهدايا عن الطبيعة البشرية (2011). حصل جاد على جائزة التميز في التدريس من كلية جون مولسن لإدارة الأعمال، وأيضًا جائزة الداروينية التطبيقية من جمعية علم النفس التطوري التطبيقي.

كلمات عن الكتاب

«لقد أضحى الدكتور جاد سعد، المعروف بشجاعته وبراعته في الحديث وتسلحه بالأفكار الرصينة والصادقة والمتجذرة في علم الأحياء، ظاهرةً رقميةً في السنوات القليلة الماضية. وعلى المنوال نفسه سيرُ جاد في كتابه الجديد الذي يُحذّر فيه القراء من مخاطر برنامج تقدمي أهوج، ويُساعد في إعادة ترسيخ الإجماع العام الذي يسمح للسلام بأن يسود. هل تعرضت فطرتك السليمة إلى اعتداء شامل؟ اقرأ هذا الكتاب، شدّ عزيمتك، وساعدنا جميعًا على العودة إلى العقل».

الدكتور **جوردن بيترسن**، المختص في علم النفس السريري، وأستاذ علم النفس في جامعة تورنتو، ومؤلف كتاب اثنتا عشرة قاعدة للحياة: ترياق للفوضى.

«يُبين لنا جاد سعد، عالم السلوك التطوري، بأسلوبٍ فكاهي ساحرٍ ومنطقيٍّ صارمٍ، أن خداع الذات هو فعل يُراعي التكافؤ في الفرص. إذ إنه غير مُحدّدٍ بالعرق ولا بالخلفية الاثنية ولا بالتوجه الجنسي ولا بالميول السياسية أو مستوى التعليم. لا شيء محظور. أن

تقرأ العقل الطفيلي يعني أن تفهم السبب في تأييد كثير من الناس لجاد سعد لو صوح أفكاره أو رفضه لحملة مرآة تعكس تناقضاتهم».

بول أ. أوفت، أستاذ كرسي موريس ر. هيلمان، أستاذ علم التلقيح في كلية بيرلمان الطبية في جامعة بنسلفانيا، ومؤلف الخيارات الأملية: كيف تُشكل الحركة المناهضة للتلقيح تهديدًا لنا جميعًا.

«يقول جاد سعد 'إن قوى شريرة وشائنة قد عملت ببطء في تفتيت التزام الغرب بالعقل، والعلم، وقيم التنوير'، وإن هذه القوى مشابهة في عملها لطفيليات الدماغ الغريبة التي تُغير سلوك الفئران فتجعلها أقل خوفًا من القطط، وتقود المجتمع البشري إلى عصرٍ مظلمٍ من التحيز والخرافة اللاعقلانية. إن شجاعة جاد وعقلانيته وإقباله على هذا الموضوع المهم كثيرًا، أي الحقيقة، تشع بضياؤها في هذا الكتاب».

الدكتور مات رايدلي، مؤلف كتاب المتفائل العقلاني وكيف يعمل الابتكار

«وصف رائع في ذكائه وخفة ظله وقدرته على التشويق للجنون الصائب سياسيًا الذي يعصف بمجتمعنا. إن قراءة العقل الطفيلي واجبٌ لكل المعنيين بسياسات الضحية وثقافة الإلغاء والاعتداء على العقل. لم يقف سعد عند حدود تشخيص المرض بدقة وبراعة، بل

أوضح المسار المؤدي إلى علاجه».

الدكتورة كريستينا هوف سومرز، باحثة مقيمة في معهد المشروع الأمريكي والمؤلفة المشاركة لكتاب *أمة واحدة قيد العلاج*.

«ثمة فيروس يحتاج حضارتنا- فيروس ذهني يُفسد أدمغة الطلبة والأساتذة والجمهور بوجه عام- والعقل الطفيلي هو اللقاح الذي سيتصدى لهذه الجائحة المدمرة. وقد برز الأستاذ جاد سعد بوصفه مُحاربًا عامًا وبطلًا يذود عن العقل والعلم في بحثه عن الحقيقة. إن تمكنه من المحافظة على شجاعته وإصراره بعد الضجة الهائلة التي أثارها كتابه هو دليل على أهميته، ومصداق لوجهة نظري بأن جمهور قرائه العريض سيُساعد في الحد من توغل موجة اللاعقل واللاعلم».

الدكتور مايكل شيرمير، الناشر في مجلة *المتشكك* ومؤلف *إنياء الشيطان حقه*.

مكتبة
t.me/soramnqraa

@soramnqraa العقل telegram الطفيلي



يُدافع جاد سعد عن الحاجة للحقيقة والحرية والتفكير المنطقي، بأسلوب لا يخلو من دُعاية في كثير من الأحيان. وتشمل قائمة مُسمّات الفكرة التي يناقشها: موضوعات بعد الحداثة، والنسوية الراديكالية، والنسبية الثقافية، وسياسات هُويّة، وثقافة الإلغاء، والنُظرية العرقية النقدية. وهو يدعو إلى دحضها بالحجّة، ومقاومتها بالتمسك بحرية التعبير عن الرأي، وعدم التخاذل، أو التزام الصمت في الحالات التي تستدعي مواقف واضحة.

يولي جاد المؤسسات التعليمية، لا سيما الجامعية التي يُشكل جزءًا منها، عنايةً خاصة، إذ يحرص في العقل الطفيلي على تسليط الضوء على التحديات المهمة التي نواجهها في عالم اليوم، مثل الافتقار للشجاعة الفكرية، وفرض الامتثال الذي غدا أكثر أهمية من المعرفة، مع التّركيز على ما سبّاه 'متلازمة النعمة الطفيلي' التي يُعرفها أنّها «نوعٌ من اضطراب التفكير الذي يؤدي بالمصابين بها إلى رفض الحقائق والوقائع الأساسية».

والكتاب، بعد ذلك، يستثمر، ويستعير جملةً من المفاهيم، والنظريات المستمدة من حقولٍ معرفيّةٍ متنوّعةٍ، منها علم النفس الموازن، وعلم الأحياء، وعلم الأعصاب، وعلم الطفيليات العصبي، ويُطبّقها في حربه التي يخوضها ضد مُسمّات الأفكار. إنّه دعوة للقراء للتصريح بأرائهم، ودعم ما يؤمنون بأنّه صحيحٌ وحقيقيٌّ، فضلًا عن مقاومة الإرهاب الفكري.

WWW.PAGE-7.COM

ISBN 978-603-8387-23-8



9 786038 387238

Designed by Maher Adnan

